.6

بسم الله الرحمن الرحيم

الطبقة السابعة فيمن توفي بعد السبعمائة

.7

1291 أحمد بن إبراهيم بن يوسف بن شرف القاضي جمال الدين الديباجي الملوي المعروف بالمنفلوطي

وهو أبو صاحبنا الشيخ ولي الدين محمد نفع الله به

رجل مبارك صالح عالم فاضل تفقه بالديار المصرية ثم لما ولي الشيخ علاء الدين القونوي قضاء الشام قدم معه فولاه قضاء بعلبك ثم ناب في الحكم بدمشق وأعاد في المدرسة الشامية البرانية

توفي سنة ثلاثين وسبعمائة

1292 أحمد بن الحسن بن علي بن خليفة الحسيني الأنجي

صاحبنا السيد الإمام المحقق النظار السيد مجير الدين أبو العباس

ولد سنة تسع وثمانين وستمائة وقرأ في بلاد العجم المعقولات فأحكمها عند

.8 الشيخ بدر الدين الششتري وابن المطهر وغيرهما وبرع في المنطق والكلام والأصول مع مشاركة في الفقه وناظر في بلاده وشغل بالعلم

ثم قدم الشام سنة تسع وثلاثين وسبعمائة واستوطنها وجرت له فيها مباحث جليلة مع الوالد رحمه الله ومع غيره

وكان ذا مال جزيل ومع ذاك لا يفتر عن طلب العلم ويشغل الطلبة صبيحة كل يوم ولم يبرح جارنا الأدنى في المسكن وصاحبنا الأكيد إلى أن توفي في شهر رمضان سنة خمس وستين وسبعمائة عن ست وسبعين سنة

1293 أحمد بن الحسن الجاربردي

الشيخ الإمام فخر الدين نزيل تبريز

كان فاضلا دينا متفننا مواظبا على الشغل بالعلم وإفادة الطلبة

شرح منهاج البيضاوي في أصول الفقه وتصريف ابن الحاجب وقطعة من الحاوي وله على الكشاف حواش مشهورة وقد أقرأه مرات عديدة بلغنا أنه اجتمع بالقاضي ناصر الدين البيضاوي وأخذ عنه

.9

توفي بتبريز في شهر رمضان سنة ست وأربعين وسبعمائة

أنشدونا عنه

(عجبا لقوم ظالمين تستروا % بالعدل ما فيهم لعمري معرفه)

(قد جاءهم من حيث لا يدرونه % تعطيل ذات الله مع نفي الصفه)

وهذان البيتان عارض بهما الزمخشري في قوله

(لجماعة سموا هواهم سنة % وجماعة حمر لعمري مؤكفه)
(قد شبهوه بخلقه وتخوفوا % شنع الورى فتستروا بالبلكفه)
وقد عاب أهل السنة بيتي الزمخشري وأكثروا القول في معارضتهما ومن أحسن ما سمعته في معارضتهما ما أنشدناه شيخنا أبو حيان النحوي في كتابه عن العلامة أبي جعفر بن الزبير بغرناطة إجازة لم يكن سماعا أنشدنا القاضي الأديب أبو الخطاب محمد بن أحمد بن خليل السكوني بقراءتي عليه عن أخيه أبي بكر من نظمه ثم رأيتها في كتاب أبي علي عمر بن محمد بن خليل المسمى ب التمييز لما أودعه الزمخشري في كتابه من الاعتزال في الكتاب العزيز وقال أجابه عم
10. والدي وهو يحيى بن أحمد الملقب بخليل بهذه القصيدة ولوالدي فيها تكميل ولي فيها تتميم وتذييل
(شبهت جهلا صدر أمة أحمد % وذوي البصائر بالحمير المؤكفه)
(وزعمت أن قد شبهوا معبودهم % وتخوفوا فتستروا بالبلكفه)
(ورميتهم عن نبعة سويتها % رمي الوليد غدا يمزق مصحفه)
(نطق الكتاب وأنت تنطق بالهوى % فهوى الهوى بك في المهاوي المتلفه)
(وجب الخسار عليك فانظر منصفا % في آية الأعراف فهي المنصفه)
(أترى الكليم أتى بجهل ما أتى % وأتى شيوخك ما أتوا عن معرفه)
(خلق الحجاب فمن وراء حجابه % سمع الكليم كلامه إذ شرفه)
(خلق الحجاب بخلقه سبحانه % فتشوفته الأنفس المستشرفه)
(من لا يرى قل كيف يحجب خلقه % نهنه نهى أشياخك المتكلفه)
(المنع من إدراكه معنى به % حجب النواظر يا أصبيع زعنفه)
(والمنع مختص بدار بعدها % لك لا أبا لك موعد لن تخلفه)
(ملك يهدد بالحجاب عباده % أترى محالا أن يرى بالزخرفه)
11.
(وبآية الأعراف ويك خذلتم % فوقعتم دون المراقي المزلفه)
(لو كان كالمعلوم عندك لا يرى % ذهب التمدح في هنات السفسفه)
(عطلت أو أيست يا مغرور إذ % ضاهيت في الإلحاد أهل الفلسفه)
(إن الوجوه إليه ناظرة بذا % جاء الكتاب فقلتم هذا سفه)
(لو صح في الإسلام عقدك لم تقل % بالمذهب المهجور في نفي الصفه)
(ولما نسبت إلى النبوة زلة % في ص والتحريم فاسمع مصرفه)
(أو ما علمت بأن من آل فقد % ترك المباح وكف عنه مصرفه)
(لا أنه جعل الحلال محرما % شرعا فعصمته أبت أن يقرفه)

(فجهلت هذا وانصرفت لظلمة % أعمت عليك من الطريق تعرفه)
(لم تعرف الفقه الجلي فيكف بالتوحيد % في تدقيقه أن تعرفه)
قلت أظن من قوله (ولما نسبت إلى النبوة زلة %) إلى آخرها تتميم أبي علي عمر بن خليل
وقد أكثر الناس في معارضة الزمخشري وهذه الأبيات من أجمع ما قيل
وقال بعضهم
(الله يعلم والعلوم كثيرة % أي الفريقين اهتدى بالمعرفه)
(ولسوف يعلم كل عبد ما جنى % يوم الحساب إذا وقفنا موقفه)
(فاذكر بخير أمة لم تعتقد % إلا الثناء عليه ذاتا أو صفه)
(ودع المراء ولا تطع فيه الهوى % فالحق في أيدي الرجال المنصفه) .12
وقال آخر
(وجماعة كفروا برؤية ربهم % هذا ووعد الله ما لن يخلفه)
(وتلقبوا عدلية قلنا أجل % عدلوا بربهم فحسبهم سفه)
(وتلقبوا الناجين كلا إنهم % إن لم يكونوا في لظى فعلى شفه)
وقال آخر
(لجماعة كفروا برؤية ربهم % ولقائه حمر لعمرك موكفه)
(فكفاهم علموا بلا كيف فنحن % نرى فلم ننعتهم بالبلكفه)
(هم عطلوه عن الصفات وعطلوا % منه الفعال فيالها من منكفه)
(هم نازعوه الخلق حتى أشركوا % بالله زمرة حاكة وأساكفه)
(هم غلقوا أبواب رحمته التي % هي لا تزال على المعاصي موقفه)
(ولهم قواعد في العقائد رذلة % ومذاهب مجهولة مستنكفه)
(يبكي كتاب الله من تأويلهم % بدموعه المنهلة المستوكفه)
وقلت أنا واقتصرت على بيتين
(لجماعة جاروا وقالوا إنهم % للعدل أهل ما لهم من معرفه)
(لم يعرفوا الرحمن بل جهلوا ومن % ذا أعرضوا للجهل عن لمح الصفه)
وقال آخر
(لجماعة رأوا الجماعة سبة % عمياء تاهوا في المعامي المتلفه) .13
(والسنة الغراء أضحت عندهم % مردودة مهجورة مستنكفه)
(عميت بصائرهم كما أبصارهم % عن رؤية فاستهزءوا بالبلكفه)
(نفوا الصفات عن الإله وأثبتوا % ذاتا معطلة تعرت عن صفه)
(فتعينت ذات الإله لديهم % أن لا تكون أو أن تكون مكيفه)
(هم فرقة زعموا الجماعة فرقة % هذا لعمري بدعة مستأنفه)

(قد حاولوا نكرا لجهل فيهم % عن غير علم منهم والمعرفه)
(أنى لهم علم بهذا إنهم % حمر لدى أهل الحقائق مؤكفه)
(برهانه لا شك لولا أنهم % حمر لكان لهم عقول منصفه)
(شهواتهم غلبت عقولهم لذا % أبدا ترى أقوالهم مستضعفه)
(فتجمعت آراؤهم في غيهم % وتفرقت عن رشدهم متحرفه)
(هم أمة تركوا الهداية وامتطوا % طرق الضلالة والهوى متعسفه)
(ركبوا بحار عماية وغواية % غرقت مراكبهم بريح معصفه)
(هم زمرة هامت بهم أهواؤهم % كالهيم في الأرض الفلاة مخلفه)
(عزة أذلهم الإله بعزة % ثبة ذووا جبورة متغطرفه)
(لعصابة لعبت بهم أهواؤهم % عمي تناهت في العمى متلهفه)
(فئة لقد جحدوا برؤية ربهم % وأتوا بأقوال ترد مزيفه)
(هم عصبة قد حكموا آراءهم % في الدين تلقاها غدت متصرفه)
(هم حرفوا كلم الكتاب وبدلوا المعنى % فجاء حروفهن محرفه)
(هم صحفوا القرآن في تأويله % فلذا مصاحفهم تكون مصحفه)

.14

(نبذوا كتاب الله خلف ظهورهم % جعلوا أحاديث النبي مضعفه)
(ملأوا صحائفهم بكل قبيحة % من بدعة شنعاء غير مؤلفه)
(أقولهم ألفاظ زور مالها % معنى وصوت كالطبول مجوفه)
(الله خالق كل شيء وحده % سبحانه وبه العباد مكلفه)
(خير وشر ليس يخلق غيره % إياهما هذي طريق مزلفه)
(لقد اعتزلتم أمة سنية % فخفيتم يا أمة متخوفه)
(ولقد زعمتم أنكم شركاؤه % والخالقية لا تزال منصفه)
(فكفرتم بالله ثم نبيه % فقلوبكم عن دينه متخلفه)
(فلذا افتضحتم في الأنام فأصبحت % عوراتكم بين الورى متكشفه)
(وأبيتم إلا متابعة الهوى % وأتيم بدلائل المتفلسفه)
(ولكم عقائد بالهوى معقودة % والكفر من أهل الهوى متلقفه)
(وبنيتم دارا على مستنقع % وجعلتموها بالقذاة مسقفه)
(ما عندكم إلا البلادة والقماءة % والسفاهة والخنا والعجرفه)
(جهلتم موسى كما كذبتم % خبر الرسول أتت به المستخلفه)
(أنكرتم للأولياء كر امة % عمتهم خصت بها المتصرفه)
(لله أحباب تكون مصونة % عما سواه بالجمال مكنفه)
(وهم ضنائن ربهم وعليهم % بجلاله أرخى ستورا مسجفه)
(أخفاهم بالنور ثم خفاهم % ووجوههم بحلى السنا متلففه)
(هم جفة حفت بكل جميلة % من ربهم وبما يقرب متحفه)

.15

(ملأ لقد ملأ الإله صدورهم % نورا فكانت بالضياء مزخرفه)

(نصحت جيوبهم كما أذيالهم % أضحت بأمواه الصفاء منظفه)
(لهم عقائد في القلوب صحيحة % ونفوسهم ملكية متعففه)
(ولهم خلائق بالندى مجبولة % وعلى الخلائق بالهدى متعطفه)
(ولهم قلوب بالرضا معمورة % ولهم مكارم بالحوائج مسعفه)
(أجسامهم عما يشين نقية % ونفوسهم عما يذيم مكفكفه)
(ما استعبدتهم شهوة تدعو إلى الصفراء % والبيضاء لا والزخرفه)
(كفوا الأكف عن السؤال ولم ترى % سألة ممدودة متكففه)
(ما شأنهم شرب المدامة لا ولا % أكل الحرام ولا غرام مهفهفه)
(منعوا النفوس عن الحظوظ فطاوعت % وتحرجت عن نيلها متوقفه)
(كلفت نفوسهم بما أمرت به % ألفته حبا فيه لا متكلفه)
(متطلب رتب الكمال ذواتهم % وصفاهم تعنو لها متلطفه)
(ولهم وظائف من عبادة ربهم % أضنوا بها أبدانهم كالأوظفه)
(سهرت عيونهم إذا نام الورى % في فرشهم طول الليالي المسدفه)
(أقدامهم تحت الدجا مصطفة % وقدودهم كأهلة محقوقفه)
(هجروا الوسائد والموائد والهنا % قوم بأنواع النعيم مسرعفه)
16.
(تركوا الفضول وقد رضوا بكفافهم % أنعم بهم من حوزة متقشفه)
(صقلوا مراياهم بمصقلة التقى % فصفت وصارت للولاية مألفه)
(أتت الولاية وهي خاطبة لهم % مرتاحة مشغوفة مستعطفه)
(فلهم من الله الكريم كرامة % وقلوبهم لقبولها مستهدفه)
(أبدانهم طافت بكعبة ربهم % ونفوسهم بجنابه متطوفه)
(أرواحهم بسعادة مقرونة % بدوامها مسرورة متألفه)
(أتنم عبيد بطونكم وفروجكم % ونفوسكم في كل شر مسرفه)
(ما تعرفون سوى القدور وهمكم % أن تغرفوا منها الطعام بمغرفه)

(فمتى نهضتم للولاية يا بني اللحم % السمين ويا أسارى الأرغفه)
(أرواحكم مسحورة وعقولكم % مسلوبة أبصاركم متخطفه)
(وركبتم متن الغواية ثم قد % قفيتموها بالضلالة مردفه)
(جرتم وقلتم إنكم عدلية % لا والذي جعل القلوب مصرفه)
(زلت بكم أقدامكم بمزلة % تهوي إلى درك الشفا متزحلفه)
(صدئت مراياكم فأنى تجتلى % فيها عرائس بالجمال مشرفه)
(ومتى تكون لكم ولاية ربكم % وقلوبكم عن طرقها محرورفه)
(ولنا بحمد الله ثم بفضله % كتب على الحق الصريح مصنفه)
(قد كانت الحسنى لنا وزيادة % وتقر أعيننا بها المتشوفه)

(أنا نرى يوم القيامة ربنا % مستشرقين على قصور مشرفه)
(سنراه جهرا لا حجاب وراءنا % في جنة للمؤمنين معرفه)

17.

(أسماعنا لكلامه أبصارنا % لجماله مشتقاة متشوفه)
(إنا نرى لا في جهات وجهه % إنا لنسمع قوله لا من شفه)
(رغما لأنفكم نراه ظاهرا % كالشمس حقا بالعيون المترفه)
(آذاننا بكلامه كعيوننا % ترنو إليه في الجنان مشنفه)
(جاء الكتاب بها وجاءت سنة % من ربنا ومن النبي معرفه)
(ثقلت موازين لنا إذ أصبحت % أعمالكم يوم الحساب مخففه)
(من لا يريد لقاءه فهو الذي % في النار يخلد مثل أهل الفلسفه)
(ويذاد عن حوض يروينا إذا % وردوا القيامة والشفاه مجففه)
(وتعل من عين الحياة نفوسنا % وشفاهنا تغدو لنا مترشفه)
(تلقى أئمتهم وأمتهم غدا % تلقى طوائف في الجحيم مكتفه)
(فتراهم يوم اللقا وقلوبهم % محجوبة عن ربها متأسفه)
(قد جادلونا باللسان فجدلوا % بالبيض والسمر القناة مثقفه)
(حتى تقصفت الصفاح وأصبحت % أرماحنا من طعنهم متقصفه)
(فعلى عيونهم سهام فوقت % وعلى رقابهم سيوف مرهفه)
(صلى الإله على محمد الذي % أبدى لنا طرق الهدى والمخرفه)
و على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين والحمد لله رب العالمين

18.

1294 أحمد بن عبد الله بن الشيخ شهاب الدين البعلبكي

مدرس العادلية الصغيرة والمدرسة القليجية بدمشق وشيخ الإقراء بتربة أم الصالح والتربة الأشرفية

قيل إنه ولد سنة أربع وتسعين وستمائة وسمع الحديث من أسماء بنت صصرى وغيرها

وكان فقيها عارفا بالنحو معرفة جيدة إماما في القراءات ومعرفة وجوهها مشاركا في كثير من العلوم صحيح الفكر والذهن

ناب في الحكم بدمشق مدة عن قاضي القضاة شهاب الدين ابن المجد عبد الله ودخل القاهرة وقرأ النحو على شيخنا أبي حيان وقرأ بعض العقليات على شمس الدين الأصبهاني وكان حسن الاستحضار والضبط الكثير من شواهد العربية حسن الخط

توفي يوم الاثنين السابع والعشرين من شهر رمضان سنة أربع وستين وسبعمائة بالمدرسة القليجية بدمشق

19.

1295 أحمد بن عمر بن أحمد بن أحمد بن النشائي الشيخ

كمال الدين
هو ولد الشيخ الفقيه الزاهد عز الدين من أهل نشا بالنون والشين المعجمة من الديار المصرية
سمع الحديث من الحافظ شرف الدين الدمياطي وولد سنة إحدى وتسعين وستمائة وأعاد بالمدرسة الكهارية عند الوالد رحمه الله وبرع في الفقه
وكان كثير الاستحضار حسن الاختصار صنف جامع المختصرات ومختصر الجوامع وهو مختصر حافل جدا في الفقه وشرحه وله أيضا كتاب النكت على التنبيه وكتاب الإبريز في الجمع بين الحاوي والوجيز وكتاب كشف غطاء الحاوي الصغير وكتاب المنتقى في الفقه جمع فيه فأوعى واختصر كتاب سلاح المؤمن في الأدعية المأثورة وكل كتبه وجيزة العبارة جدا تشبه الألغاز كثير الجمع
توفي في حادي عشر صفر سنة ثمان وخمسين وسبعمائة بالقاهرة
.20

1296 أحمد بن محمد بن سالم بن أبي المواهب بن صصرى
قاضي القضاة نجم الدين أبو العباس الربعي التغلبي
حضر على الرشيد العطار والنجيب عبد اللطيف وسمع من ابن عبد الدائم وغيره وتفقه على الشيح تاج الدين ابن الفركاح
وكان ذا رياسة وسؤدد حكم بدمشق نيفا وعشرين سنة يصفح ويغضى ويمنح الجزيل ويقضي
وقد ذكره الشيخ جمال الدين بن نباتة في سجع المطوق فأحسن في وصفه وأطال ومن كلماته فيه ما الغيث وإن ثجت سحبه وأسف فويق الأرض هيديبه ورمى المحل بسهامه وتبسم ثغر برده من لعس غمامه بأسمح من الغيث الذي يخرجه لنا من ردنه وهو يده المقبلة والسحب التي يجريها بأرزاق عفاته وهي أقلامه المؤملة كلا ولا البحر وإن جاشت غواربه وهاجت عجائبه واستمدت من قطرات لجه الدائم الغزار وعلت كل موجة
.21 إلى منال الشمس فكأنها على الحقيقة علم في رأسه نار بأمد من مواهبه وما سقت وأعجب من علومه وما وسقت
ومنها ما شهدت الدروس أسرع من نقله ولا والله النفوس أبرع من عقله وما ظفر بمثله زمان وإن حلف ليأتين بمثله
ومنها نظما
(أندى البرية والأنواء ماحلة % وأسبق الناس والسادات تزدحم)
(حبر تجاوز قدر المدح من شرف % كالصبح لا غرة يحكي ولا رثم)
(لكنها نفحات من منائحه % تكاد تحيا بها في رمسها الرمم)
(مجرد العزم للعلياء إذ عجزت % عنها السراة وقالوا إنها قسم)

(تصنعوا ليحاكوا صنع سؤدده % يا شيب كم جهد ما قد يكتم الكتم)
(رام الأقاصي حتى جازها ومضى % تبارك الله ماذا يبلغ الهمم)
(لا يطرد المحل إلا صوب نائله % ولا يحول على أفعاله الندم)
(في كل يوم ينادي جود راحته % هذا فتى الندى لا ما ادعى هرم)
(يمم حماه ودافع كل معضلة % مهيبة الجرم تعلم أنه حرم)
.22
(واحسن ولاء معاليه فما سفلت % عزيمة بولاء النجم تلتزم)
(لو أن للدهر جزءا من محاسنه % لم يبق في الدهر لا ظلم ولا ظلم)
(قالت أياديه للحساد عن كثب % ما أقرب العز إلا أنها همم)
(لما أبان به للنجم أن له % عزما يرى فرص الإحسان تغتنم)
(والمجد لا تنثني يوما معالمه % إلا بنقص من الأموال تنهدم)
(وللسيادة معنى ليس يدركه % من طالب الذكر إلا باحث فهم)
(تستشرف الأرض ما حلت مواطئه % كأنما الوهد في آثاره أكم)
وهي قصيدة غراء اقتصرنا منها من المدح على ما أوردناه
ولقاضي القضاة نجم الدين نظم حسن وقد ولي القضاء وقبله التوقيع وعمل في ديوان الإنشاء مدة
توفي في شهر ربيع الأول سنة ثلاث وعشرين وسبعمائة ورثاه جماعة منهم الأديب شهاب الدين محمود بأبيات طويلة منها هذا
(قاضي القضاة ومن حوى رتبا سمت % عن أن تسام سنا وبزت من سعا)
(شيخ الشيوخ العارفين ومن رقى % رتب السلوك تعبدا وتورعا)
(حاوي العلوم بما تفرق في الورى % إلا الذي منها إليه تجمعا)
.23

1297 أحمد بن محمد بن عبد الكريم بن عطاء الله الشيخ تاج الدين أبو الفضل

من أهل الإسكندرية أراه كان شافعي المذهب وقيل كان مالكيا
كان أستاذ الشيخ الإمام الوالد في التصوف وكان إماما عارفا صاحب إشارات وكرامات وقدم راسخ في التصوف
صحب الشيخ أبو العباس المرسي تلميذ الشيخ أبي الحسن الشاذلي وأخذ عنه
واستوطن الشيخ تاج الدين القاهرة يعظ الناس ويرشدهم وله الكلمات البديعة دونها أصحابه في كتب جمعوها من كلامه ومن مصنفات الشيخ تاج الدين كتاب التنوير في إسقاط التدبير
ومن كلامه إرادتك التجريد مع إقامة الله لك في الأسباب من الشهوة الخفية وإرادتك الأسباب مع إقامة الله إياك في التجريد انحطاط عن

الذروة العلية
ما أرادت همة سالك أن تقف عندما كشف لها إلا ونادته هواتف الحقائق الذي تطلب أمامك ولا تبرجت ظواهر الكرامات إلا نادت حقائقها (^ إنما نحن فتنة فلا تكفر)
وقال كيف يتصور أن يحجبه شيء وهو الذي أظهر كل شيء كيف يتصور أن يحجبه شيء وهو الذي ظهر بكل شيء كيف يتصور أن يحجبه شيء وهو الذي
24. ظهر في كل شيء كيف يتصور أن يحجبه شيء وهو الذي ظهر لكل شيء كيف يتصور أن يحجبه شيء وهو الظاهر قبل وجود كل شيء كيف يتصور أن يحجبه شيء وهو أظهر من كل شيء
ومن شعره
(أعندك عن ليلى حديث محرر % لإيراده يحيا الرميم وينشر)
(فعهدي بها العهد القديم وإنني % على كل حال في هواها مقصر)
(وقد كان عنها الطيف قدما يزورني % ولما يزر ما باله يتعذر)
توفي بالقاهرة في جمادى الآخرة سنة تسع وسبعمائة

1298 أحمد بن محمد بن علي بن مرتفع بن صارم بن الرفعة

الشيخ الإمام شيخ الإسلام نجم الدين أبو العباس
شافعي الزمان ومن ألقت إليه الأئمة مقاليد السلم والأمان ما هو إن عدت الشافعية إلا أبو العباس ولا أخمص قدمه إلا فوق هامات الناس ابن الرفعة إلا أن جنسها انحصر بأنواعه في شخصه وذو السمعة التي ولجت الآذان
25. وتعدد مناديها فلم يحصره العاد ولم يحصه ما أخرجت مصر بعد ابن الحداد نظيره ولا سكن ربعها وهو خلاصة الربع العامر أروج منه وإن لم يحضر الحاسب لجين ذلك الربع ونضيره ولقد كان عصره محتوشا بالأئمة إلا أنها سلمت وأذعنت وتطأطأ البدر وتضاءل السها إذ عنت قدر قدره الله له من قبل أن يكون مضغة وفقه لو رآه ابن الصباغ لقال هذا الذي صبغ من النشأة عالما (^ ومن أحسن من الله صبغة) سار اسمه في مشارق الأرض ومغاربها وطار ذكره فكان ملء حواضرها وبواديها وقفارها وسباسبها ذو ذهن لا يدرك في صرعة الإدراك ومقدار تقول له الزهرة ما أزهرك والسماك ما أسماك لا يقاوم في مجلس مناظرة ولا يقاوى ولا يساوم إذا ابتاع الجواهر الثمينة ولا يساوى أقسم بالله يمينا برة لو رآه الشافعي لتبجح بمكانه وترجح عنده على أقرانه وترشح لأن يكون في طبقة من عاصره وكان في زمانه ولو شاهده المزني لشهد له بما هو أهله ولقال ابن البدر من دون محله محله وإن النيل ما أنيل مثله ولا سكن إلى جانبه مثله ولو اجتمع به

البويطيء لقال ما أخرجت بعدنا مثله الصعيد ولا وفى النيل قط بمثل هذا الوفاء السعيد ولا أتى بأصابع لكن بأياد في أيام عيد ولو عاينه الربيع لقال هذا فوق قدر الزهر

26. فما قدر الزهر وأحسن من الروض باكره الندى أوقات البكر وألطف من شمائل النشوان لعبت به الشمول أو أعطاف الأغصان حركها نسيم السحر

تفقه على السديد والظهير التزمنتيين والشريف العباسي ولقب بالفقيه لغلبة الفقه عليه

وسمع الحديث من محيي الدين الدميري أخذ عنه الفقه الوالد رحمه الله وسمعته يقول إنه عند أفقه من الروياني صاحب البحر

وقد باشر حسبة مصر ودرس بالمدرسة المعزية بها ولم يل شيئا من مناصب القاهرة

ومن تصانيفه المطلب في شرح الوسيط والكفاية في شرح التنبيه وكتاب مختصر في هدم الكنائس

توفي بمصر سنة عشر وسبعمائة

ولا مطمع في استعياب مباحثه وغرائبه لأن ذلك بحر زاخر ومهيع لا يعرف له أول من آخر ولكنا نتبرك بذكر القليل ونتبرتك من عطائه الجزيل

جزم الرافعي في استيفاء قصاص الموضحة بأنه يفعل ما هو الأسهل من الشق دفعة واحدة أو تدريجا

قال ابن الرفعة والأشبه الإتيان بمثل جنايته إن أوضح دفعة فدفعة أو تدريجا فتدريجا

27. ولو قال أنت طالق طلقة أو طلقتين فهو ملحق بصور الشك في أصل العدد فلا تطلق إلا طلقة

قال في التتمة

قال ابن الرفعة لكن لا نقول في هذه الحالة يستحب أن يطلقها الثانية كالشاك هل طلق واحدة أو اثنتين لأنه هناك يحتمل وقوعها في نفس الأمر ولا كذلك هنا لأنه لا يقع في نفس الأمر إلا واحدة

قال وهذا ما وقع لي تفقها

سمعت الشيخ الإمام رحمه الله يقول لما زينت القاهرة سنة اثنتين وسبعمائة أفتى شيخنا ابن الرفعة بتحريم النظر إليها قال لأنه إنما يقصد بها النظر

ومن مفردات ابن الرفعة قوله في المطلب إن المرتد إذا مات له قريب مسلم ثم عاد إلى الإسلام ورثه

ورد عليه الشيخ الإمام الوالد ونسبه إلى خرق الإجماع في المسألة

قال ابن الرفعة في المطلب في باب حد الزنا ظاهر كلام المختصر أن العقل لا يشترط في الوطء الذي يصير به محصنا ولو قيل بعدم اعتباره واعتبار البلوغ لم يبعد لأن للمجنون وطرا وشهوة نالها بوطئه حال جنونه ولا كذلك للصبي
قال ولم أر من تعرض له
قلت بل الكل مصرحون باشتراط العقل
.28

1299 أحمد بن محمد بن قيس

أبو العباس ابن الظهير الشيخ الإمام شهاب الدين ابن الأنصاري شيخ الشافعية بالديار المصرية
مولده في حدود الستين وستمائة وتفقه على الظهير وسمع من ابن خطيب المزة جزء الغطريف وحدث بالقاهرة والإسكندرية
ومات عن تدريس المشهد الحسيني بالقاهرة في يوم عيد الأضحى سنة تسع وأربعين وسبعمائة شهيدا بالطاعون

ومن الفوائد عنه

قال قد يستشكل تصور قضاء القاضي بالعلم فإنه مثلا إذا رأى رجلا يزني بامرأة يحتمل أن يكون وطىء بشبهة فلا يسوغ الحكم بالعلم هنا إذ لا علم حينئذ
وصوره صاحب الشامل فقال إذا رآه يغترف من البحر حكم بأن هذا ملكه وهذا معترض فإنه يحتمل أن شخصا اغترفه وألقاه
وكان ظهير الدين التزمنتي يصوره بما إذا أخذ إنسان من ماء المطر فإنه يحكم بملكه له واعترضه
.29 بعض الطلبة بأنه ينبني على أن الجن والملائكة هل يملكون أم لا فعلى الأول يحتمل أن يكون ملكا أو جنيا اغترف غرفة وأرسلها انتهى
قلت وهو عجب أما أولا فلأن مسألة قضاء القاضي بالعلم ليس شرطها العلم اليقيني القطعي بل غلبة الظن تقوم مقام العلم والفقهاء يطلقون العلم على ذلك كما قاله الرافعي وغيره وأما ثانيا فتصوير صاحب الشامل صحيح والاعتراض بأن شخصا اغترفها وألقاها فاسد فإنه إذا ألقاها اختلطت بما تستهلك فيه وتخرج عن كونها مالا وليس كما إذا أطلق الصيد فإن الصيد وإن اشتبه لا يخرج عن ملكه لأنه يتميز بنفسه لا يختلط ولا يستهلك وإنما يشتبه ويجهل عينه وكذلك تصوير الشيخ الظهير صحيح والاعتراض بالملك والجني عجيب فإن هذا الاحتمال لا يمنع العلم وحكاية الخلاف في أن الجن والملك هل يملكون غريبة ومن حكى ذلك

.30

1300 أحمد بن محمد بن أبي الحزم مكي بن ياسين أبو العباس الشيخ نجم الدين القمولي

صاحب البحر المحيط في شرح الوسيط وكتاب جواهر البحر جمع فيه فأوعى

كان من الفقهاء المشهورين والصلحاء المتورعين يحكى أن لسانه كان لا يفتر عن قول لا إله إلا الله

ولي حسبة مصر وقد ولي تدريس الفائزية بها والفخرية بالقاهرة وتولى قديما قضاء قمولا وهي من معاملة قوص نيابة عن قاضي قوص ثم ولي الوجه القبلي من معاملة قوص ثم ولي إخميم مرتين وولي أسيوط والمنيا والشرقية التي قاعدتها بلبيس والغربية التي قاعدتها المحلة ثم ناب في الحكم بالقاهرة ومصر وتوفي عن نيابة القضاء بمصر والجيزة والحسبة

ولم يبرح يفتي ويدرس ويصنف ويكتب وروي أنه قال لي أربعون سنة أحكم فيها ما وقع لي حكم خطأ ولا أثبت مكتوبا ظهر فيه خلل

وكان الشيخ صدر الدين بن المرحل يقول فيما نقل لنا عنه ليس بمصر أفقه من القمولي

.31

وكان مع جلالته في الفقه عارفا بالنحو وله شرح مقدمة ابن الحاجب وكان عارفا بالتفسير وله تكملة على تفسير الإمام فخر الدين وصنف أيضا شرح أسماء الله الحسنى في مجلدة

توفي بمصر في رجب سنة سبع وعشرين وسبعمائة عن ثمانين سنة

وقمولا بفتح القاف وضم الميم وإسكان الواو بلدة في البر الغربي من عمل قوص

1301 أحمد بن المظفر بن أبي محمد بن المظفر بن بدر ابن الحسن بن مفرج بن بكار النابلسي

شيخنا الحافظ الثقة الفقيه الثبت شهاب الدين أبو العباس الأشعري عقيدة

ولد في رمضان سنة خمس وسبعين وستمائة وسمع زينب بنت مكي والشيخ تقي الدين الواسطي وعمر ابن القواس والشرف ابن عساكر وخلقا كثيرا وعني بهذا الشأن وكان ثبتا فيما ينقله محررا لما يسمعه متقنا لما يعرفه حسن المذاكرة أعرف من رأيت بتراجم الأشاعرة والذب عنهم قائما في نصرة السنة وأهلها

.32

توفي بدمشق في شهر ربيع الأول سنة ثمان وخمسين وسبعمائة

أخبرنا الحافظ أبو العباس المظفر بقراءاتي عليه أخبرتنا زينب بنت

مكي سماعا قالت أخبرنا حنبل بن عبد الله المكبر أخبرنا هبة الله بن محمد بن عبد الواحد بن الحصين أخبرنا أبو علي الحسن بن علي بن المذهب أخبرنا أبو بكر أحمد بن جعفر بن حمدان القطيعي أخبرنا عبد الله بن أحمد حدثنا أبي حدثنا سفيان عن عبد الله بن دينار قال سمعت ابن عمر قول قال رسول الله (من أقتنى كلبا إلا كلب ماشية أو كلب قنص نقص من أجره كل يوم قيراطان)

أخبرنا الحافظ أبو العباس الأشعري سماعا أخبرنا أحمد بن هبة الله بن عساكر أخبرنا أبو روح إجازة أخبرنا زاهر الشحامي حدثنا الأستاذ أبو بكر محمد بن الحسين بن علي المقري إملاء أخبرنا أبو طاهر محمد بن الفضل بن محمد ابن إسحاق بن خزيمة أخبرنا أحمد بن حمدون بن رستم الأعمش حدثنا أبو سهل عبدة بن عبد الله الخزاعي حدثنا يونس بن عبيد الله العمري أخبرنا المبارك بن فضالة حدثنا محمد بن المنكدر عن جابر قال قال رسول الله (إن الله يحب مكارم الأخلاق ويكره سفسافها)

أخبرنا أحمد بن المظفر الحافظ بقراءتي أخبرنا عمر ابن القواس أخبرنا عبد الصمد ابن الحرستاني إذنا أخبرنا نصر الله المصيصي أخبرنا نصر المقدسي أخبرنا أبو بكر

33. الخطيب أخبرنا علي بن أيوب القمي أخبرنا محمد بن عمران بن موسى أخبرني إبراهيم بن خفيف المرثدي أخبرني محمد بن بهنام الأصبهاني أخبرنا يحيى بن مدرك الطائي أخبرنا هشام بن محمد الكلبي قال لما حج سليمان بن عبد الملك قدم المدينة فأرسل إلى أبي حازم فأتاه فقال له سليمان يا أبا حازم ما هذا الجفاء قال وأي جفاء رأيت مني قال أتاني أهل المدينة ولم تأتني

قال يا أمير المؤمنين وكيف يكون إتيان بلا معرفة متقدمة والله ما عرفتني قبل هذا اليوم ولا أنا رأيتك فاعذر

قال فالتف سليمان إلى الزهري فقال أصاب الشيخ وصدق

قال سليمان يا أبا حازم ما لنا نكره الموت قال لأنكم أخربتم آخرتكم وعمرتم دنياكم فكرهتم أن تنقلوا من العمران إلى الخراب

قال سليمان صدقت يا أبا حازم كيف القدوم على الله قال أما المحسن فكالغائب يقدم على أهله مسرورا وأما المسيء فكالآبق يقدم على مولاه محزونا

أخبرنا الشيخ شهاب الدين النابلسي بقراءتي عليه أخبرنا أحمد بن هبة الله بن عساكر سماعا عن إسماعيل بن عثمان القاري أخبرنا أبو الأسعد هبة الرحمن ابن الإمام أبي سعيد عبد الواحد بن الأستاذ أبي القاسم القشيري أخبرنا القاضي أبو الفضل محمد بن أحمد بن أبي

جعفر الطبسي أخبرنا القاضي أبو بكر الحيري أخبرنا حاجب الطوسي حدثنا محمد بن حماد حدثنا محمد بن الفضل عن الحسن ومسلم
34. ابن أبي عمران قالا قال سلمان أضحكني ثلاث وأبكاني ثلاث
قالوا وما هي يا سلمان قال أبكاني فراق الأحبة محمد وحزبه وهول المطلع عند سكرة الموت وموقفي بين يدي الرحمن لا أدري أساخط علي هو أم راض
قالوا وما أضحكك يا سلمان قال مؤمل الدنيا والموت يطلبه وغافل وليس بمغفول عنه وضاحك ملء فيه لا يدري ما يفعل الله به

1302 أحمد بن يحيى بن إسماعيل الشيخ شهاب الدين ابن جهبل الكلابي الحلبي الأصل

سمع من أبي الفرج عبد الرحمن بن الزين المقدسي وأبي الحسن بن البخاري وعمر بن عبد المنعم بن القواس وأحمد بن هبة الله بن عساكر وغيرهم
ودرس وأفتى وشغل بالعلم مدة بالقدس ودمشق وولي تدريس البادرائية بدمشق وحدث وسمع منه الحافظ علم الدين القاسم بن محمد البرزالي
مات سنة ثلاث وثلاثين وسبعمائة
35.
ووقفت له على تصنيف صنفه في نفي الجهة ردا على ابن تيمية لا بأس به وهو هذا
بسم الله الرحمن الرحيم الحمد لله العظيم شأنه القوي سلطانه القاهر ملكوته الباهر جبروته الغني عن كل شيء وكل شيء مفتقر إليه فلا معول لشيء من الكائنات إلا عليه
أرسل محمدا بالمحجة البيضاء والملة الزهراء فأتى بأوضح البراهين ونور محجة السالكين ووصف ربه تعالى بصفات الجلال ونفى عنه ما لا يليق بالكبرياء والكمال فتعالى الله الكبير المتعال عما يقوله أهل الغي والضلال لا يحمله العرش بل العرش وحملته محمولون بلطيف قدرته مقهورون في قبضته أحاط بكل شيء علما وأحصى كل شيء عددا مطلع على هواجس الضمائر وحركات الخواطر فسبحانه ما أعظم شأنه وأعز سلطانه (^ يسأله من في السموات والأرض) لافتقارهم إليه (^ كل يوم هو في شأن) لاقتداره عليه
و على سيدنا محمد خاتم أنبيائه ومبلغ أنبائه وعلى آله وصحبه وسلم
أما بعد فالذي دعا إلى تسطير هذه النبذة ما وقع في هذه المدة مما علقه بعضهم في إثبات الجهة واغتر بها من لم يرسخ له في التعليم قدم ولم يتعلق بأذيال المعرفة ولا كبحه لجام الفهم ولا استبصر بنور

الحكمة فأحببت أن أذكر عقيدة أهل السنة والجماعة ثم أبين فساد ما ذكره مع أنه لم يدع دعوى إلا نقضها ولا أطد قاعدة
36. إلا هدمها ثم أستدل على عقيدة أهل السنة وما يتعلق بذلك وها أنا أذكر قبل ذلك مقدمة يستضاء بها في هذا المكان فأقول وبالله المستعان

مذهب الحشوية في إثبات الجهة مذهب واه ساقط يظهر فساده من مجرد تصوره حتى قالت الأئمة لولا اغترار العامة بهم لما صرف إليهم عنان الفكر ولا قطر القلم في الرد عليهم وهم فريقان فريق لا يتحاشى في إظهار الحشو (^ ويحتسبون أنهم على شيء ألا إنهم هم الكاذبون) وفريق يتستر بمذهب السلف لسحت يأكله أو حطام يأخذه أو هوى يجمع عليه الطغام الجهلة والرعاع السفلة لعلمه أن إبليس ليس له دأب إلا خذلان أمة محمد ولذلك لا يجمع قلوب العامة إلا على بدعة وضلالة يهدم بها الدين ويفسد بها اليقين فلم يسمع في التواريخ أنه خزاه الله جمع غير خوارج أو رافضة أو ملاحدة أو قرامطة وأما السنة والجماعة فلا تجتمع إلا على كتاب الله المبين وحبله المتين وفي هذا الفريق من يكذب على السابقين الأولين من المهاجرين والأنصار ويزعم أنهم يقولون بمقالته ولو أنفق ملء الأرض ذهبا ما استطاع أن يروج عليهم كلمة تصدق دعواه وتستر هذا الفريق بالسلف حفظا لرياسته والحطام الذي يجتليه (^ يريدون أن يأمنوكم ويأمنوا قومهم) وهؤلاء يتحلون بالرياء والتقشف فيجعلون الروث مفضضا والكنيف مبيضا ويزهدون في الذرة ليحصلوا الدرة

(أظهروا للناس نسكا % وعلى المنقوش داروا)

ومذهب السلف إنما هو التوحيد والتنزيه دون التجسيم والتشبيه والمبتدعة تزعم أنها على مذهب السلف
37.

(وكل يدعون وصال ليلى % وليلى لا تقر لهم بذاكا)

وكيف يعتقد في السلف أنهم يعتقدون التشبيه أو يسكنون عند ظهور أهل البدع وقد قال الله (^ ولا تلبسوا الحق بالباطل وتكتموا الحق وأنتم تعلمون) وقال الله تعالى (^ وإذ أخذ الله ميثاق الذين أتوا الكتاب لتبيننه للناس ولا تكتمونه) وقال الله تعالى (^ لتبين للناس ما نزل إليهم)

ولقد كانت الصحابة رضي الله عنهم لا يخوضون في شيء من هذه الأشياء لعلمهم أن حفظ الدهماء أهم الأمور مع أن سيوف حججهم مرهفة ورماحها مشحوذة ولذلك لما نبغت الخوارج واثبهم حبر الأمة وعالمها وابنا عم رسولها أمير المؤمنين علي بن أبي طالب وعبد الله بن عباس فاهتدى البعض بالمناظرة وأصر الباقون عنادا فتسلط عليهم

السيف
(ولكن حكم السيف فيكم مسلط % فنرضى إذا ما أصبح السيف راضيا)
وكذلك لما نبغ القدر ونجم به معبد الجهني قيض الله تعالى له زاهد الأمة
38. وابن فاروقها عبد الله عمر بن الخطاب رضي الله عنهما ولو لم تنبغ هاتان البدعتان لما تكلمت الصحابة رضي الله عنهم في رد هذا ولا إبطال هذا ولم يكن دأبهم إلا الحث على التقوى والغزو وأفعال الخير ولذلك لم ينقل عن سيد البشر ولا عن أحد من أصحابه رضي الله عنهم أنه جمع الناس في مجمع عام ثم أمرهم أن يعتقدوا في الله تعالى كذا وكذا وقد صدر ذلك في أحكام شتى وإنما تكلم فيها بما يفهمه الخاص ولا ينكره العام وبالله أقسم يمينا برة ما هي مرة بل ألف ألف مرة أن سيد الرسل لم يقل أيها الناس اعتقدوا أن الله تعالى في جهة العلو ولا قال ذلك الخلفاء الراشدون ولا أحد من الصحابة بل تركوا الناس وأمر التعبدات والأحكام ولكن لما ظهرت البدع قمعها السلف أما التحريك للعقائد والتشمير لإظهارها وإقامة ثائرها فما فعلوا ذلك بل حسموا البدع عند ظهورها
ثم الحشوية إذا بحثوا في مسائل أصول الدين مع المخالفين تكلموا بالمعقول وتصرفوا في المنقول فإذا وصلوا إلى الحشو تبلدوا وتأسوا فتراهم لا يفهمون بالعربية ولا بالعجمية كلا والله والله لو فهموا لهاموا ولكن اعترضوا بحر الهوى فشقوه وعاموا وأسمعوا كل ذي عقل ضعيف وذهن سخيف وخالفوا السلف في الكف عن ذلك مع العوام ولقد كان الحسن البصري رضي الله عنه إذا تكلم في علم التوحيد أخرج غير أهله وكانوا رحمهم الله تعالى لا يتكلمون فيه إلا مع أهل السنة منهم إذ هي قاعدة أهل التحقيق وكانوا يضنون به على الأحداث وقالوا الأحداث
39. هم المستقبلون الأمور المبتدئون في الطريق فلم يجربوا الأمور ولم يرسخ لهم فيها قدم وإن كانوا أبناء سبعين سنة
وقال سهل رضي الله عنه لا تطلعوا الأحداث على الأسرار قبل تمكنهم من اعتقاد أن الإله واحد وأن الموحد فرد صمد منزه عن الكيفية والأينية لا تحيط به الأفكار ولا تكيفه الألباب وهذا الفريق لا يكتفي من إيمان الناس إلا باعتقاد الجهة وكأنه لم يسمع الحديث الصحيح عن النبي (أمرت أن أقاتل الناس حتى يقولوا لا إله إلا الله) الحديث
أفلا يكتفي بما اكتفى به نبيهم حتى إنه يأمر الزمني بالخوض في بحر لا ساحل له ويأمرهم بالتفتيش عما لم يأمرهم رسول الله بالتفتيش

عنه ولا أحد من أصحابه رضي الله عنهم لا تنازل واكتفى بما نقل عن إمامه الإمام أحمد بن حنبل رضي الله عنه حيث قال لا يوسف الله تعالى إلا بما وصف به نفسه أو وصفه به رسول الله لا نتجاوز القرآن والحديث ونعلم أن ما وصف الله به من ذلك فهو حق ليس فيه لغو ولا أحاج بل معناه يعرف من حيث يعرف مقصود المتكلم بكلامه وهو مع ذلك (^ ليس كمثله شيء) في نفسه المقدسة المذكورة بأسمائه وصفاته ولا في أفعاله فكان ينبغي أن الله سبحانه له ذات حقيقية وأفعال حقيقية وكذلك له صفات حقيقية وهو (^ ليس كمثله شيء) لا في ذاته ولا في صفاته ولا في أفعاله وكل ما أوجب نقصا أو حدوثا فإن الله عز وجل منزه عنه حقيقة فإنه سبحانه مستحق للكمال الذي لا غاية فوقه وممتنع عليه الحدوث

40. لامتناع العدم عليه واستلزام الحدوث سابقة العدم وافتقار المحدث إلى محدث ووجوب وجوده بنفسه سبحانه وتعالى هذا نص إمامه فهلا اكتفى به

ولقد أتي إمامه في هذا المكان بجوامع الكلم وساق أدلة المتكلمين على ما يدعيه هذا المارق بأحسن رد وأوضح معان مع أنه لم يأمر بما أمر هذا الفريق

وقد قال الشافعي رضي الله عنه سألت مالكا عن التوحيد فقال محال أن نظن بالنبي أنه علم أمته الاستنجاء ولم يعلمهم التوحيد وقد قال (أمرت أن أقاتل الناس حتى يقولوا لا إله إلا الله) الحديث فبين مالك رضي الله عنه أن المطلوب من الناس في التوحيد هو ما اشتمل عليه هذا الحديث ولم يقل من التوحيد اعتقاد أن الله تعالى في جهة العلو

وسئل الشافعي رضي الله عنه عن صفات الله فقال حرام على العقول أن تمثل الله تعالى وعلى الأوهام أن تحد وعلى الظنون أن تقطع وعلى النفوس أن تفكر وعلى الضمائر أن تعمق وعلى الخواطر أن تحيط إلا ما وصف به نفسه على لسان نبيه

ومن تقصى وفتش وبحث وجد أن الصحابة رضي الله عنهم والتابعين والصدر الأول لم يكن دأبهم غير الإمساك عن الخوض في هذه الأمور وترك ذكرها في المشاهد ولم يكونوا يدسونها إلى العوام ولا يتكلمون بها على المنابر ولا يوقعون في قلوب الناس منها هواجس كالحريق المشعل وهذا معلوم بالضرورة من سيرهم وعلى ذلك بنينا عقيدتنا وأسسنا نحلتنا وسيظهر لك إن شاء الله تعالى موافقتنا للسلف ومخالفة المخالف طريقتهم وإن ادعى الاتباع فما سالك غير الابتداع

41. وقول المدعي إنهم أظهروا هذا ويقول علم النبي كل شيء حتى الخرأة وما علم هذا المهم هذا بهرج لا يمشي على الصيرفي النقاد أو

ما علم أن الخرأة يحتاج إليها كل واحد وربما تكررت الحاجة إليها في اليوم مرات وأي حاجة بالعوام إلى الخوض في الصفات نعم الذي يحتاجون إليه من التوحيد قد تبين في حديث (أمرت أن أقاتل الناس) ثم هذا الكلام من المدعي يهدم بنيانه ويهد أركانه فإن النبي علم الخرأة تصريحا وما علم الناس أن الله تعالى في جهة العلو وما ورد من العرش والسماء في الاستواء قد بنى المدعي مبناه وأوثق عرى دعواه على أن المراد بهما شيء واحد وهو جهة العلو فما قاله هذا المدعي لم يعلمه النبي أمته وعلمهم الخرأة فعند المدعي يجب تعليم العوام حديث الجهة وما علمها رسول الله وأما نحن فالذي نقوله أنه لا يخاض في مثل هذا ويسكت عنه كما سكت رسول الله وأصحابه ويسعنا ما وسعهم ولذلك لم يوجد منا أحد يأمر العوام بشيء من الخوض في الصفات والقوم وقد جعلوا دأبهم الدخول فيها والأمر بها فليت شعري من الأشبه بالسلف

وها نحن تذكر عقيدة أهل السنة فنقول

عقيدتنا أن الله قديم أزلي لا يشبه شيئا ولا يشبهه شيء ليس له جهة ولا مكان ولا يجري عليه وقت ولا زمان ولا يقال له أين ولا حيث يرى لا عن مقابلة ولا على مقابلة كان ولا مكان كون المكان ودبر الزمان وهو الآن على ما عليه كان

هذا مذهب أهل السنة وعقيدة مشايخ الطريق رضي الله عنهم

42.

قال الجنيد رضي الله عنه متى يتصل من لا شبيه له ولا نظير له بمن له شبيه ونظير

وكما قيل ليحيى بن معاذ الرازي أخبرنا عن الله عز وجل قال إله واحد فقيل له كيف هو فقال مالك قادر

فقيل له أين هو فقال بالمرصاد

فقال السائل لم أسألك عن هذا فقال ما كان غير هذا كان صفة المخلوق فأما صفته فما أخبرت عنه

وكما سأل ابن شاهين الجنيد رضي الله عنهما عن معنى مع فقال مع على معنيين مع الأنبياء بالنصرة والكلاءة قال الله تعالى (^ إنني معكما أسمع وأرى) ومع العالم بالعلم والإحاطة قال الله تعالى (^ ما يكون من نجوى ثلاثة إلا هو رابعهم) فقال ابن شاهين مثلك يصلح دالا للأمة على الله

وسئل ذو النون المصري رضي الله عنه عن قوله تعالى (^ الرحمن على العرش استوى) فقال أثبت ذاته ونفى مكانه فهو موجود بذاته والأشياء بحكمته كما شاء

وسئل عنه الشبلي رضي الله عنه فقال الرحمن لم يزل والعرش

محدث والعرش بالرحمن استوى
وسئل عنها جعفر بن نصير فقال استوى علمه بكل شيء وليس شيء أقرب إليه من شيء
وقال جعفر الصادق رضي الله عنه من زعم أن الله في شيء أو من شيء أو على شيء
43. فقد أشرك إذ لو كان في شيء لكان محصورا ولو كان على شيء لكان محمولا ولو كان من شيء لكان محدثا
وقال محمد بن محبوب خادم أبي عثمان المغربي قال لي أبو عثمان المغربي يوما يا محمد لو قال لك قائل أين معبودك أيش تقول قلت أقول حيث لم يزل
قال فإن قال فأين كان في الأزل أيش تقول قلت حيث هو الآن
يعني أنه كان ولا مكان فهو الآن كما كان قال فارتضى ذلك مني ونزع قميصه وأعطانيه
وقال أبو عثمان المغربي كنت أعتقد شيئا من حديث الجهة فلما قدمت بغداد زال ذلك عن قلبي فكتبت إلى أصحابي بمكة أني أسلمت جديدا
قال فرجع كل من كان تابعه عن ذلك
فهذه كلمات أعلام أهل التوحيد وأئمة جمهور الأمة سوى هذه الشرذمة الزائغة وكتبهم طافحة بذلك وردهم على هذه النازغة لا يكاد يحصر وليس عرضا بذلك تقليدهم لمنع ذلك في أصول الديانات بل إنما ذكرت ذلك ليعلم أن مذهب أهل السنة ما قدمناه
ثم إن قولنا إن آيات الصفات وأخبارها على من يسمعها وظائف التقديس والإيمان بما جاء عن الله تعالى وعن رسوله على مراد الله تعالى ومراد رسوله والتصديق والاعتراف بالعجز والسكوت والإمساك عن التصرف في الألفاظ الواردة وكف الباطن عن التفكر في ذلك واعتقاد أن ما خفي عليه منها لم يخف عن الله ولا عن رسوله وسيأتي شرح هذه الوضائف إن شاء الله تعالى فليت شعري في أي شيء نخالف السلف هل هو في قولنا كان ولا مكان أو في قولنا إنه تعالى كون المكان أو في قولنا وهو الآن على ما عليه كان
44. أو في قولنا تقدس الحق عن الجسمية ومشابهتها أو في قولنا يجب تصديق ما قاله الله تعالى ورسوله بالمعنى الذي أراد أو في قولنا يجب الاعتراف بالعجز أو في قولنا نسكت عن السؤال والخوض فيما لا طاقة لنا به أو في قولنا يجب إمساك اللسان عن تغيير الظواهر بالزيادة والنقصان
وليت شعري في ماذا وافقوا هم السلف هل في دعائهم إلى الخوض في هذا والحث على البحث مع الأحداث الغرين والعوام الطغام الذين

يعجزون عن غسل محل النجو وإقامة دعائم الصلاة أو وافقوا السلف في تنزيه الباري سبحانه وتعالى عن الجهة وهل سمعوا في كتاب الله أو أثارة من علم عن السلف أنهم وصفوا الله تعالى بجهة العلو وأن كل مالا يصفه به فهو ضال مضل من فراخ الفلاسفة والهنود واليونان (^ انظر كيف يفترون على الله الكذب وكفى به إثما مبينا)

ونحن الآن نبتدئ بإفساد ما ذكره ثم بعد ذلك نقيم الحجة على نفي الجهة والتشبيه وعلى جميع ما يدعيه وبالله المستعان فأقول

ادعى أولا أنه يقول بما قال الله ورسوله والسابقون الأولون من المهاجرين والأنصار رضي الله عنهم ثم إنه قال ما لم يقله الله ولا رسوله ولا السابقون الأولون من المهاجرين والأنصار ولا شيئا منه فأما الكتاب والسنة فسنبين مخالفته لهما وأما السابقون الأولون من المهاجرين والأنصار فذكره لهم في هذا الموضع استعارة للتهويل وإلا فهو لم يورد من أقوالهم كلمة واحدة لا نفيا ولا إثباتا وإذا تصفحت كلامه عرفت ذلك اللهم إلا أن يكون مراده بالسابقين الأولين من المهاجرين والأنصار مشايخ عقيدته دون الصحابة

45. وأخذ بعد هذه الدعوى في مدحه وفي مدح دينه وأن أصحابه أعلم الناس بذلك والأمر كما قاله وفوق ما قاله وكيف المدائح تستوفي مناقبه ولكن كلامه كما قال أمير المؤمنين علي بن أبي طالب رضي الله عنه كلمة حق أريد بها باطل

ثم أخذ بعد ذلك في ذم الأئمة وأعلام الأمة حيث اعترفوا بالعجز عن إدراكه سبحانه وتعالى مع أن سيد الرسل قال (لا أحصي ثناء عليك أنت كما أثنيت على نفسك) وقال الصديق رضي الله عنه العجز عن درك الإدراك إدراك وتجاسر المدعي على دعوى المعرفة وأن ابن الحيض قد عرف القديم على ما هو عليه ولا غرور ولا جهل أعظم ممن يدعي ذلك فنعوذ بالله من الخذلان

ثم أخذ بعد ذلك في نسبة مذهب جمهور أمة محمد إلى أنه مذهب فراخ الفلاسفة وأتباع اليونان والهنود (^ ستكتب شهادتهم ويسئلون)

ثم قال كتاب الله تعالى من أوله إلى آخره وسنة رسوله من أولها إلى آخرها ثم عامة كلام الصحابة والتابعين ثم كلام سائر الأئمة مملوء بما هو إما نص وإما ظاهر في الله تعالى أنه فوق كل شيء وعلى كل شيء وأنه فوق العرش وأنه فوق السماء

وقال في أثناء كلامه وأواخر ما زعمه إنه فوق العرش حقيقة

وقاله في موضع آخر عن السلف فليت شعري أين هذا في كتاب الله تعالى على هذه الصورة التي نقلها عن كتاب ربه وسنة نبيه وهل في كتاب الله تعالى كلمة مما قاله حتى يقول إنه في نص والنص هو الذي

لا يحتمل التأويل ألبتة وهذا مراده فإنه جعله غير الظاهر لعطفه له عليه وأي آية في كتاب الله تعالى نص بهذا الاعتبار فأول ما استدل به قوله تعالى (^ إليه يصعد الكلم الطيب) فليت

46. شعري أي نص في الآية أو ظاهر على أن الله تعالى في السماء أو على العرش ثم نهاية ما يتمسك به أنه يدل على علو يفهم من الصعود وهيهات زل حمار العلم في الطين فإن الصعود في الكلام كيف يكون حقيقة مع أن المفهوم في الحقائق أن الصعود ما صفات الأجسام فليس المراد إلا القبول ومع هذا لا حد ولا مكان

وأتبعها بقوله تعالى (^ إني متوفيك ورافعك إلي) وما أدري من أين استنبط من هذا الخبر أن الله تعالى فوق العرش من هذه الآية هل ذلك بدلالة المطابقة أو التضمن أو الالتزام أو هو شيء أخذه بطريق الكشف والنفث في الروع ولعله اعتقد أن الرفع إنما يكون في العلو في الجهة فإن كان كما خطر له فذاك أيضا لا يعقل إلا في الجسمية والحدية وإن لم يقل بهما فلا حقيقة فيما استدل به وإن قال بهما فلا حاجة إلى المغالطة ولعله لم يسمع الرفع في المرتبة والتقريب في المكانة من استعمال العرب والعرف ولا فلان رفع الله شأنه

وأتبع ذلك قوله (^ أأمنتم من في السماء أن يخسف بكم الأرض) وخص هذا المستدل "من" بالله تعالى ولعله لم يجوز أن المراد به ملائكة الله تعالى ولعله يقول إن الملائكة لا تفعل ذلك ولا أن جبريل عليه السلام خسف بأهل سدوم فلذلك استدل بهذه الآية ولعلها هي النص الذي أشار إليه

وأتبعه بقوله تعالى (^ تعرج الملائكة الروح إليه) والعروج والصعود شيء واحد ولا دلالة في الآية على أن العروج إلى سماء ولا عرش ولا شيء من الأشياء التي

47. ادعاها بوجه من الوجوه لأن حقيقته المستعملة في لغة العرب في الانتقال في حق الأجسام إذ لا تعرف العرب إلا ذلك فليت لو أظهره واستراح من كتمانه

وأردفه بقوله تعالى (^ يخافون ربهم من فوقهم) وتلك أيضا لا دلالة له فيها عن سماء ولا عرش ولا أنه في شيء من ذلك حقيقة ثم الفوقية ترد لمعنيين

أحدهما نسبة جسم إلى جسم بأن يكون أحدهما أعلى والآخر أسفل بمعنى أن أسفل الأعلى من جانب رأس الأسفل وهذا لا يقول به من لا يجسم وبتقدير أن يكون هو المراد وأنه تعالى ليس لجسم فلم لا يجوز أن يكون (^ من فوقهم) صلة ل (^ يخافون) ويكون تقدير الكلام يخافون من فوقهم ربهم

أي أن الخوف من جهة العلو وأن العذاب يأتي من تلك الجهة

وثانيهما بمعنى المرتبة كما يقال الخليفة فوق السلطان والسلطان فوق الأمير
وكما يقال جلس فلان فوق فلان والعلم فوق العمل والصباغة فوق الدباغة
وقد وقع ذلك في قوله تعالى حيث قال (^ ورفعنا بعضهم فوق بعض درجات) ولم يطلع أحدهم على أكتاف الآخر ومن ذلك قوله تعالى (^ وإنا فوقهم قاهرون) وما ركبت القبط أكتاف بني إسرائيل ولا ظهورهم
وأردف ذلك بقوله تعالى (^ الرحمن على العرش استوى) وورد هذا في كتاب الله في ستة مواضع من كتابه وهي عمدة المشبهة وأقوى معتمدهم حتى إنهم كتبوها على باب جامع همذان فلصرف العناية إلى إيضاحها فنقول
48. إما أنهم يعزلون العقل بكل وجه وسبب ولا يلتفتون إلى ما سمي فهما وإدراكا فمرحبا بفعلهم وبقول (^ الرحمن على العرش استوى) وإن تعدوا هذا إلى أنه مستو على العرش فلا حبا ولا كرامة فإن الله تعالى ما قاله مع أن علماء البيان كالمتفقين على أن في اسم الفاعل من الثبوت ما لا يفهم من الفعل
وإن قالوا هذا يدل على أنه فوقه فقد تركوا ما التزموه وبالغوا في التناقض والتشهي والجرأة
وإن قالوا بل نبقي العقل ونفهم ما هو المراد فنقول لهم ما هو الاستواء في كلام العرب فإن قالوا الجلوس والاستقرار قلنا هذا ما تعرفه العرب إلا في الجسم فقولوا يستوي جسم على العرش
وإن قالوا جلوس واستقرار نسبته إلى ذات الله تعالى كنسبة الجلوس إلى الجسم
فالعرب لا تعرف هذا حتى يكون هو الحقيقة ثم العرب تفهم استواء القدح الذي هو ضد الاعوجاج فوصفوه بذلك وتبرءوا معه من التجسيم وسدوا باب الحمل على غير الجلوس ولا يسدونه في قوله تعالى (^ وهو معكم أين ما كنتم) وقوله تعالى (^ ونحن أقرب إليه من حبل الوريد) ولا تقولوا معهم بالعلم
وإن قلتم ذلك فلم تحلونه عاما وتحرمونه عاما ومن أين لكم أن ليس الاستواء فعلا من أفعاله تعالى في العرش فإن قالوا ليس هذا كلام العرب
قلنا ولا كلام العرب "استوى" بالمعنى الذي تقولونه بلا جسم
ولقد رام المدعي التفلت من شرك التجسيم بما زعمه من أن الله تعالى في جهة

49. وأنه استوى على العرش استواء يليق بجلاله
فنقول له قد صرت الآن إلى قولنا في الاستواء وأما الجهة فلا تليق بالجلال
وأخذ على المتكلمين قولهم إن الله تعالى لو كان في جهة فإما أن يكون أكبر أو أصغر أو مساويا وكل ذلك محال
قال فلم يفهموا من قول الله تعالى (^ على العرش) إلا ما يثبتون لأي جسم كان على أي جسم كان
قال وهذا اللازم تابع لهذا المفهوم وأما استواء يليق بجلال الله فلا يلزمه شيء من اللوازم
فنقول له أتميميا مرة وقيسيا أخرى إذا قلت استوى استواء يليق بجلال الله فهو مذهب المتكلمين وإن قلت استواء هو استقرار واختصاص بجهة دون أخرى لم يجد ذلك تخلصا من الترديد المذكور والاستواء بمعنى الاستيلاء
وأشهد له في هذه الآية أنها لم ترد قط إلا في إظهار العظمة والقدرة والسلطان والملك والعرب تكني بذلك عن الملك فيقولون فلان استوى على كرسي المملكة وإن لم يكن جلس عليه مرة واحدة ويريدون بذلك الملك
وأما قولهم فإن حملتم الاستواء على الاستيلاء لم يبق لذكر العرش فائدة فإن ذلك في حق كل المخلوقات فلا يختص بالعرش
فالجواب عنه أن كل الموجودات لما حواها العرش كان الاستيلاء عليه استيلاء على جميعها ولا كذلك غير وأيضا فكناية العرب السابقة ترجحه وقد تقدم الكلام عن السلف في معنى الاستواء كجعفر الصادق ومن تقدم
وقولهم استوى بمنى استولى إنما يكون فيما يدافع عليه
قلنا واستوى بمنى جلس أيضا إنما يكون في جسم وأنتم قد قلتم إنكم لا تقولون به ولو وصفوه تعالى
50. بالاستواء على العرش لما أنكرنا عليهم ذلك بل نعدهم إلى ما يشبه التشبيه أو هو التشبيه المحذور والله الموفق
واستدل بقوله تعالى حكاية عن فرعون (^ يا هامان ابن لي صرحا لعلي أبلغ الأسباب أسباب السموات فأطلع إلى إله موسى) فليت شعري كيف فهم من كلام فرعون أن الله تعالى فوق السموات وفوق العرش يطلع إلى إله موسى أما أن إله موسى في السموات فما ذكره وعلى تقدير فهم ذلك من كلام فرعون فكيف يستدل بظن فرعون وفهمه مع إخبار الله تعالى عنه أنه زين له سوء علمه وأنه حاد عن سبيل الله عز وجل وأن كيده في ضلال مع أنه لما سأل موسى عليه السلام وقال وما رب السموات لم يتعرض موسى عليه السلام للجهة

بل لم يذكر إلا أخص بالصفات وهي القدرة على الاختراع ولو كانت الجهة ثابتة لكان التعريف بها أولى فإن الإشارة الحسية من أقوى المعرفات حسا وعرفا وفرعون سأل بلفظة ما فكان الجواب بالتحيز أولى من الصفة وغاية ما فهمه من هذه الآية واستدل به فهم فرعون فيكون عمدة هذه العقيدة كون فرعون ظنها فيكون هو مستندها فليت شعري لم لا ذكر النسبة إليه كما ذكر أن عقيدة سادات أمة محمد الذين خالفوا اعتقاده في مسألة التحيز والجهة الذين ألحقهم بالجهمية متلقاة من لبيد بن الأعصم اليهودي الذي سحر النبي

51. وختم الآيات الكريمة بالاستدلال بقوله (^ تنزيل من حكيم حميد) (^ منزل من ربك بالحق) وما في الآيتين لا عرش ولا كرسي ولا سماء ولا أرض بل ما فيهما إلا مجرد التنزيل وما أدري من أي الدلالات استنبطها المدعي فإن السماء لا تفهم من التنزيل فإن التنزيل قد يكون من السماء وقد يكون من غيرها ولا تنزيل القرآن كيف يفهم منه النزول الذي هو انتقال من فوق إلى أسفل فإن العرب لا تفهم ذلك في كلام سواء كان من عرض أو غير عرض وكما تطلق العرب النزول على الانتقال تطلقه على غيره كما جاء في كتابه العزيز (^ وأنزلنا الحديد فيه بأس شديد) قوله تعالى (^ وأنزل لكم من الأنعام ثمانية أزواج) ولم ير أحد قط قطعة حديد نازلة من السماء في الهواء ولا جملا يحلق من السماء إلى الأرض فكما جوز هنا أن النزول غير الانتقال من العلو إلى السفل فليجوزه هناك

هذا آخر ما استدل به من الكتاب العزيز وقد ادعى أولا أنه يقول ما قاله الله وأن ما ذكره من الآيات دليل على قوله إما نصا وإما ظاهرا وأنت إذا رأيت ما ادعاه

52. وأمعنت النظر فيما قلناه واستقريت هذه الآيات لم تجد فيها كلمة على وفق ما قاله أولا ولا نصا ولا ظاهرا ألبتة وكل أمر بعد كتاب الله تعالى والدعوى عليه خلل

ثم استدل من السنة بحديث المعراج ولم يرد في حديث المعراج أن الله فوق السماء أو فوق العرش حقيقة ولا كلمة واحدة من ذلك وهو لم يسرد حديث المعراج ولا بين الدلالة منه حتى نجيب عنه فإن بين وجه الاستدلال عرفناه كيف الجواب

واستدل بنزول الملائكة من عند الله تعالى والجواب عن ذلك أن نزول الملائكة من السماء إنما كان لأن السماء مقرهم والعندية لا تدل على أن الله في السماء لأنه يقال في الرسل الآدميين إنهم من عند الله وإن لم يكونوا نزلوا من السماء على أن العندية قد يراد بها الشرف والرتبة قال الله تعالى (^ وإن له عندنا لزلفى وحسن مآب) وتستعمل في غير ذلك كما قال رسول الله حكاية عن ربه عز وجل

(أنا عند ظن عبدي بي)
وذكر عروج الملائكة وقد سبق وربما شد فقار ظهره وقوى منة منته بلفظة (^ إلى ربهم) وأن (^ إلى) لانتهاء الغاية وأنها في قطع المسافة وإذا سكت عن هذا لم يتكلم بكلام العرب فإن المسافة لا تفهم العرب منها إلا ما تنتقل فيه الأجسام وهو يقول إنهم لا يقولون بذلك وقد قال الخليل (^ إني ذاهب إلى ربي) وليس المراد بذلك الانتهاء الذي عناه المدعي بالاتفاق فلم يجترئ على ذلك في كتاب الله تعالى ولا يجاب به في خبر الواحد
وذكر قوله (ألا تأمنوني وأنا أمين من في السماء يأتيني خبر من في السماء صباحا ومساء) وليس المراد بمن هو الله تعالى ولا ذكر النبي ذلك ولا خصه به ومن أين للمدعي أنه ليس المراد بمن
53. الملائكة فإنهم أكبر المخلوقات علما بالله تعالى وأشدهم اطلاعا على القرب وهم يعلمون أن رسول الله أمين وهو عندهم في هذه الرتبة فليعلم المدعي أنه ليس في الحديث ما ينفي هذا ولا ما يثبت ما ادعاه
ثم ذكر حديث الرقية (ربنا الله الذي في السماء تقدس اسمك أمرك في السماء والأرض كما رزقك في السماء) الحديث
وهذا الحديث بتقدير ثبوته فالذي ذكره النبي فيه (ربنا الذي في السماء تقدس اسمك) ما سكت النبي على في السماء فلأي معنى نقف نحن عليه ونجعل تقديس اسمك كلاما مستأنفا هل فعله رسول الله هكذا أو أمر به وعند ذلك لا يجد المدعي مخلصا إلا أن يقول الله تقدس اسمه في السماء والأرض فلم خصصت السماء بالذكر فنقول له ما معنى تقدس إن كان المراد به التنزيه من حيث هو تنزيه فذلك ليس في سماء ولا أرض إذ التنزيه نفي النقائص وذلك لا تعلق له بجرباء ولا غبراء فإن المراد أن المخلوقات تقدس وتعترف بالتنزيه فلا شك أن أهل السماء مطبقون على تنزيهه تعالى كما أنه لا شك أن في أهل الأرض من لم ينزه وجعل له ندا ووصفه بما لا يليق بجلاله فيكون تخصيص السماء بذكر التقديس فيها لانفراد أهلها بالإطباق على التنزيه كما أنه سبحانه لما انفرد في الملك في يوم الدين عمن يتوهم ملكه خصصه بقوله تعالى (^ مالك يوم الدين) وكما قال سبحانه وتعالى بعد دمار من ادعى الملك والملك (^ لمن الملك اليوم لله الواحد القهار)
وأعاد هذا المدعي الحديث من أوله ووصل إلى أن قال فليقل ربنا الذي في السماء
54.
قال وذكره ووقف على قوله في السماء فليت شعري هل جوز أحد

من العلماء أن يفعل مثل هذا وهل هذا إلا مجرد إيهام أن سيد المرسلين وعليهم قال (ربنا الله في السماء)
وأما حديث الأوعال وما فيه من قوله (والعرش فوق ذلك كله والله فوق ذلك كله) فهذا الحديث قد كثر منهم إيهام العوام أنهم يقولون به ويروجون به زخارفهم ولا يتركون دعوى من دعاويهم عاطلة من التحلي بهذا الحديث ونحن نبين أنهم لم يقولوا بحرف واحد منه ولا استقر لهم قدم بأن الله تعالى فوق العرش حقيقة بل نقضوا ذلك وإيضاح ذلك بتقديم ما أخر هذا المدعي قال في آخر كلامه ولا يظن الظان أن هذا يخالف ظاهر قوله تعالى (^ وهو معكم أينما كنتم) وقول النبي (إذا قام أحدكم إلى الصلاة فإن الله قبل وجهه)
ونحو ذلك قال فإن هذا غلط ظاهر وذلك أن الله تعالى معنا حقيقة فوق العرش حقيقة قال كما جمع الله بينهما في قوله (^ هو الذي خلق السموات والأرض وما بينهما في ستة أيام ثم استوى على العرش يعلم ما يلج في الأرض وما يخرج منها وما ينزل من السماء وما يعرج فيها وهو معكم أينما كنتم والله بما تعملون بصير) قال هذا المدعي بملء ما ضغتيه من غير تكتم ولا تلعثم فقد أخبر الله تعالى أنه فوق العرش ويعلم كل شيء وهو معنا أينما كنا كما قال في حديث الأوعال (والله فوق العرش وهو يعلم ما أنتم عليه) فقد فهمت أن هذا المدعي ادعى أن الله فوق العرش حقيقة واستدل بقوله تعالى (^ ثم استوى على العرش) وجعل أن ذلك من الله تعالى خير أنه فوق العرش وقد علم

55. كل ذي ذهن قويم وفكر مستقيم أن لفظ (^ استوى على العرش) ليس مرادفا للفظ فوق العرش حقيقة وقد سبق منا الكلام عليه ولا في الآية ما يدل على الجمع الذي ادعاه ولا بين التقريب في الاستدلال بل سرد آية من كتاب الله تعالى لا يدرى هل حفظها أو نقلها من المصحف ثم شبه الآية في الدلالة على الجمع بحديث الأوعال قال كما قال فيه (والله فوق العرش) وقد علمت أنه ليس في الحديث ما يدل على المعية بل لا مدخل لمع في الحديث قال وذلك أن مع إذا أطلقت فليس ظاهرها في اللغة إلا للمقارنة المطلقة من غير وجوب مماسة ولا محاذاة عن يمين أو شمال فإذا قيدت بمعنى من المعاني دلت على المقارنة في ذلك المعنى فإنه يقال ما زلنا نسير والقمر معنا والنجم معنا
ويقال هذا المتاع معنا وهو لمجامعته لك وإن كان فوق رأسك فإنما الله مع خلقه حقيقة وهو فوق العرش حقيقة ثم هذه المعية تختلف أحكامها بحسب الموارد فلما قال (^ يعلم ما يلج في الأرض وما يخرج منها وما ينزل من السماء وما يعرج فيها وهو معكم أينما كنتم

والله بما تعملون بصير) دل ظاهر الخطاب على أن حكم هذه المعية ومقتضاها أنه مطلع عليكم عالم بكم
قال وهذا معنى قول السلف إنه معهم بعلمه
قال وهذا ظاهر الخطاب وحقيقته
قال وكذلك في قوله تعالى (^ ما يكون من نجوى ثلاثة) الآية وفي قوله
56. تعالى (^ لا تحزن إن الله معنا) (^ إن الله مع الذين اتقوا والذين هم محسنون) (^ إنني معكما أسمع وأرى)
قال ويقول أبو الصبي له من فوق السقف لا تخف أنا معك
تنبيها على المعية الموجبة لحكم الحال
فليفهم الناظر أدب هذا المدعي في هذا المثل وحسن ألفاظه في استثمار مقاصده
ثم قال ففرق بين المعية وبين مقتضاها المفهوم من معناها الذي يختلف باختلاف المواضع
فليفهم الناظر هذه العبارة التي ليست بالعربية ولا بالعجمية فسبحان المسبح باللغات المختلفة
قال فلفظ المعية قد استعمل في الكتاب والسنة في مواضع يقتضي في كل موضع أمورا لا يقتضيها في الموضع الآخر
هذه عبارته بحروفها
ثم قال فإما أن تختلف دلالتها بحسب المواضع أو تدل على قدر مشترك بين جميع مواردها وإن امتاز كل موضع بخاصية فليفهم تقسيم هذا المدعي وحسن تصرفه
قال فعلى التقديرين ليس مقتضاها أن تكون ذات الرب مختلطة بالخلق حتى يقال صرفت عن ظاهرها
ثم قال في موضع آخر من علم أن المعية تضاف إلى كل نوع من أنواع المخلوقات كإضافة الربوبية مثلا وأن الاستواء على العرش ليس إلا العرش وأن الله تعالى يوصف بالعلو والفوقية الحقيقية ولا يوصف بالسفول ولا بالتحتية قط لا حقيقة ولا مجازا علم أن القرآن على ما هو عليه من غير تحريف
فليفهم الناظر هذه المقدمات
57. القطعية وهذه العبارات الرائقة الجلية وحصر الاستواء على الشيء في العرش مما لا يقوله عاقل فضلا عن جاهل
ثم قال من توهم أن كون الله في السماء بمعنى أن السماء تحيط به وتحويه فهو كاذب إن نقله عن غيره وضال إن اعتقده في ربه وما سمعنا أحدا يفهمه من اللفظ ولا رأينا أحد نقله عن أحد
فليستفد الناظر أن الفهم يسمع

قال ولو سئل سائر المسلمين هل يفهمون من قول الله تعالى ورسوله أن الله تعالى في السماء تحويه لبادر كل أحد منهم إلى أن يقول هذا شيء لعله لم يخطر ببالنا وإذا كان الأمر هكذا فمن التكلف أن يجعل ظاهر اللفظ شيئا محالا لا يفهمه الناس منه ثم يريد أن يتأوله
قال بل عند المسلمين أن الله في السماء وهو على العرش واحد إذ السماء إنما يراد به العلو فالمعنى الله في العلو لا في السفل
هكذا قال هذا المدعى فليثن الناظر على هذه بالخناصر وليعض عليها بالنواجذ وليعلم أن القوم (^ يخربون بيوتهم بأيدهم وأيدي المؤمنين)

قال وقد علم المسلمون أن كرسيه تعالى وسع السموات والأرض وأن الكرسي في العرش كحلقة ملقاة بأرض فلاة وأن العرش خلق من مخلوقات الله تعالى لا نسبة له إلا قدرة الله وعظمته وكيف يتوهم متوهم بعد هذا أن خلقا يحصره ويحويه وقد قال تعالى (^ ولأصلبنكم في جذوع النخل) وقال تعالى (^ فسيروا في الأرض) بمعنى على ونحو ذلك وهو كلام عربي حقيقة لا مجاز
58. وهذا يعلمه من عرف حقائق معنى الحروف وأنها متواطئة في الغالب
هذا آخر ما تمسك به
فنقول أولا ما معنى قولك إن مع في اللغة للمقارنة المطلقة من غير مماسة ولا محاذاة وما هي المقارنة فإن لم يفهم من المقارنة غير صفة لازمة للجسمية حصل المقصود وإن فهم غيره فليتنبه حتى تنظر هل تفهم العرب من المقارنة ذلك أو لا
ثم قوله فإذا قيدت بمعنى من المعاني دلت على المقارنة في ذلك المعنى
فنقول له ومن نحا ذلك في ذلك
قوله إنها في هذه المواضع كلها بمعنى العلم
قلنا من أين لك هذا فإن قال من جهة قوله تعالى (^ ما يكون من نجوى ثلاثة إلا هو رابعهم) الآية دل ذلك على المعية بالعلم وأنه على سبيل الحقيقة
فنقول له قد كلت بالصاع الوافي فكل لنا بمثله واعلم أن فوق كما يستعمل في العلو في الجهة كذلك يستعمل في العلو في المرتبة والسلطنة والملك وكذلك الاستواء فيكونان متواطئين كما ذكرته حرفا بحرف وقد قال الله تعالى (^ وهو القاهر فوق عباده) وقال تعالى (^ وفوق كل ذي علم عليم) وقال الله تعالى (^ يد الله فوق أيديهم) وقال تعالى حكاية عن قوم فرعون (^ وإنا فوقهم قاهرون) وقال

تعالى (^ ورفعنا بعضهم فوق بعض درجات) ومعلوم أنه ليس المراد جهة العلو فأعد البحث وقل فوق العرش
59. بالاستيلاء
وكذا في حديث الأوعال وما فعلته في مع فافعله في فوق وخرج هذا كما خرجت ذلك وإلا اترك الجميع
ثم قوله ومن علم أن المعية تضاف إلى كل نوع من أنواع المخلوقات وأن الاستواء على الشيء ليس إلا العرش
قلنا حتى نبصر لك رجلا استعملها يعلم ما تقوله من غير دليل فإنك إن لم تقم دلالة على ذلك وإلا أبرزت لفظة تدل على تحت فوق للاستواء في جهة العلو فليت شعري من أين تعلم أن المعية بالعلم حقيقة وأن آية الاستواء على العرش وحديث الأوعال دالان على صفة الربوبية بالفوقية الحقيقية اللهم غفرا هذا لا يكون إلا بالكشف وإلا فالأدلة التي نصبها الله تعالى لتعرف بها ذاته وصفاته وشرائعه لم يورد هذا المدعي منها حرفا واحدا على وفق دعوى ولا ثبت له قدم إلا في مهوى
ثم قوله لا يوصف الله تعالى بالسفول والتحتية لا حقيقة ولا مجازا ليت شعري من ادعى له هذه الدعوى حتى يكلف الكلام فيها
ثم إن قوله بعد ذلك من توهم كون الله تعالى في السماء بمعنى أن السماء تحيط به وتحويه فهو كاذب إن نقله عن غيره وضال إن اعتقده في ربه
أيها المدعي قل ما تفهم وافهم ما تقول وكلم الناس كلام عاقل لعاقل تفيد وتستفيد إذا طلبت أن تستنبط من لفظة في الجهة وحملتها على حقيقتها هل يفهم منها غير الظرفية أو ما في معناها وإذا كان كذلك فهل يفهم عاقل أن الظرف ينفك عن إحاطة ببعض أو جميع ما يلزم ذلك وهل جرى هذا على سمع وهل من يخاطر أن في على حقيقتها في جهة ولا يفهم منها احتواء ولا إحاطة ببعض ولا كل فإن كان المراد أن يعزل الناس عقولهم وتتكلم أنت وهم يقلدون ويصدقون لم تأمن أن بعض المسئولين
60. من المخالفين للملة يأمرك بذلك ويثبت الباطل عليك
ثم قولك لو سئل سائر المسلمين هل يفهمون من قول الله تعالى ورسوله أن الله في السماء تحويه لبادر كل واحد منهم إلى أن يقول هذا شيء لعله لم يخطر ببالنا
فنقول ما الذي أردت بذلك إن أردت أن هذا اللفظ لا يعطي هذا المعنى فإياك أن تسأل عن هذا من هو عارف بكلام العرب فإنه لا يصدقك في أن هذا اللفظ لا يعطي هذا مع كون في للظرفية وأنها على حقيقتها في الجهة وإن أردت أن العقول تأبى ذلك في حق الله تعالى فلسنا نحن معك إلا في تقدير هذا ونفي كل ما يوهم نقصا في حق الله

تعالى
ثم قولك عند المسلمين أن الله في السماء وهو على العرش واحد لا ينبغي أن تضيف هذا الكلام إلا إلى نفسك أو إلى من تلقيت هذه الوصمة منه ولا تجعل المسلمين يرتبكون في هذا الكلام الذي لا يعقل
ثم استدللت على أن كون الله في السماء والعرش واحد بأن السماء إنما يراد بها العلو فالمعنى أن الله في العلو لا في السفل
قل لي هل قال الله تعالى ورسوله والسابقون الأولون من المهاجرين والأنصار رضي الله عنهم أجمعين أن الله تعالى في العلو لا في السفل وكل ما قلت من أول المقدمة إلى آخرها لو سلم لك لكان حاصلة أن الله تعالى وصف نفسه بأنه استوى على العرش وأن الله تعالى فوق العرش
وأما أن السماء المراد بها جهة العلو فما ظفرت كفاك بنقله
ثم قولك قد علم المسلون أن كرسيه تعالى وسع السموات والأرض وأن
61. الكرسي في العرش كحلقة ملقاة بأرض فلاة
فليت شعري إذا كان حديث الأوعال يدلك على أن الله فوق العرش فكيف يجمع بينه وبين طلوع الملائكة إلى السماء التي فيها الله وكيف يكون مع ذلك في السماء حقيقة ولعلك تقول إن المراد بهما جهة العلو توفيقا فليت شعري أيمكن أن تقول بعد هذا التوفيق العاري عن التوقيف والتوفيق إن الله في السماء حقيقة وعلى السماء حقيقة وفي العرش حقيقة وعلى العرش حقيقة ثم حقيقة السماء هي هذه المشاهدة المحسوسة يطلق عليها هذا الاسم من لم يخطر بباله السمو وأما أصل الاشتقاق فذلك لا مزية لها فيه على السقف والسحاب فتبارك الله خالق العقول
ثم قولك بعد ذلك العرش من مخلوقات الله تعالى لا نسبة له إلا قدرة الله وعظمته
وقع إلينا إلا قدرة الله فإن كانت بألف لام ألف كما وقع إلينا فقد نفيت العرش وجعلت الجهة هي العظمة والقدرة وصار معنى كلامك جهة الله عظمته وقدرته
والآن قلت ما لا يفهم ولا قاله أحد وإن كان كلامك بألف لام ياء فقد صدقت وقلت الحق ومن قال خلاف ذلك ولعمري قد رممنا لك هذا المكان ولقناك إصلاحه
ثم قلت كيف يتوهم بعد هذا أن خلقا يحصره أو يحويه
قلنا نعم ومن أي شيء بلاؤنا إلا ممن يدعي الحصر أو يوهمه
ثم قلت وقد قال الله تعالى (^ ولأصلبنكم في جذوع النخل) أو ما

علمت أن التمكن الاستقراري حاصل في الجذع فإن تمكن المصلوب في الجذع

62. كتمكن الكائن في الظرف وكذلك الحكم في قوله تعالى (^ قل سيروا في الأرض) وهذا الذي ذكرناه هو الجواب عن حديث الأوعال وحديث قبض الروح وحديث عبد الله بن رواحة رضي الله عنه وحديث أمية بن أبي الصلت وما قال من قوله

(مجدوا الله فهو أهل لمجد % ربنا في السماء أمسى كبيرا)

فيقال للمدعي إن كنت ترويه في السماء فقط ولا تتبعها أمسى كبيرا فربما يوهم ما تدعيه لكن لا يبقى شعرا ولا قافية وإن كان قال ربنا في السماء أمسى كبيرا فقل مثل ما قال أمية وعند ذلك لا يدرى هل هو كما قلت أو قال إن الله كبير في السماء

فإن قلت وهو كبير في الأرض فلم خصت السماء

قلنا التخصيص بما أشرنا إليه من أن تعظيم أهل السموات أكثر من تعظيم أهل الأرض له فليس في الملائكة من ينحت حجرا ويعبده ولا فيهم دهري ولا معطل ولا مشبه وخطاب أمية لكفار العرب الذين اتخذوا هبل ومناة واللات والعزى وغير ذلك من الأنداد وقد علمت العرب أن أهل السماء أعلم منهم حتى كانوا يتمسكون بحديث الكاهل الذي كان يتلقف من الجني الذي يسترق الكلمة من الملك فيضيف إليها مائة كذبة فكيف اعتقادهم في الملائكة فلذلك احتج عليهم أمية بالملائكة هذا ليس ببعيد ولا خلافه قطعي

63. ثم قال من المعلوم بالضرورة أن الرسول المبلغ عن الله ألقى إلى أمته المدعوين أن الله تعالى على العرش وأنه فوق السماء فنقول له هذا ليس بصحيح بالصريح بل ألقى إليهم أن الله استوى على العرش هذا الذي تواتر من تبليغ هذا النبي وما ذكره المدعي من هذا الإخبار فأخبار آحاد لا يصدق عليها جمع كثرة ولا حجة له فيها وذلك واضح لمن سمع كلام الرسول ونزله على استعمال العرب وإطلاقاتها ولم يدخل عليها غير لغتها

ثم قلت كما فطر الله جميع الأمم عربهم وعجمهم في الجاهلية والإسلام إلا من اجتالته الشياطين عن فطرته

هذا كلام من أوله إلى آخره معارض بالميل والترجيح معا

ثم قلت عن السلف في ذلك من الأقوال ما لو جمعته لبلغت مائتين ألوفا

فنقول إن أردت بالسلف سلف المشبهة كما سيأتي في كلامك فربما قاربت وإن أردت سلف الأمة الصالحين فلا حرفا ولا شطر حرف وها نحن معك في مقام ومضمار بحول الله وقوته

ثم قلت ليس في كتاب الله تعالى ولا سنة رسول ولا عن أحد من سلف الأمة لا من الصحابة ولا من التابعين حرف واحد يخالف ذلك لا نص ولا ظاهر
قلنا ولا عنهم كما ادعيت أنت ولا نص ولا ظاهر وقد صدرت أولا أنك تقول ما قاله الله ورسوله والسابقون الأولون من المهاجرين والأنصار ثم دارت الدائرة على أن المراد بالسابقين الأولين من المهاجرين والأنصار مشايخ عقيدتك وعزلت العشرة وأهل بدر
64. والحديبية عن السبق والتابعين عن المتابعة وتولي هؤلاء لا غير (^ الله أعلم حيث يجعل رسالاته)
ثم قولك لم يقل أحد منهم إنه ليس في غير السماء ولا إنه ليس على العرش ولا إنه في كل مكان ولا إن جميع الأمكنة بالنسبة إليه سواء ولا إنه داخل العالم ولا خارجه ولا متصل ولا منفصل
قلنا لقد عممت الدعوى فذكرت ما لم تحط به علما وقد ذكرنا لك عن جعفر الصادق والجنيد والشبلي وجعفر بن نصير وأبي عثمان المغربي رضي الله عنهم ما فيه كفاية فإن طعنت في نقلنا أو في هذه السادة طعنا في نقلك وفيمن أسندت إليه من أهل عقيدتك خاصة فلم يوافقك على ما ادعيته غيرهم
ثم إنك أنت الذي قد قلت ما لم يقله الله ولا رسوله ولا السابقون الأولون من المهاجرين والأنصار ولا من التابعين ولا من مشايخ الأمة الذين لم يدركوا الأهواء فما نطق أحد منهم بحرف في أن الله تعالى في جهة العلو وقد قلت وصرحت وبحثت وفهمت بأن ما ورد من أنه في السماء وفوق السماء وفي العرش وفوق العرش المراد به جهة العلو فقل لنا من قال هذا هل قاله الله أو رسوله أو السابقون الأولون من المهاجرين والأنصار أو التابعين لهم بإحسان فلم تهول علينا بالأمور المغمغمة وبالله المستعان
ثم استدل على جواز الإشارة الحسية إليه بالأصابع ونحوها بما صح أنه في خطبة عرفات جعل يقول (ألا هل بلغت) فيقولون نعم فيرفع
65. أصبعه إلى السماء وينكتها إليهم ويقول (اللهم اشهد) غير مرة
ومن أي دلالة يدل هذا على جواز الإشارة إليه هل صدر منه إلا أنه رفع أصبعه ثم نكتها إليهم هل في ذلك دلالة على أن رفعه كان يشير به إلى جهة الله تعالى ولكن هذا من عظيم ما رسخ في ذهن هذا المدعي من حديث الجهة حتى إنه لو سمع مسألة من عويص الفرائض والوصايا وأحكام الحيض لقال هذه دالة على الجهة
ثم أتى بالطامة الكبرى والداهية الدهياء وقال فإن كان الحق ما يقوله هؤلاء السابقون النافون من هذه العبارات ونحوها دون ما يفهم من

الكتاب والسنة إما نصا أو ظاهرا كيف يجوز على الله تعالى ثم على رسوله ثم على خير الأمة أنهم يتكلمون دائما بما هو نص أو ظاهر في خلاف الحق ثم الحق الذي يجب اعتقاده لا يبوحون به قط ولا يدلون عليه لا نصا ولا ظاهرا حتى يجيء أنباط الفرس والروم وأفراخ الهنود يبينون للأمة العقيدة الصحيحة التي يجب على كل مؤلف أو فاضل أن يعتقدها لئن كان ما يقوله هؤلاء المتكلمون المتكلفون هو الاعتقاد الواجب وهم مع ذلك أحيلوا على مجرد عقولهم وأن يدفعوا لمقتضى قياس عقولهم ما دل عليه الكتاب والسنة نصا أو ظاهرا لقد كان ترك الناس بلا كتاب ولا سنة أهدى لهم وأنفع على هذا التقدير بل كان وجود الكتاب والسنة ضررا

66. محضا في أصول الدين فإن حقيقة الأمر على ما يقوله هؤلاء أنكم يا معشر العباد لا تطلبوا معرفة الله سبحانه وتعالى وما يستحق من الصفات نفيا ولا إثباتا لا من الكتاب ولا من السنة ولا من طريق سلف الأمة ولكن انظروا أنتم فما وجدتموه مستحقا له من الصفات فصفوه به سواء كان موجودا في الكتاب والسنة أو لم يكن وما لم تجدوه مستحقا له في عقولكم فلا تصفوه بها

ثم قال هما فريقان أكثرهم ما يقول ما لم تثبته عقولكم فانفوه ومنهم من يقول بل توقفوا فيه

وما نفاه قياس عقولكم الذي أنتم فيه مختلفون ومضطربون اختلافا أكثر من جميع اختلاف على وجه الأرض فانفوه وإليه عند الشارع فارجعوا فإن الحق الذي تعبدتكم به وما كان مذكورا في الكتاب والسنة مما يخالف قياسكم هذا أو يثبت ما لم تدركه عقولكم على طريقة أكثرهم فاعلموا أنني امتحنتكم بتنزيله لا لتأخذوا الهدى منه لكن لتجتهدوا في تخريجه على شواذ اللغة ووحشي الألفاظ وغرائب الكلام أو تسكتوا عنه مفوضين علمه إلي

هذا حقيقة الأمر على رأي المتكلمين

هذا ما قاله وهو الموضع الذي صرع فيه وتخبطه الشيطان من المس فنقول ما تقول فيما ورد من ذكر العيون بصفة الجمع وذكر الجنب وذكر الساق الواحد وذكر الأيدي فإن أخذنا بظاهر هذا يلزمنا إثبات شخص له وجه واحد عليه عيون كثيرة وله جنب واحد وعليه أيد كثيرة وله ساق واحد فأي شخص يكون

67. في الدنيا أبشع من هذا وإن تصرفت فيه هذا بجمع وتفريق بالتأويل فلم لا ذكره الله ورسوله وسلف الأمة

وقوله تعالى في الكتاب العزيز (^ الله نور السموات والأرض) فكل عاقل يعلم أن النور الذي على الحيطان والسقوف وفي الطرق والحشوش ليس هو الله تعالى ولا قالت المجوس بذلك فإن قلت بأنه

هادي السموات والأرض ومنورها فلم لا قاله الله تعالى ولا رسوله ولا سلف الأمة
وورد قوله تعالى (^ ونحن أقرب إليه من حبل الوريد) وذلك يقتضي أن يكون الله داخل الزردمة فلم لا بينه الله ولا رسوله ولا سلف الأمة
وقال تعالى (^ واسجد واقترب) ومعلوم أن التقرب في الجهة ليس إلا بالمسافة فلم لا بينه الله تعالى ولا رسوله ولا سلف الأمة
وقال تعالى (^ فأينما تولوا فثم وجه الله) وقال تعالى (^ وجاء ربك) وقال تعالى (^ فأتى الله بنيانهم من القواعد) وقال تعالى (^ ما يأتيهم من ذكر من ربهم محدث)
.68
وقال حكاية عن ربه عز وجل (من تقرب إلي شبرا تقربت إليه ذراعا ومن تقرب إلي ذراعا تقربت منه باعا ومن أتاني يمشي أتيته هرولة) وما صح في الحديث (أجد نفس الرحمن من قبل اليمن) ومن قوله (الحجر الأسود يمين الله في الأرض) ومن قوله حكاية عن ربه سبحانه وتعالى (أنا جليس من ذكرني)
وكل هذه هل تأمن من المجسم أن يقول لك ظواهر هذه كثرة تفوت الحصر أضعاف أحاديث الجهة فإن كان الأمر كما يقول في نفي الجسمية مع أنه لم يأت في شيء من هذه ما يبن خلاف ظواهرها لا عن الله تعالى ولا عن رسوله ولا عن سلف الأمة فحينئذ يكيل لك المجسم بصاعك ويقول لك لو كان الأمر كما قلت لكان ترك الناس بلا كتاب ولا سنة أهدى لهم
وإن قلت إن العمومات قد بينت خلاف ظواهر هذه لم نجد منها نافيا للجسمية إلا وهو ناف للجهة
ثم ما يؤمنك من تناسخي يفهم من قوله (^ في أي صورة ما شاء ركبك) مذهبه من معطل يفهم من قوله تعالى (^ مما تنبت الأرض) مراده فحينئذ لا تجد مساغا لما تغص به من ذلك إلا الأدلة الخارجة عن هذه الألفاظ ثم صار
.69 حاصل كلامك أن مقالة الشافعية والحنفية والمالكية يلزمها أن يكون ترك الناس بلا كتاب ولا سنة أهدى لهم أفتراهم يكفرونك بذلك أم لا
ثم جعلت أن مقتضى كلام المتكلمين أن الله تعالى ورسوله وسلف الأمة تركوا العقيدة حتى بينها هؤلاء فقل لنا إن الله ورسوله وسلف الأمة بينوها ثم انقل عنهم أنهم قالوا كما تقول إن الله تعالى في جهة العلو لا في جهة السفل وإن الإشارة الحسية جائزة إليه فإذا لم تجد ذلك في كتاب الله تعالى ولا كلام رسوله ولا كلام أحد من العشرة ولا كلام أحد من السابقين الأولين من المهاجرين والأنصار رضي الله عنهم

فعد على نفسك باللائمة وقل لقد ألزمت القوم بما لا يلزمهم ولو لزمهم لكان عليك اللوم

ثم قلت عن المتكلمين إنهم يقولون ما يكون على وفق قياس العقول فقولوه وإلا فانفوه

والقوم لم يقولوا ذلك بل قالوا صفة الكمال يجب ثبوتها لله وصفة النقص يجب نفيها عنه

كما قاله الإمام أحمد رضي الله عنه قالوا وما ورد من الله تعالى ومن رسوله فليعرض على لغة العرب التي أرسل الله تعالى محمدا بلغتها كما قال تعالى (^ وما أرسلنا من رسوله إلا بلسان قومه) فما فهمت العرب فافهمه ومن جاءك بما يخالفه فانبذ كلامه نبذ الحذاء المرقع واضرب بقوله حائط الحش

ثم نعقد فصلا إن شاء الله تعالى بعد إفساد ما نزع به في سبب ورود هذه الآيات على هذا الوجه فإنه إنما تلقف ما نزغ به في مخالفة الجماعة وأساء القول على الملة من حثالة الملاحدة الطاعنين في القرآن وسنبين إن شاء الله تعالى ضلالهم ويعلم إذ ذاك

70. من هو من فراخ الفلاسفة والهنود ثم لو استحيى الغافل لعرف مقدار علماء الأمة رحمهم الله تعالى ثم هل رأى من رد على الفلاسفة والهنود والروم والفرس غير هؤلاء الذين جعلهم فراخهم وهل اتكلوا في الرد على هذه الطوائف على قوم لا عقل لهم ولا بصيرة ولا إدراك ثم يذرونهم يستدلون على إثبات الله تعالى في الحجاج على منكره بالنقل وعلى منكري النبوة بالنقل حتى يصير مضغة للماضغ وضحكة للمستهزئ وشماتة للعدو وفرحا للحسود وفي قصة الحسن بن زياد اللؤلؤي عبرة للمعتبر

ثم أخذ بعد هذا في أن الأمور العامة إذا نفيت عنها إنما يكون دلالتها على سبيل الإلغاز

قلنا وكذلك المجسم يقول لك دلالة الأمور العامة على نفي الجسمية إلغاز

ثم قال بعد هذا يا سبحان الله كيف لم يقل الرسول يوما ما الدهر ولا أحد من سلف الأمة هذه الآيات والأحاديث لا تعتقدوا ما دلت عليه فيقال له ما الذي دلت عليه حتى يقولوا إنه لا يعتقد هذا تشنيع بحت

ثم يقول لك المجسم يا سبحان الله لم لم يقل رسول الله ولا أحد من سلف الأمة إن الله تعالى ليس بجسم ولا قالوا لا تعتقدوا من الأحاديث الموهمة للجسمية ظواهرها

71.

ثم استدل بقوله في صفة الفرقة الناجية (هو من كان على مثل ما أنا عليه اليوم وأصحابي) قال المدعي فهلا قال من تمسك بظاهر القرآن

في آيات الاعتقاد فهو ضال وإنما الهدى رجوعكم إلى مقاييس عقولكم فليعلم الناظر أنه ها هنا باهت وزخرف وتشبع بما لم يعطه فإنه قد ثبت أن طريق رسول الله وأصحابه رضي الله عنهم الكف عن ذلك فما نحن الآمرون به وأنه هو ليس بساكت بل طريقه الكلام وأمر الدهماء بوصف الله تعالى بجهة العلو وتجويز الإشارة الحسية إليه فليت شعري من الموافق رسول الله وأصحابه ولكن صدق القائل رمتني بدائها وانسلت

ثم المجسم يقول له حذو النعل بالنعل ما قاله لنا ونقول له لم لا قال رسول الله الناجية من قال إن الله في جهة العلو وإن الإشارة الحسية إليه جائزة فإن قال هذه طريقة السلف وطريقة الصحابة قلنا من أين لك هذا ثم لا تأمن من كل مبتدع أن يدعي ذلك

ثم أفاد المدعي وأسند أن هذه المقالة مأخوذة من تلامذة اليهود والمشركين وضلال الصابئين

قال فإن أول من حفظ عنه هذه المقالة الجعد بن درهم وأخذها عنه جهم

72. ابن صفوان وأظهرا فنسبت مقالة الجهمية إليه قال والجعد أخذها عن أبان بن سمعان وأخذها أبان من طالوت بن أخت لبيد بن الأعصم وأخذها طالوت من لبيد اليهودي الذي سحر النبي

قال وكان الجعد هذا فيما يقال من أهل حران

فيقال له أيها المدعي أن هذه المقالة مأخوذة من تلامذة اليهود قد خالفت الضرورة في ذلك فإنه ما يخفى على جميع الخواص وكثير من العوام أن اليهود مجسمة مشبهات فكيف يكون ضد التجسيم والتشبيه مأخوذا عنهم وأما المشركون فكانوا عباد أوثان وقد بينت الأئمة أن عبدة الأصنام تلامذة المشبهة وأن أصل عبادة الصنم التشبيه فكيف يكون نفيه مأخوذا عنهم وأما الصابئة فبلدهم معروف وإقليمهم مشهور وهل نحن منه أو خصومنا وأما كون الجعد ابن درهم من أهل حران فالنسبة صحيحة وترتيب هذا السند الذي ذكره سيسأله الله تعالى عنه والله من ورائه بالمرصاد وليت لو أتبعه أن سند دعواه وعقيدته أن فرعون ظن أن إله موسى في السماء

ثم أضاف المقالة إلى بشر المريسي وذكر أن هذه التأويلات هي التي أبطلتها الأئمة ورد بها على بشر وأن ما ذكره الأستاذ أبو بكر بن فورك والإمام فخر الدين الرازي قدس الله روحهما هو ما ذكره بشر وهذا بهرج لا يثبت على محك النظر القويم ولا معيار الفكر المستقيم فإنه من المحال أن تنكر الأئمة على بشر أن يقول ما تقوله العرب وهذان الإمامان ما قالا إلا ما قالته العرب وما الإنكار على بشر إلا فيما يخالف فيه لغة العرب وأن يقول عنها ما لم تقله

.73
ثم أخذ بعد ذلك في تصديق عزوته إلى المهاجرين والأنصار رضي الله عنهم وشرع في النقل عنهم فقال قال الأوزاعي كنا والتابعون متوافرون نقول إن الله تعالى ذكره فوق عرشه
فنقول له أول ما بدأت به الأوزاعي وطبقته ومن بعدهم فأين السابقون الأولون من المهاجرين والأنصار وأما قول الأوزاعي فأنت قد خالفته ولم تقل به لأنك قلت إن الله ليس فوق عرشه لأنك قررت أن العرش والسماء ليس المراد بهما إلا جهة العلو وقلت المراد من فوق عرشه والسماء ذلك فقد خالفت قول الأوزاعي صريحا مع أنك لم تقل قط ما يفهم فإن قررت أن السماء في العرش كحلقة ملقاة في فلاة فكيف تكون هي هو ثم من أين لك صحة هذا النقل عن الأوزاعي
وبعد مسامحتك في كل ذلك ما قال الأوزاعي الله فوق العرش حقيقة فمن أين لك هذه الزيادة
ونقل عن مالك بن أنس والثوري والليث والأوزاعي أنهم قالوا في أحاديث الصفات أمروها كما جاءت
فيقال له لم لا أمسكت على ما أمرت به الأئمة بل وصفت الله بجهة العلو ولم يرد بذلك خبر ولو بذلت قراب الأرض ذهبا على أن تسمعها من عالم رباني لم تفرح بذلك بل تصرفت ونقلت على ما خطر لك وما أمررت ولا أقررت ولا امتثلت ما نقلته عن الأئمة
وروى قول ربيعة ومالك الاستواء غير مجهول
فليت شعري من قال إنه مجهول بل أنت زعمت أنه لمعنى عينته وأردت أن تعزوه إلى الإمامين ونحن لا نسمح لك بذلك
.74
ثم نقل عن مالك أنه قال للسائل الإيمان به واجب والسؤال عنه بدعة وما أراك إلا مبتدعا
فأمر به فأخرج
فيقال له ليت شعري من امتثل منا قول مالك هل امتثلناه نحن حيث أمرنا بالإمساك وألجمنا العوام عن الخوض في ذلك أو الذي جعله دراسته يلقيه ويلفقه ويلقنه ويكتبه ويدرسه ويأمر العوام بالخوض فيه وهل أنكر على المستفتي في هذه المسألة بعينها وأخرجه كما فعل مالك رضي الله عنه فيها بعينها وعند ذلك يعلم أن ما نقله عن مالك حجة عليه لا له
ثم نقل عن عبد العزيز بن عبد الله بن أبي سلمة الماجشون أنه قال وقد سئل عما جحدت به الجهمية أما بعد فقد فهمت فيما سألت فيما للسامعت الجهمية ومن خالفها في صفة الرب العظيم الذي فاقت عظمته الوصف والتقدير وكلت الألسن عن تفسير صفته وانحسرت

العقول دون معرفة قدرته ردت عظمته العقول فلم تجد مساغا فرجعت خاسئة وهي حسيرة وإنما أمروا بالنظر والتفكر فيما خلق بالتقدير وإنما يقال كيف لمن لم يكن مرة ثم كان فأما الذي لا يحول ولا يزول ولم يزل وليس له مثل فإنه لا يعلم كيف هو إلا هو وكيف يعرف قدر من لم يبدأ ومن لا يموت ولا يبلى وكيف يكون لصفة شيء منه حد أو منتهى يعرفه عارف أو يحد قدره واصف على أنه الحق المبين لا حق أحق منه ولا شيء أبين منه

والدليل على عجز العقول عن تحقيق صفته عجزها عن تحقيق صفة أصغر خلقه فلا تكاد تراه صغيرا يحول ويزول ولا يرى له سمع ولا بصر بل ما يتقلب به

75. ويحتال من عقله أعضل بك وأخفى عليك مما ظهر من سمعه وبصره فتبارك الله أحسن الخالقين وخالقهم وسيد السادات وربهم

ثم نقل عنه الأحاديث الواردة في الصفات وذكر قوله (^ والأرض جميعا قبضته يوم القيامة والسموات مطويات بيمينه) قال فوالله ما دلهم على عظيم ما وصف من نفسه وما تحيط به قبضته إلا صغر نظرها منهم عندهم أن ذلك الذي ألقي في روعهم وخلق على معرفة قلوبهم فما وصف من نفسه فسماه على لسان رسول الله سميناه كما سماه ولم نتكلف منه صفة ما سواه لا هذا ولا هذا لا نجحد ما وصف ولا نتكلف معرفة ما لم يصف

وبسط الماجشون كلامه في تقرير هذا

فنقول لهذا الحاكي نعم الحجة أتيت بها ولكن لنا ونعم السلاح حملت ولكن للعدى

أما كلام عبد العزيز رضي الله عنه وما ذكر من كبرياء الله وعظمته وأنها تحير العقول وتشده الفهوم فهذا قاله العلماء نظما ونثرا وأنت أزريت على سادات الأئمة وأعلام الأمة في ثاني صفحة نزغت بها حيث اعترفوا بالعجز والتقصير ونعيت عليهم ذلك وعددته عليهم ذنبا وأنت معذور وهم معذورون وجعلت قول عبد العزيز حجتك وقد ذكر في القبضة ما يقوله المتكلمون في كل موضع

76. وأمر عبد العزيز أن يصف الرب بما وصف به نفسه وأن يسكت عما وراء ذلك وذلك قولنا وفعلنا وعقدنا وأنت وصفته بجهة العلو وما وصف بها نفسه وجوزت الإشارة الحسية إليه وما ذكرها ونحن أمررنا الصفات كما جاءت وأنت جمعت بين العرش والسماء بجهة العلو وقلت في السماء حقيقة وفي العرش حقيقة فسبحان واهب العقول ولكن كان ذلك في الكتاب مسطورا

ثم ذكر عن محمد بن الحسن اتفاق الفقهاء على وصف الرب ما جاء في القرآن وأحاديث الصفات

فنقول له نحن لا نترك من هذا حرفا وأنت قلت أصف الرب تعالى بجهة العلو وأجوز الإشارة الحسية إليه فأين هذا في القرآن وأخبار الثقات ما أفدتنا في الفتيا من ذلك شيئا

ونقل عن أبي عبيد الله القاسم بن سلام رضي الله عنه أنه قال إذا سئلنا عن تفسيرها لا نفسرها وأنه قال ما أدركنا أحدا يفسرها

فنقول له الحمد لله حصل المقصود ليت شعري من فسر السماء والعرش وقال معناهما جهة العلو ومن ترك تفسيرهما وأمرهما كما جاءا

ثم نقل عن ابن المبارك رضي الله عنه أنه قال يعرف ربنا بأنه فوق سمائه على عرشه بائن من خلقه ولا نقول كما تقول الجهمية إنه هاهنا في الأرض

فنقول له قد نص عبد الله أنه فوق سمائه على عرشه فهل قال عبد الله إن السماء والعرش واحد وهي جهة العلو

.77

ونقل عن حماد بن زيد أنه قال هؤلاء الجهمية إنما يحاولون أن يقولوا ليس في السماء شيء

فنقول له أيضا أنت قلت بمقالتهم فإنك صرحت بأن السماء ليس هي ذاتها بل المعنى الذي اشتقت منه وهو السمو وفسرته بجهة العلو فالأولى لك أن تنعى على نفسك ما نعاه حماد على الجهمية

ونقل عن ابن خزيمة أن من لم يقل إن الله فوق سمواته على عرشه بائن من خلقه وجب أن يستتاب فإن تاب وإلا ضربت عنقه ثم ألقي على مزبلة لئلا يتأذى به أهل القبلة وأهل الذمة

فيقال له الجواب عن مثل هذا قد تقدم على أن ابن خزيمة قد علم الخاص والعام حديثه في العقائد والكتاب الذي صنفه في التشبيه وسماه بالتوحيد ورد الأئمة عليه أكثر من أن يذكر وقولهم فيه ما قاله هو في غيره معروف

ونقل عن عباد الواسطي وعبد الرحمن بن مهدي وعاصم بن علي بن عاصم نحوا مما نقله عن حماد وقد بيناه

ثم ذكر بعد ذلك ما صح عن أنس بن مالك رضي الله عنه قال كانت زينب تفتخر على أزواج النبي تقول زوجكن أهاليكن وزوجني الله من فوق سبع سموات

فنقول ليس في هذا الحديث أن زينب قالت إن الله فوق سبع سموات بل إن تزويج الله إياها كان من فوق سبع سموات

.78

ثم نقل عن أبي سليمان الخطابي ما نقله عن عبد العزيز الماجشون وقد بينا موافقتنا له ومخالفته لذلك

وحكاه أيضا عن الخطيب وأبي بكر الإسماعيلي ويحيى بن عمار وأبي إسماعيل الهروي وأبي عثمان الصابوني
وحكى عن أبي نعيم الأصبهاني أن الأحاديث الثابتة في الاستواء يقولون بها ويثبتونها من غير تكييف ولا تمثيل ولا تشبيه وهو مستو على عرشه في سمائه دون أرضه
وحكاه عن معمر الأصبهاني وقد بينا لك غير ما مرة أنه مخالف لهذا وأنه ما قال به طرفة عين إلا ونقضه لأن السماء عنده ليست هي المعروفة وأن السماء والعرش لا معنى لهما إلا جهة العلو
وحكى عن عبد القادر الجيلي أنه قال الله بجهة العلو مستو على عرشه
فليت شعري لم احتج بكلامه وترك مثل جعفر الصادق والشبلي والجنيد وذي النون والمصري وجعفر بن نصير وأضرابهم رضي الله عنهم
وأما ما حكاه عن أبي عمر بن عبد البر فقد علم الخاص والعام مذهب الرجل ومخالفة الناس له ونكير المالكية عليه أولا وآخرا مشهور ومخالفته لإمام المغرب أبي الوليد الباجي معروفة حتى إن فضلاء المغرب يقولون لم يكن أحد بالمغرب يرى هذه المقالة غيره وغير ابن أبي زيد على أن العلماء منهم من قد اعتذر عن ابن أبي زيد بما هو موجود في كلام القاضي الأجل أبي محمد عبد الوهاب البغدادي المالكي رحمه الله
ثم إنه قال إن الله في السماء على العرش من فوق سبع سموات ولم يعقل ما معنى في السماء على العرش من فوق سبع سموات .79
ثم إن ابن عبد البر ما تأول هذا الكلام ولا قال كمقالة المدعي إن المراد بالعرش والسماء جهة العلو
ثم نقل عن البيهقي رحمه الله ما لا تعلق له بالمسألة وأعاد كلام من سبق ذكره
ثم ذكر بعد ذلك شيخنا أبا الحسن علي بن إسماعيل الأشعري وأنه يقول الرحمن على العرش استوى ولا نتقدم بين يدي الله تعالى في القول بل نقول استوى بلا كيف
وهذا الذي نقله عن شيخنا هو نحلتنا وعقيدتنا لكن نقله لكلامه ما أراه إلا قصد الإيهام أن الشيخ يقول بالجهة فإن كان كذلك فلقد بالغ في البهت
وكلام الشيخ في هذا أنه قال كان ولا مكان فخلق العرش والكرسي فلم يحتج إلى مكان وهو بعد خلق المكان كما كان قبل خلقه
وكلامه وكلام أصحابه رحمهم الله يصعب حصره في إبطالها

ثم حكى ذلك عن القاضي أبي بكر وإمام الحرمين
ثم تمسك برفع الأيدي إلى السماء وذلك إنما كان لأجل أن السماء منزل البركات والخيرات فإن الأنوار إنما تنزل منها والأمطار وإذا ألف الإنسان حصول الخيرات من جانب مال طبعه إليه فهذا المعنى الذي أوجب رفع الأيدي إلى السماء وقال الله تعالى (^ وفي السماء رزقكم وما توعدون)
ثم إن اكتفى بمثل هذه الدلالة في مطالب أصول العقائد فما يؤمنه من
80. مدع يقول الله تعال في الكعبة لأن كل مصل يوجه وجهه إليها ويقول (^ وجهت وجهي للذي فطر السموات والأرض)
أو يقول الله في الأرض فإن الله تعالى قال (^ كلا لا تطعه واسجد واقترب) والاقتراب بالسجود في المسافة إنما هو في الأرض
وقال النبي (أقرب ما يكون العبد في سجوده)
ثم ذكر بعد ذلك ما أجبنا عنه من حديث الأوعال
وذكر بعد ذلك ما لا تعلق له بالمسئلة وأخذ يقول إنه حكى عن السلف مثل مذهبه وإلى الآن ما حكى مذهبه عن أحد لا من سلف ولا من خلف غير عبد القادر الجيلي وفي كلام ابن عبد البر بعضه وأما العشرة وباقي الصحابة رضي الله عنهم فما نبس عنهم بحرف
ثم أخذ بعد ذلك في مواعظ وأدعية لا تعلق لها بهذا
ثم أخذ في سب أهل الكلام ورجمهم وما ضر القمر من نبحه
وقد تبين بما ذكرناه أن هذا الحبر الحجة يرجم فتياه أنه يقول ما قاله الله ورسوله والسابقون الأولون من المهاجرين والأنصار ولم ينقل مقالته عن أحد من الصحابة
وإذا قد أتينا على إفساد كلامه وإيضاح إيهامه وإزالة إبهامه ونقض إبرامه وتنكيس أعلامه فلنأخذ بعد هذا فيما يتعلق بغرضنا وإيضاح نحلتنا فنقول وبالله التوفيق
على سامع هذه الآيات والأخبار المتعلقة بالصفات ما قدمناه من الوظائف وهي التقديس والإيمان والتصديق والاعتراف بالعجز والسكوت والإمساك عن التصرف في الألفاظ الواردة وكف الباطن عن التفكر في ذلك واعتقاده أن ما خفي عنه
81. لم يخف عن رسول الله ولا عن الصديق ولا عن أكابر الصحابة رضي الله عنهم
ولنأخذ الآن في إبراز اللطائف من خفيات هذه الوظائف فأقول وبالله المستعان
أما التقديس فهو أن يعتقد في كل آية أو خبر معنى يليق بجلال الله تعالى مثال ذلك إذا سمع قوله (إن الله ينزل كل ليلة إلى سماء الدنيا

) وكان النزول يطلق على ما يفتقر إلى جسم عال وجسم سافل وجسم منتقل من العالي إلى السافل والزوال انتقال جسم من علو إلى سفل ويطلق على معنى آخر لا يفتقر إلى انتقال ولا حركة جسم كما قال تعالى (^ وأنزل لكم من الأنعام ثمانية أزواج) مع أن النعم لم تنزل من السماء بل هي مخلوقة في الأرحام قطعا فالنزول له معنى غير حركة الجسم لا محالة

وفهم ذلك من قول الإمام الشافعي رضي الله عنه دخلت مصر فلم يفهموا كلامي فنزلت ثم نزلت ثم نزلت

ولم يرد حينئذ الانتقال من علو إلى سفل

فليتحقق السامع أن النزول ليس بالمعنى الأول في حق الله تعالى فإن الجسم على الله محال

وإن كان لا يفهم من النزول الانتقال فيقال له من عجز عن فهم نزول البعير فهو عن فهم نزول الله عز وجل أعجز

فاعلم أن لهذا معنى يليق بجلاله

وفي كلام عبد العزيز الماجشون السابق إلى هذا مرامز

وكذلك لفظة فوق الواردة في القرآن والخبر فليعلم أن فوق تارة تكون للجسمية وتارة للمرتبة كما سبق فليعلم أن الجسمية على الله محال

وبعد ذلك إن له معنى يليق بجلاله تعالى

.82

وأما اِلإيمان والتصديق به فهو أن يعلم أن رسول الله صادق في وصف الله تعالى بذلك وما قاله حق لا ريب فيه بالمعنى الذي أراده والوجه الذي قاله وإن كان لا يقف على حقيقته ولا يتخبطه الشيطان فيقول كيف أصدق بأمر جملي لا أعرف عينه بل يخزي الشيطان ويقول كما إذا أخبرني صادق أن حيوانا في دار فقد أدركت وجوده وإن لم أعرف عينه فكذلك هاهنا

ثم ليعلم أن سيد الرسل قد قال (لا أحصي ثناء عليك أنت كما أثنيت على نفسك) وقال سيد الصديقين رضي الله عنه العجز عن درك الإدراك إدراك

وأما الاعتراف بالعجز فواجب على كل من لا يقف على حقيقة هذه المعاني الإقرار بالعجز فإن ادعى المعرفة فقد كلف وكل عارف وإن عرف فما خفي عليه أكثر

وأما السكوت فواجب على العوام لأنه بالسؤال يتعرض لما لا يطيقه فهو إن سأل جاهلا زاده جهلا وإن سأل عالما لم يمكن العالم إفهامه كما لا يمكن البالغ تعليم الطفل لذة الجماع وكذلك تعليمه مصلحة البيت وتدبيره بل يفهمه مصلحته في خروجه إلى المكتب

فالعامي إذا سأل عن مثل هذا يزجر ويردع ويقال له ليس هذا بعشك فادرجي
وقد أمر مالك بإخراج من سأله فقال ما أراك إلا رجل سوء وعلاه الرحضاء وكذلك فعل عمر رضي الله عنه بكل من سأل عن الآيات المتشابهة وقال
83. (إنما هلك من كان قبلكم بكثرة السؤال)
وورد الأمر بالإمساك عن القدر فكيف عن الصفات
وأما الإمساك عن التصرف في هذه الأخبار والآيات فهو أن يقولها كما قالها الله تعالى ورسوله ولا يتصرف فيها بتفسير ولا تأويل ولا تصريف ولا تفريق ولا جمع
فأما التفسير فلا يبدل لفظ لغة بأخرى فإنه قد لا يكون قائما مقامه فربما كانت الكلمة تستعار في لغة دون لغة وربما كانت مشتركة في لغة دون لغة وحينئذ يعظم الخطب بترك الاستعارة وباعتقاد أن أحد المعنيين هو المراد بالمشترك
وأما التأويل فهو أن يصرف الظاهر ويتعلق بالمرجوح فإن كان عاميا فقد خاض بحرا لا ساحل له وهو غير سابح وإن كان عالما لم يجز له ذلك إلا بشرائط التأويل ولا يدخل مع العامي فيه لعجز العامي عن فهمه
وأما كف باطنه فلئلا يتوغل في شيء يكون كفرا ولا يتمكن من صرفه عن نفسه ولا يمكن غيره ذلك
وأما اعتقاده أن النبي يعلم ذلك فليعلمه ولا يقس نفسه به ولا بأصحابه ولا بأكابر العلماء فالقلوب معادن وجواهر
ثم الكلام بعد هذا في فصلين أحدهما في تنزيه الله تعالى عن الجهة فنقول
الأول أن القوم إن بحثوا بالأخبار والآثار فقد عرفت ما فيها وأنهم ما ظفروا بصحابي ولا تابعي يقول بمقالتهم على أن الحق في نفس الأمر أن الرجال تعرف بالحق ولا يعرف الحق بالرجال وقد روى أبو داود في سننه عن معاذ رضي الله عنه
84. أنه قال اقبلوا الحق من كل ما جاء به وإن كان كافرا أو قال فاجرا واحذروا زيغة الحكيم قالوا كيف نعلم أن الكافر يقول الحق قال إن على الحق نورا
ولقد صدق رضي الله عنه
ولو تطوقت قلادة التقليد لم نأمن أن كافرا يأتينا بمن هو معظم في ملته ويقول اعرفوا الحق بهذا
وإذا قد علمت أن القوم لا مستروح لهم في النقل فاعلم أن الله سبحانه وتعالى لم يخاطب إلا أولى العقول والألباب والبصائر والقرآن

طافح بذلك والعقل هو المعرف بوجود الله تعالى ووحدته ومبرهن رسالة أنبيائه إذ لا سبيل إلى معرفة إثبات ذلك بالنقل والشرع قد عدل العقل وقبل شهادته واستدل به في مواضع من كتابه كالاستدلال بالإنشاء على الإعادة وقوله تعالى (^ وضرب لنا مثلا ونسي خلقه) ولقد هدم الله تعالى بهذه الآية مباحث الفلاسفة في إنكار المعاد الجسماني

واستدل به على التوحيد فقال الله تعالى (^ لو كان فيهما آلهة إلا الله لفسدتا)

وقال تعالى (^ وما كان معه من إله إذا لذهب كل إله بما خلق ولعلا بعضهم على بعض)

وقال تعالى (^ أولم ينظروا في ملكوت السموات والأرض)

وقال تعالى (^ انظروا ماذا في السموات والأرض)

.85

وقال تعالى (^ قل إنما أعظكم بواحدة أن تقوموا لله مثنى وفرادى ثم تتفكروا)

وقال تعالى (^ سنريهم آياتنا في الآفاق وفي أنفسهم)

فيا خيبة من رد شاهدا قبله الله وأسقط دليلا نصبه الله

فهم يلغون مثل هذا ويرجعون إلى أقوال مشايخهم الذين لو سئل أحدهم عن دينه لم يكن له قوة على إثباته وإذا ركض عليه في ميدان التحقيق جاء سكيتا وقال سمعت الناس يقولون شيئا فقلته

وفي صحيح البخاري في حديث الكسوف ما يعرف به حديث هؤلاء في قبورهم

وبعد ذلك يقول العقل الذي هو مناط التكليف وحاسب الله تعالى الناس به وقبل شهادته ونصبه وأثبت به أصول دينه وقد شهد بخبث هذا المذهب وفساد هذه العقيدة وإنها آلت إلى وصفه تعالى بالنقائص تعالى الله عما يقول الظالمون علوا كبيرا

وقد نبهت مشايخ الطريق على ما شهد به العقل ونطق به القرآن بأسلوب فهمته الخاصة ولم تنفر منه العامة

وبيان ذلك بوجوه

البرهان الأول

وهو المقتبس من ذي الحسب الزكي والنسب العلي سيد العلماء ووارث خير الأنبياء جعفر الصادق رضي الله عنه قال لو كان الله في شيء لكان محصورا

.86

وتقرير هذه الدلالة أنه لو كان في جهة لكان مشارا إليه بحسب الحس وهم يعلمون ذلك ويحوزون الإشارة الحسية إليه

وإذا كان في جهة مشارا إليه لزم تناهيه وذلك لأنه إذا كان في هذه الجهة دون غيرها فقد حصل فيها دون غيرها ولا معنى لتناهيه إلا ذلك وكل متناه محدث لأن تخصيصه بهذا المقدار دون سائر المقادير لا بد له من مخصص

فقد ظهر بهذا البرهان الذي يبده العقول أن القول بالجهة يوجب كون الخالق مخلوقا والرب مربوبا وأن ذاته متصرف فيها وتقبل الزيادة والنقصان تعالى الله عما يقول الظالمون علوا كبيرا

البرهان الثاني

المستفاد من كلام الشبلي رضي الله عنه شيخ الطريق وعلم التحقيق في قوله الرحمن لم يزل والعرش محدث والعرش بالرحمن استوى

وتقريره أن الجهة التي يختص الله تعالى بها على قولهم تعالى الله عنها وسموها العرش إما أن تكون معدومة أو موجودة والقسم الأول محال بالاتفاق

وأيضا فإنها تقبل الإشارة الحسية والإشارة الحسية إلى العدم محال فهي موجودة وإذا كانت موجودة فإن كانت قديمة مع الله فقد وجد لنا قديم غير الله وغير صفاته فحينئذ لا يدرى أيهما الأولة

وهذا خبث هذه العقيدة

وإن كانت حادثة فقد حدث التحيز بالله تعالى فيلزم أن يكون الله قابلا لصفات نفسية حادثة تعالى الله عن ذلك

.87

البرهان الثالث

المستفاد من لسان الطريقة وعلم الحقيقة وطبيب القلوب والدليل على المحبوب أبي القاسم الجنيد رضي الله عنه قال متى يتصل من لا شبيه له ولا نظير بمن له شبيه ونظير هيهات هيهات هذا ظن عجيب

وتقرير هذا البرهان أنه لو كان في جهة فإما أن يكون أكبر أو مساويا أو أصغر والحصر ضروري

فإن كان أكبر كان القدر المساوي منه للجهة مغايرا للقدر الفاضل منه فيكون مركبا من الأجزاء والأبعاض وذلك محال لأن كل مركب فهو مفتقر إلى جزئه وجزؤه غيره وكل مركب مفتقر إلى الغير وكل مفتقر إلى الغير لا يكون إلها

وإن كان مساويا للجهة في المقدار والجهة منقسمة لإمكان الإشارة الحسية إلى أبعاضها فالمساوي لها في المقدار منقسم

وإن كان أصغر منها تعالى الله عن ذلك علوا كبيرا فإن كان مساويا لجوهر فرد فقد رضوا لأنفسهم بأن إلههم قدر جوهر فرد

وهذا لا يقوله عاقل وإن كان مذهبهم لا يقوله عاقل لكن هذا في بادئ الرأي يضحك منه جهلة الزنج

وإن كان أكبر منه انقسم فانظروا إلى هذه النحلة وما قد لزمها تعالى الله عنها
البرهان الرابع
المستفاد من جعفر بن نصير رحمه الله وهو أنه سئل عن قوله تعالى (^ الرحمن على العرش استوى) فقال استوى بعلمه بكل شيء فليس شيء أقرب إليه من شيء
88.
وتقرير هذا البرهان أن نسبة الجهات إليه على التسوية فيمتنع أن يكون في الجهة
وبيان أن نسبتها إليه على التسوية أنه قد ثبت أن الجهة أمر وجودي فهي إن كانت قديمة مع الله لزم وجوده قديمين متميزين بذاتيهما لأنهما إن لم يتميزا بذاتيهما فالجهة هي الله تعالى والله هو الجهة تعالى الله عن ذلك
وإن لم تكن قديمة فاختصاصه بها إما أن يكون لأن ذاته اقتضت ذلك فيلزم كون الذات فاعلة في الصفات النفسية أو غير ذاتية فنسبة الجهات إلى ذاته على التسوية فمرجح جهة على جهة أو غير ذاتية فنسبة الجهات إلى ذاته على التسوية فمرجح جهة على جهة أمر خارج عن ذاته فلزم افتقاره في اختصاصه بالجهة إلى غيره والاختصاص بالجهة هو عين التحيز والتحيز صفة قائمة بذات المتحيز فلزم افتقاره في صفة ذاته إلى غيره وهو على الله تعالى محال
ثم اعلم أن هذه البراهين التي سردناها وتلقيناها من مشايخ الطريق فإنما استنبطوها من الكتاب العزيز ولكن ليس كل ما في الكتاب العزيز يعرفه كل أحد فكل يغترف بقدر إنائه وما نقصت قطرة من مائه

ولقد كان السلف يستنبطون ما يقع من الحروب والغلبة من الكتاب العزيز ولقد استنبط ابن برجان رحمه الله من الكتاب العزيز فتح القدس على يد صلاح الدين في سنته واستنبط بعض المتأخرين من سورة الروم إشارة إلى حدوث ما كان بعد سنة ثلاث وسبعين وستمائة ولقد استنبط كعب الأحبار رضي الله عنه من التوراة أن عبد الله بن قلابة يدخل إرم ذات العماد ولا يدخلها غيره وكان يستنبط منها ما يجري من الصحابة رضي الله عنهم وما يلاقيه أجناد الشام وذلك مشهور
89.
والله تعالى أنزل في كتابه ما يفهم أحد الخلق منه الكثير ولا يفهم الآخر من ذلك شيئا ولقد تختلف المراتب في استنباط الأحكام من كلام الفقهاء والمعاني من قصائد الشعراء

فأما ما ورد في الكتاب العزيز مما ينفي الجهة فتعرفه الخاصة ولا تشمئز منه العامة فمن ذلك قوله تعالى (^ ليس كمثله شيء) ولو حصرته جهة لكان مثلا للمحصور في ذلك البعض
وكذلك قوله تعالى (^ هل تعلم له سميا) قال ابن عباس رضي الله عنه هل تعلم له مثلا ويفهم ذلك من (^ القيوم) وبناء المبالغة في أنه قائم بنفسه وما سواه قائم به فلو قام بالجهة لقام به غيره
ويفهم من قوله تعالى (^ المصور) لأنه لو كان في جهة لتصور فإما أن يصور نفسه أو يصوره غيره وكلاهما محال
ويفهم من قوله تعالى (^ ويحمل عرش ربك فوقهم يومئذ ثمانية) ولو كان على العرش حقيقة لكان محمولا
ويفهم من قوله تعالى (^ كل شيء هالك إلا وجهه) والعرش شيء يهلك فلو كان سبحانه وتعالى لا في جهة ثم صار في جهة ثم صار لا في جهة لوجد التغير وهو على الله محال

.90

والمدعي لما علم أن القرآن طافح بهذه الأشياء وبهذا الإشارات قال هذه الأشياء دلالتها كالإلغاز
أو ما علم المغرور أن أسرار العقائد التي لا تحملها عقول العوام لا تأتي إلا كذلك وأين في القرآن ما ينفي الجسمية إلا على سبيل الإلغاز وهل تفتخر الأذهان إلا في استنباط الخفيات كاستنباط الشافعي رضي الله عنه الإجماع من قوله تعالى (^ ويتبع غير سبيل المؤمنين) وكاستنباط القياس من قوله تعالى (^ فاعتبروا يا أولي الأبصار) وكما استنبط الشافعي خيار المجلس من نهيه عن البيع على بيع أخيه
وزبدة المسألة أن العقائد لم يكلف النبي الجمهور منها إلا بلا إله إلا الله محمد رسول الله كما أجاب مالك الشافعي رضي الله عنهما ووكل الباقي إلى الله وما سمع منه ولا عن أصحابه فيها شيء إلا كلمات معدودات فهذا الذي يخفى مثله ويلغز في إفادته

الفصل الثاني

في إبطال ما موه به المدعي من أن القرآن والخبر اشتملا على ما يوهم ظاهره ما يتنزه الله تعالى عنه على قول المتكلمين فنقول
قال الله تعالى (^ هو الذي أنزل عليك الكتاب منه آيات محكمات هن أم الكتاب وآخر متشابهات فأما الذين في قلوبهم زيغ) الآية
دلت هذه الآية على أن من القرآن محكما ومنه متشابها والمتشابه قد أمر العبد برد تأويله إلى الله وإلى الراسخين في العلم فنقول بعد ذلك إنما لم تأت النبوة بالنص ظاهرا على المتشابهة

91. لأن جل مقصود النبوة هداية عموم الناس فلما كان الأكثر محكما وألجمت العامة عن الخوض في المتشابه حصل المقصود لولا أن يقيض الله تعالى لهم شيطانا يستهويهم ويهلكهم ولو أظهر المتشابه لضعفت عقول العالم عن إدراكه
ثم من فوائد المتشابه رفعة مراتب العلماء بعضهم على بعض كما قال تعالى (^ وفوق كل ذي علم عليم) وتحصيل زيادة الأجور بالسعي في تفهمها وتفهيمها وتعلمها وتعليهما
وأيضا لو كان واضحا جليا مفهوما بذاته لما تعلم الناس سائر العلوم بل هجرت بالكلية ووضح الكتاب بذاته ولما احتيج إلى علم من العلوم المعينة على فهم كلامه تعالى ثم خوطب في المتشابه بما هو عظيم بالنسبة إليهم وإن كان الأمر أعظم منه كما نبه عليه عبد العزيز الماجشون في القبضة وكما قال تعالى في نعيم أهل الجنة (^ في سدر مخضود وطلح منضود وظل ممدود وماء مسكوب) الآية
فهذا عظيم عندهم وإن كان في الجنة ما هو أعظم منه كما قال حكاية على الله عز وجل (أعددت لعبادي الصالحين ما لا عين رأت ولا أذن سمعت ولا خطر على قلب بشر)
نسأل الله العظيم أن يجعل فيها قرارنا وأن ينور بصيرتنا وأبصارنا وأن يجعل ذلك لوجهه الكريم بمنه وكرمه
ونحن ننتظر ما يرد من تمويهه وفساده لنبين مدارج زيغه وعناده ونجاهد في الله حق جهاده والحمد لله رب العالمين

92.

1303 محمد بن أحمد بن إبراهيم بن حيدرة شيخنا في صحيح مسلم القاضي شمس الدين أبو المعالي ابن القماح
صاحب المجاميع المفيدة
مولده سنة ست وخمسين وستمائة
وسمع من إبراهيم بن عمر بن مضر وإسماعيل بن عبد القوي بن عزون والنجيب عبد اللطيف والعز عبد العزيز ابنى عبد المنعم الحراني وابن خطيب المزة وغيرهم
وكان ذكي القريحة قوي الحافظة حافظا لكثير من الفقه حسن الحفظ للقرآن كثير التلاوة
وحكم بالقاهرة مدة نيابة
توفي في ربيع الأول سنة إحدى وأربعين وسبعمائة بالقاهرة
ووالده الشيخ علم الدين أحمد بن إبراهيم كان أيضا من أهل العلم والديانة المتينة وله النظم البديع وامتحن مرة بمحنة ذكر أنه نظم فيها أبياتا في ليلة لم ينفلق فجرها إلا وقد فرج عنه والأبيات

.93
(اصبر على حلو القضاء ومره % واعلم بأن الله بالغ أمره)
(فالصدر من يلقى الخطوب بصدره % وبصبره وبحمده وبشكره)
(والحر سيف والذنوب لصفوه % صدأ وصيقله نوائب دهره)
(ليس الحوادث غير أعمال امرئ % يجزى بها من خيره أو شره)
(فإذا أصبت بما أصبت فلا تقل % أوذيت من زيد الزمان وعمره)
(واثبت فكم أمر أمضك عسره % ليلا فبشرك الصباح بيسره)
(ولكم على ناس أتى فرج الفتى % من سر غيب لا يمر بفكره)
(فاضرع إلى الله الكريم ولا تسل % بشرا فليس سواه كاشف ضره)
(واعجب لنظمي والهموم شواغل % يلهين عن نظم الكلام ونثره)
وما أحسن قول شاعر العصر الشيخ جمال الدين ابن نباتة في هذا المعنى
(لا تخش من غم كغيم عارض % فلسوف يسفر عن إضاءة بدره)
(إن تمس عن عباس حالك راويا % فكأنني بك راويا عن بشره)
(ولقد تمر الحادثات على الفتى % وتزول حتى ما تمر بفكره)
(هون عليك فرب أمر هائل % دفعت قواه بدافع لم تدره)
(ولرب ليل بالهموم كدمل % صابرته حتى ظفرت بفجره)

.94
1304 محمد بن أحمد بن عبد المؤمن الشيخ شمس الدين بن اللبان

تفقه على الفقيه نجم الدين بن الرفعة
وصحب في التصوف الشيخ ياقوت المقيم بالإسكندرية وكان الشيخ ياقوت من أصحاب سيدي الشيخ أبي العباس المرسي صاحب سيدي الشيخ أبي الحسن الشاذلي
وبرع ابن اللبان فقها وأصولا ونحوا وتصوفا ووعظ الناس وعقد مجلس التذكير بمصر وبدرت منه ألفاظ يوهم ظاهرها ما لا نشك في براءته منه فاتفقت له كائنة شديدة ثم نجاه الله تعالى
ودرس بالآخرة بالمدرسة المجاورة لضريح الشافعي رضي الله عنه واختصر الروضة وبوب الأم ورتبها على المسائل والأبواب
ووقفت له على كتاب متشابه القرآن والحديث وهو مختصر حسن تكلم فيه على بعض الآيات والأحاديث المتشابهات بكلام حسن على طريقة الصوفية
توفي بالطاعون سنة تسع وأربعين وسبعمائة

.95
ومن الفوائد والملح عنه والأشعار

فمن شعره ما أورده في كتابه المتشابه في الربانيات
(تشاغل عنا بوسواسه % وكان قديما لنا يطلب)
(محب تناسى عهود الهوى % وأصبح في غيرنا يرغب)
(ونحن نراه ونملي له % ويحسبنا أننا غيب)
(ونحن إلى العبد من نفسه % ووسواس شيطانه أقرب)
ومن مناجاته في هذا الكتاب وهو مما أخذ عليه
إلهي جلت عظمتك أن يعصيك عاص أو ينساك ناس ولكن أوحيت روح أوامرك في أسرار الكائنات فذكرك الناسي بنسيانه وأطاعك العاصي بعصيانه وإن من شيء إلا يسبح بحمدك إن عصى داعي إيمانه فقد أطاع داعي سلطانك ولكن قامت عليه حجتك ولله الحجة البالغة (^ لا يسئل عما يفعل وهم يسئلون)
ومن كلامه فيه على حديث (إن أحدكم ليعمل بعمل أهل الجنة) الحديث فيه إشارة إلى أن خشية سوء الخاتمة مخصوص بأهل أعمال الجنة وأما أهل الإخلاص لأعمال التوحيد فلا يخشى عليهم سوء الخاتمة ولهذا قال (فيعمل بعمل أهل
96. الجنة حتى ما يكون بينه وبينها) فافهم بذلك أن المقرب متقربان متقرب إلى الجنة بأعمالها ومتقرب إلى الله بذكره كما ثبت في (أنا عند ظن عبدي بي وأنا معه حين يذكرني) إلى قوله (وإن تقرب إلي ذراعا تقربت منه باعا)
وذلك يفهمك أن المتقرب إلى الله تعالى لا يمكن أن يبقى بينه وبينه ذراع لأن ذلك الذراع إن كان التقرب به مطلوبا من العبد لم يبق بعده مقدار يتقرب الله تعالى به إليه وحينئذ فيستلزم الخلف في خبره وهو محال وإن كان موعودا به من الله لزم تنجز وعده وتحقق القرب للعبد فلا يبقى بعد ولا دخول إلى النار فعلم أن ذلك الذراع مخصوص بأهل القرب إلى الجنة التي لا يلزم ممن يقرب إليها فافهمه فإنه بديع انتهى
ومنه قال أنكر القاضي أبو بكر بن العربي في كتاب الأحوذي ثبوت الرؤية في الموقف وقال إن نعيم الرؤية لا يكون إلا للمؤمنين في الجنة وأن ما جاء في الرؤية في الموقف فإنما هو على سبيل الامتحان والاختبار
والذي نعتقده ثبوت الرؤية وتعميمها للمؤمنين في الموقف على ما صح في الحديث وذلك صريح في قوله تعالى (^ وجوه يومئذ ناضرة إلى ربها ناظرة) انتهى والله أعلم بالصواب
97.

1305 محمد بن أحمد بن عثمان بن إبراهيم بن عدلان بن

محمود بن لاحق ابن داود الكناني الشيخ الإمام شمس الدين
سمع من العز الحراني والحافظ أبي محمد الدمياطي وأبي الحسن علي بن نصر الله بن الصواف
وتفقه على الشيخ وجيه الدين البهنسي
وقرأ الأصول على الشيخ شمس الدين محمد بن محمود الأصبهاني شارح المحصول والنحو على الشيخ بهاء الدين بن النحاس
وأفتى وناظر ودرس وأفاد وناب في الحكم عن شيخ الإسلام تقي الدين ابن دقيق العيد وأرسل رسولا إلى اليمن في الدولة الناصرية محمد بن قلاوون
وشرح مختصر المزني ولم يكمله
وفي سنة اثنتين وأربعين وسبعمائة لما توجهنا إلى القاهرة في خدمة الشيخ الوالد رحمه الله عندما تسلطن السلطان الملك الناصر أحمد بن الناصر محمد بن قلاوون ولي الأخ الشيخ بهاء الدين أبو حامد سلمه الله قضاء القضاة بالعساكر المنصورة ثم وقع نزاع كثير وولي الشيخ شمس الدين المشار إليه قضاء العسكر
وكان إماما عارفا بالمذهب مشارا إليه بالتقدم بين أهل العلم يضرب المثل باسمه

.98

مولده سنة نيف وستين وستمائة
وتوفي في الطاعون سنة تسع وأربعين وسبعمائة بالقاهرة

ومن الفوائد عنه

مناظرة بينه وبين الشيخ الإمام الوالد رحمه الله في حد الورع لا يحضرني منها إلا أنه ادعى أن الورع ترك الشبهة وأن الشيخ الإمام الوالد قال الورع مراتب أدناها اجتناب الكبائر
ونقلت من خط الوالد جوابا عن مكاتبة أرسلت إليه في هذا المعنى ما نصه وأما كلام ابن عدلان في الورع فتعجبت منه والورع درجات أدناها كل مسلم مجتنب للكبائر متصف به
هذا في المصدر وأما اسم الفاعل فهو تابع للمصدر لكن قد يخص في العرف ببعض المراتب
والشروط هل تحمل على المسمى كما ذكره الفقهاء في السلم أو على رتبة خاصة إن دل العرف عليها فيه بحث
أما عند اضطراب العرف فلا شك في الحمل على المسمى
وهذه الكلمات يمكن أن تبسط في تصنيف ولسنا من أهل الورع إنما أهله سعيد بن المسيب وسفيان ومن المتأخرين النووي
انتهى ما نقلته من خط الشيخ الإمام

وكانت الواقعة في وقف اشترط واقفه في مباشرة الورع فأفتى الشيخ الإمام بالاكتفاء فيه بالعدالة لاضطراب العرف في حد الورع .99

قال والعدالة أدنى مراتبه فيحمل عليها

وهذه مسئلة حسنة تقع كثيرا وخالفه فيها ابن عدلان

أفتى ابن عدلان في واقف مدرسة على الفقهاء والمتفقهة ومدرس ومعيدين وجماعة عينهم

قال ومن شروط المذكور أن لا يشتغلوا بمدرسة أخرى غير هذه المدرسة ولا يكون لواحد منهم تعلق بمدرسة أخرى ولا مباشرة بتجارة ولا بزازة يعرف بها غير تجارة الكتب ولا ولاية بأنه يجوز للمقرر في هذه المدرسة الجمع بينها وبين إمامة مسجد قريب منها

ووافقه شيخ الحنفية في زماننا قاضي قضاة الحنفية بالديار المصرية علاء الدين علي بن عثمان المارديني بن التركماني

قلت وفيه نظر لنص الشافعي على أن الإمامة ولاية حيث يقول ولا أكره الإمامة إلا من جهة أنها ولاية وأنا أكره سائر الولايات .100

رأيت في كلام ابن عدلان أن شرائط المبيع ثمانية فذكر كونه طاهرا منتفعا به مقدورا على تسليمه مملوكا للعاقد أو لمن يقع له العقد معلوما وزاد سالما من الربا خالصا من مقارنة ما لا يجوز العقد عليه وأن لا يكون معرضا للعاهة

قال وقولنا سالما من الربا احتراز عما لو اشتمل على الربا

وقولنا خالصا إلى آخره احتراز عما لو جمع بين معلوم ومجهول فإنه لا يصح في الأصح

وقولنا وأن لا يكون معرضا للعاهة احتراز عما لو باع الثمر قبل بدو الصلاح أو الزرع الأخضر ولم يشترط القطع فإنه لا يصح

1306 محمد بن أحمد بن عثمان بن قايماز

شيخنا وأستاذنا الإمام الحافظ شمس الدين أبو عبد الله التركماني الذهبي محدث العصر

اشتمل عصرنا على أربعة من الحفاظ بينهم عموم وخصوص المزي والبرزالي والذهبي والشيخ الإمام الوالد لا خامس لهؤلاء في عصرهم

فأما المزي والبرزالي والوالد فسنترجمهم إن شاء الله تعالى .101

وأما أستاذنا أبو عبد الله فبصر لا نظير له وكنز هو الملجأ إذا نزلت المعضلة إماما لوجود حفظا وذهب العصر معنى ولفظا وشيخ الجرح والتعديل ورجل الرجال في كل سبيل كأنما جمعت الأمة في صعيد واحد فنظرها ثم أخذ يخبر عنها إخبار من حضرها

وكان محط رحال تغيبت ومنتهى رغبات من تغيبت
تعمل المطي إلى جواره وتضرب البزل المهاري أكبادها فلا تبرح أو تنبل نحو داره
وهو الذي خرجنا في هذه الصناعة وأدخلنا في عداد الجماعة جزاه الله عنا أفضل الجزاء وجعل حظه من غرفات الجنان موفر الأجزاء وسعده بدرا طالعا في سماء العلوم يذعن له الكبير والصغير من الكتب والعالي والنازل من الأجزاء
مولده في سنة ثلاث وسبعين وستمائة
وأجاز له أبو زكريا بن الصيرفي وابن أبي الخير والقطب ابن أبي عصرون والقاسم بن الإربلي
.102
وطلب الحديث وله ثماني عشرة سنة فسمع بدمشق من عمر بن القواس وأحمد بن هبة الله بن عساكر ويوسف بن أحمد الغسولي وغيرهم
وببعلبك من عبد الخالق بن علوان وزينب بنت عمر بن كندي وغيرهما
وبمصر من الأبرقوهي وعيسى بن عبد المنعم بن شهاب وشيخ الإسلام ابن دقيق العبيد والحافظين أبي محمد الدمياطي وأبي العباس بن الظاهري وغيرهم
ولما دخل إلى شيخ الإسلام ابن دقيق العيد وكان المذكور شديد التحري في الإسماع قال له من أين جئت قال من الشام قال بم تعرف قال بالذهبي قال من أبو طاهر الذهبي فقال له المخلص فقال أحسنت فقال من أبو محمد الهلالي قال سفيان بن عينة قال أحسنت اقرأ ومكنه من القراءة عليه حينئذ إذ رآه عارفا بالأسماء
وسمع بالإسكندرية من أبي الحسن علي بن أحمد الغرافي وأبي الحسن يحيى بن أحمد بن الصواف وغيرهما
وبمكة من التوزري وغيره
وبحلب من سنقر الزيني وغيره
وبنابلس من العماد بن بدران
وفي شيوخه كثرة فلا نطيل بتعدادهم
.103
وسمع منه الجمع الكثير وما زال يخدم هذا الفن إلى أن رسخت فيه قدمه وتعب الليل والنهار وما تعب لسانه وقلمه وضربت باسمه الأمثال وسار اسمه مسير الشمس إلا أنه لا يتقلص إذا نزل المطر ولا يدبر إذا أقبل الليال
وأقام بدمشق يرحل إليه من سائر البلاد وتناديه السؤالات من كل ناد وهو بين أكنافها كنف لأهليها وشرف تفتخر وتزهى به الدنيا وما فيها

طورا تراها ضاحكة عن تبسم أزهارها وقهقهة عذرانها وتارة تلبس ثوب الوقار والفخار بما اشتملت عليه من إمامها المعدود في سكانها
وكان شيخنا والحق أحق ما قيل والصدق أولى ما آثره ذو السبيل شديد الميل إلى آراء الحنابلة كثير الإزراء بأهل السنة الذين إذا حظروا كان أبو الحسن الأشعري فيهم مقدم القافلة فلذلك لا ينصفهم في التراجم ولا يصفهم بخير إلا وقد رغم منه أنف الراغم
.104
صنف التاريخ الكبير وما أحسنه لولا تعصب فيه وأكمله لولا نقص فيه وأي نقص يعتريه
والتاريخ الأوسط المسمى بالعبر وهو حسن جدا
والصغير المسمى دول الإسلام
وكتاب النبلاء
ومختصر تهذيب الكمال للمزي
والكاشف مختصر ذلك وهو مجلد نفيس
والميزان في الضعفاء وهو من أجل الكتب
والمغني في ذلك
وكتابا ثالثا في ذلك
ومختصر سنن البيهقي وهو حسن
ومختصر الأطراف للمزي
وطبقات الحفاظ
وطبقات القراء
وكتابا في الوفيات
ومختصرا آخر فيها يسمى بالإعلام
والتجريد في أسماء الصحابة
.105
والمجرد في أسماء رجال الكتب الستة
ومختصر المستدرك للحاكم
ومختصر تاريخ نيسابور للحاكم
ومختصر ذيل ابن الدبيثي
والمعجم الكبير والصغير
والمختص لمحدثي العصر
ومختصر المحلي لابن حزم
وكتاب نبأ الدجال
ومختصرات كثيرة
وقرأ القرآن بالروايات وأقرأه
توفي في ليلة الاثنين ثالث ذي القعدة سنة ثمان وأربعين وسبعمائة

بالمدرسة المنسوبة لأم الصالح في قاعة سكنه
ورآه الوالد رحمه الله قبل المغرب وهو في السياق وقال له كيف تجدك فقال في السياق ثم سأله أدخل وقت المغرب فقال له الوالد ألم تصل العصر فقال بلى ولكن لم أصل المغرب إلى الآن وسأل الوالد رحمه الله عن الجمع بين المغرب
106. والعشاء تقديما فأفتاه بذلك ففعله ومات بعد العشاء قبل نصف الليل
ودفن بباب الصغير حضرت الصلاة عليه ودفنه
وكان قد أضر قبل وفاته بمدة يسيرة
أنشدنا شيخنا الذهبي من لفظه لنفسه
(تولى شبابي كأن لم يكن % وأقبل شيب علينا تولى)
(ومن عاين المنحنى والنقى % فما بعد هذين إلا المصلى)
وأنشدنا لنفسه وأرسلها معي إلى الوالد رحمه الله وهي فيما أراه آخر شعر قاله لأن ذلك كان في مرض موته قبل موته بيومين أو ثلاثة
(تقي الدين يا قاضي الممالك % ومن نحن العبيد وأنت مالك)
(بلغت المجد في دين ودنيا % ونلت من العلوم مدى كمالك)
(ففي الأحكام أقضانا علي % وفي الخدام مع أنس بن مالك)
(وكابن معين في حفظ ونقد % وفي الفتيا كسفيان ومالك)
(وفخر الدين في جدل وبحث % وفي النحو المبرد وابن مالك)
(وتسكن عند رضوان قريبا % كما زحزحت عن نيران مالك)
(تشفع في أناس في فراء % لتكسوهم ولو من رأس مالك)
(لتعطي في اليمين كتاب خير % ولا تعطي كتابك في شمالك)
وذكر بعد هذا أبياتا على هذا النمط تتعلق بمدحي لم أذكرها وختمها بقوله
107.
(وللذهبي إدلال الموالي % على المولى كحلمك واحتمالك)
ومن نظمه أيضا في أسماء المدلسين
(حد المدلسين ياذا الفكر % جبر الجعفي ثم الزهري)
(والحسن البصري قل مكحول % قتادة حميد الطويل)
(ثمت ابن عبد الملك القبطي % وابن أبي نجيح المكي)
(والثبت يحيى بن أبي كثير % والأعمش الناقل بالتحرير)
(وقل مغيرة أبو إسحاق % والمرئي الميمون باتفاق)
108.
(ثم يزيد بن أبي زياد % حبيب ثابت فتى الأجداد)
(أبو جناب وأبو الزبير % والحكم الفقيه أهل الخير)
(عباد منصور قل ابن عجلان % وابن عبيد يونس ذو الشان)

(ثم أبو حرة وابن إسحاق % حجاج أرطأة لكل مساق)
(ثم أبو سعد هو البقال % عكرمة الصغير يا هلال)
.109
(ثم ابن واقد حسين المروزي % وابن أبي عروبة اصغ تفز)
(وليد مسلم حكى بقيه % في حذف واه خلة دنيه)
وقد كنت لما توفي شيخنا رثيته بقصيدة مطلعها
(من للحديث وللسارين في الطلب % من بعد موت الإمام الحافظ الذهبي)
(من للرواية للأخبار ينشرها % بين البرية من عجم ومن عرب)
(من للدراية والآثار يحفظها % بالنقد من وضع أهل الغي والكذب)
(من للصناعة يدري حل معضلها % حتى يريك جلاء الشك والريب)
(من للجماعة أهل العلم تلبسهم % أعلامه الغر من أبرادها القشب)

(من للتخاريج يبديها ويدخل في % أبوابها فاتحا للمقفل الأشب)
(من في القراآت بين الناس نافعهم % وعاصم ركنها في الجحفل اللجب)
(من للخطابة لما لاح يرفل في % ثوب السواد كبدر لاح في سحب)
.110
منها
(بالله يا نفس كوني لي مساعدة % وحاذري جزع الأوصاب والرعب)

(فهذه الدار دار لا ذمام لها % ليست بنبع إذا عدت ولا غرب)
(وليس تبقى على حال وليس لها % عهد يمسك بالأوتاد والطنب)
(بينا يرى المرء في بحر المعزة ذا % خوض ترامت عليه ذلة النوب)
(والأمر من واصل الأيام منقطع % وعمر عامرها كالمربع الخرب)
(هذي المنية لا تنفك آخذة % ما بين محتقر فينا وذي نسب)
(هي السهام نصبنا نحوها غرضا % تصمي وتسلب كالعسالة السلب)

(وهو الحمام فلا تعجب عليه ولا % تعجب لديه فما في الموت من عجب)
(وإن تغب ذات شمس الدين لا عجب % فأي شمس رأيناها ولم تغب)
(هو الإمام الذي روت روايته % وطبق الأرض من طلابه النجب)
(مهذب القول لاعي ولجلجة % مثبت النقل سامي القصد والحسب)
.111
(ثبت صدوق خبير حافظ يقظ % في النقل أصدق أنباء من الكتب)

(كالزهر في حسب والزهر في نسب % والنهر في حدب والدهر في رتب)
وهي طويلة فليقع الاقتصار على ما أوردناه

ومن الفوائد عنه

ويعجبني من كلام شيخنا أبي عبد الله الحافظ فصل ذكره بعد تصنيف كتاب الميزان وأنا مورد بعضه
قال قد كتبت في مصنفي المزيان عددا كثيرا من الثقات الذي احتج البخاري أو مسلم أو غيرهما بهم لكون الرجل منهم قد دون اسمه في مصنفات الجرح وما أوردتهم لضعف فيهم عندي بل ليعرف ذلك وما زال يمر بي الرجل الثبت وفيه مقال من لا يعبأ به ولو فتحنا هذا الباب على نفوسنا لدخل فيه عدة من الصحابة والتابعين والأئمة فبعض الصحابة كفر بعضهم بتأويل ما والله يرضى عن الكل ويغفر لهم فما هم بمعصومين ولا اختلافهم ومحاربتهم بالتي تلنيهم عندنا أصلا ولا بتكفير الخوارج لهم انحطت روايتهم بل صار كلام الخوارج والشيعة فيهم جرحا في الطاعنين فانظر إلى حكمة ربك نسأل الله السلامة
112.
وهكذا كثير من كلام الأقران بعضهم في بعض ينبغي أن يطوى ولا يروى
قال وسوف أبسط فصلا من هذا المعنى يكون فيصلا بين المجروحين المعتبر والمردود
فأما الصحابة فبساطهم مطوي وإن جرى ما جرى إذ العمل على عدالتهم وبه ندين الله
وأما التابعون فيكاد يعدم فيهم الكاذب عمدا ولكن لهم غلط وأوهام فمن نذر غلطه احتمل وكذا من تعدد غلطه وكان من أوعية العلم على تردد بين الأئمة في الاحتجاج بمن هذا نعته كالحارث الأعور وعاصم بن ضمره وصالح مولى التوأمة وعطاء بن السائب
ومن فحش خطؤه وكثر تفرده لم يحتج بحديثه ولا يكاد يقع ذلك في التابعين الأولين وإن وجد في صغار التابعين كمالك والأوزاعي فمن بعدهم فعلى المراتب المذكورة
وأما أصحاب التابعين فوجد في عصرهم من تعمد الكذب أو من كثر غلطه وتخبيطه فترك حديثه هذا مالك النجم الهادي بين الأمة وما سلم من
113. الكلام فيه وكذا الأوزاعي ثقة حجة وربما انفرد ووهم وحديثه عن الزهري فيه شيء ما وقد قال فيه أحمد بن حنبل حديث ضعيف ورأي ضعيف

وقد تكلف لمعنى هذه اللفظة وكذا تكلم من لا يفهم في الزهري لكونه خضب بالسواد ولبس زي الجند وخدم عند هشام بن عبد الملك وهذا باب واسع والماء إذا بلغ القلتين لم يحمل الخبث

ثم ذكر جماعة من هذا الجنس أعني من لا يضرهم كلام من تكلم فيهم بل يضر المتكلم فمنهم الفضيل بن عياض فإنه ثقة سيد بلا نزاع

وقال أحمد بن أبي خيثمة سمعت قطبة بن العلاء يقول تركت حديث الفضيل بن عياض لأنه روى أحاديث أزرى فيها على عثمان بن عفان رضي الله عنه فلا يسمع كلام قطبة ومن هو قطبة

ومنهم محمد بن إدريس الشافعي الإمام الذي سارت الركبان بفضائله ومعارفه وثقتة وأمانته فهو حافظ ثبت نادر الغلط حتى إن أبا زرعة قال ما عند الشافعي حديث غلط فيه وقال أبو داود ما أعلم للشافعي قط حديثا خطأ وقد روي أن ابن معين قال فيه ليس بثقة

.114

قال الذهبي فقد آذى ابن معين نفسه بذلك ولم يلفت أحد إلى كلامه في الشافعي ولا إلى كلامه في جماعة من الأثبات كما لم يلتفتوا إلى توثيقه بعض الناس

قلت وقد قدمنا في ترجمة الأستاذ أبي منصور البغدادي أن ابن معين لم يعن الشافعي فانطوى هذا البساط

وأطال الذهبي النفس في هذا الموضع وأجاد فيه وقال في آخره فالشافعي من جلة أصحاب الحديث رحل فيه وكتب بمكة والمدينة والعراق واليمن ومصر ولقب ببغداد ناصر الحديث ولم يوجد له حديث غلط فيه والله حسيب من يتكلم بجهل أو هوى

نعم لم يكن الشافعي في الحديث كيحيى القطان وابن مهدي وأحمد بن حنبل وابن المديني بل ما هو في الحديث بدون الأوزاعي ولا مالك وهو في الحديث ورجاله وعلله فوق أبي مسهر وأشباهه انتهى

قلت ونحن لا نسلم أن الشافعي في الحديث دون من ذكره وغاية الأمر أن الذي ظهر أن ذكره أكثر وما ذاك إلا لاشتغال الشافعي بما هو أهم من ترتيب قوانين الشريعة

ويكفي الشافعي شهادة المحدثين له بأنه ليس له حديث غلط فيه

ثم أورد الذهبي الذين لم يؤثر الكلام فيهم على حروف المعجم فعد فيهم إبراهيم ابن طهمان وإبراهيم بن سعد وأبان بن يزيد العطار وأبا ثور وأحمد بن صالح الطبري المصري وأبا نعيم الأصبهاني الحافظ والخطيب أبا بكر الحافظ وأبا مسعود أحمد بن الفرات الرازي الحافظ وأحمد بن حنبل وأحمد بن منصور الرمادي الحافظ وإسرائيل بن يونس وإسماعيل بن علية وابن راهويه وجعفر الصادق وجرير

115. ابن حازم الأزدي وحبيبا المعلم وحرب بن شداد وحفص بن ميسرة وحمران بن أبان مولى عثمان وخالدا الحذاء وزكريا بن أبي زائدة والأعمش وعبد الرزاق وقيس بن أبي حازم ومالك بن دينار وهشام بن حسان وهمام بن يحيى والوليد بن مسلم ووهب بن منبه ويعلى بن عبيد الطنافسي وأبا إسحاق السبيعي وجماعة آخرين تركتهم اختصارا

وقد أجاد الشيخ رحمه الله فلا يخفى أن الكلام في هؤلاء وعدمه سواء ولا يؤثر الكلام فيهم شيئا ما وإذا عارض حديث أحدهم حديث من لم يقع فيه كلام لا نقول إنه يقدم عليه لأن الكلام فيهم لم يؤثر شيئا بل أقول لم يسلم أحد من أن يتكلم فيه بمثل ما تكمل في هؤلاء والله المستعان

قال لي شيخنا الذهبي مرة من في الأمة أفضل من أبي بكر الصديق رضي الله عنه بالإجماع

فقلت يفيدنا الشيخ

قال عيسى ابن مريم عليه السلام فإنه من أمة المصطفى ينزل على باب دمشق ويأتم في صلاة الصبح بإمامها ويحكم بهذه الشريعة

116. قلت وهذا ما أشرت إليه بقصيدتي التي نظمتها في المعاياة منها

(من باتفاق جميع الخلق أفضل من % شيخ الصحاب أبي بكر ومن عمر)

(ومن علي ومن عثمان وهو فتى % من أمة المصطفى المختار من مضر)

وبعد أن نظمت هذه الأبيات وقفت على قصيدة غراء لبعض الأدباء أحببت تخليدها في هذا الكتاب وهي

(سلا صاحبي الجزع من أبرق الحمى % عن الظبيات الخرد البيض كالدمى)

(وعوجا على أهل الخيام بحاجر % ورامة من أهل العراق فسلما)

(وإن سفهت ريح الشمال عليكما % وريح الصبا في أرضها فتحلما)

(فبين الخيام أغيد يخطف الحشا % مريض جفون للصحيحات أسقما)

(يريك الدياجي إن غدا متجهما % وشمس الضحى إن ما بدا متبسما)

(ويفتر عن در يصان بهاؤه % ويحرس بالظلم الممنع واللما)

(كأن قضيب البان في ميسانه % رأى قده لما انثنى فتعلما)

(إذا الريح جالت حول عطفيه أصبحت % تهب نسيما ما أرق وأنعما)

(يقيد من تعريجه الصدغ عقربا % ويرسل من رجع الذؤابة أرقما)
(له في قلوب العالمين مهابة % تبلغه في حكمه ما تيمما)
117.
(وحثا إلى عبد الرحيم ركائبا % تحاكي قسي النبع فوقن أسهما)
(فتى جمعت فيه الفضائل راضعا % ونال العلى من قبل أن يتكلما)
(حليف التقى ترب الوقار مهذب الخلال % يرى كسب المحامد مغنما)
(يبيت نديما للسماح معاقرا % ويصبح صبا بالمعالي متيما)
(له خلق كالروض غب سمائه % تضوع مسكا أذفرا وتبسما)
(إذا جئتماه فامنحاه تحية % ملوكية أو كبراه وأعظما)
(وقولا له اسمع ما نقول ولا تكن % ضجورا به مستثقلا متبرما)
(رأيناك في أثناء قولك معجبا % بكونك أوفى الناس فهما وأعلما)
(فإن كنت من أهل الكتابة واثقا % بنفسك فيها لا تخاف تهضما)
(فما ألف من بعد ياء مريضة % مصاحبة عينا تخوفها العما)
(تظن إذا الراوي غدا ناطقا بها % زمير نعام في الفلاة ترنما)
(وياء إذا مدت غدت غير نفسها % وصارت حديثا عن جواك مترجما)
(وإن قصرت كانت غرابا بقفرة % يرود لكي يلقى خليلا وأينما)
(وسينا أضافوها إلى الدال مرة % فصرح بالشكوى لها ثم جمجما)
(يخاف إذا ما باح بالقول سطوة % من الصاد أو غشا من الميم مؤلما)
118.
(وما الكاف إن ردت إلى أصل خلقها % وما القاف إن أضحى لها متقدما)
(وستة أشياخ تخال شخوصها % إذا عكست نجم الثريا إذا سما)
(وحرفان محسوبان في العد سبعة % تريك غبار الجو طار ودوما)
(وإن كنت من أهل البلاغة جامع اللغات % بأنواع الأقاويل قيما)
(فما كلمات هن عرب صرائح % يعود الفصيح إن شداهن أعجما)
(وإن قلبت أعيانهن وصحفت % ترى مصقعا فيهن من كان أبكما)
(وما السيربان والجحوحة والضفا % ضفا الدار والسمر الغرانف والهما)
(وما الحمل والتيمات والزام بعده % وما الجعفريات تنزى وزغلما)
(وما السفح والفرغان والخنع والنقى % وقف التوالي والهبابة والجما)
(وما الخيعر المبثوث والشامخ الذي % يناط براعون ليصبح معلما)
(وما الحدب الهادي وما أجدب الكرى % وما عنجم إن كنت تعرف

عنجما)
(وما الزبرق المائي إذا غاب نجمه % وما الزنبق الناوي إذا هو أنجما)
119.
(وما العنقفيس والملاحيح والكبى % وطارسة والفادحيات عظلما)
(وإن كنت ممن يدعي عربية % ويحقر في النحو الإمام المقدما)
(فما لفظة إن أعربت أصبحت لقى % يعاف بها المرء البليغ التكلما)

(وإن أهمل الإعراب فيها فمن غدا % بشيء سواها ناطقا كان مفحما)
(وما اسم إذا ثنيته وجمعته % تنصف فيهما رمته وتسهما)
(وحرف إذا أعملته صار معربا % وفعل إذا عديته صار مذغما)
(وما حرف عطف ليس يوجد عاطفا % إذا المرء آلى في المقال وأقسما)
(وحرفان للتوكيد ليسا لحاجة % يعدان يل يرجى أخو النقص منهما)
(وما مصدر قد ألزم الرفع دائما % وما اسمان إن فتشت بالجر ألزما)
(وما نون جمع تطلب الكسر شهوة % وتكره أن ترقى إلى الفتح سلما)
(ترى الكسر غنما في يديها محصلا % ويعتد ذاك الفتح خسرا ومغرما)
(وإن كنت في علم العروض ووزنه % وجمع القوافي للورى متقدما)

(فكيف السباح واللباس ونافد % إذا البيت زاد الوزن فيه وأخرما)
(وكيف السناد والرفاد إذا غدا % بوصل إلى أصل الزحاف قد انتما)
(وما كلمات الوزن إن كنت عارفا % بهن وما فعلان فيه وفعلما)
(وما الهزج المرمول إن رمت شرحه % عن القضيب والبيت الطويل إذا جما)
120.
(وما الجث في بحر الخفيف إذا غدا % سريعا فلاقى جانيا فترمرما)
(وما الكامل المحسوب في بحر إلفه % بسيطا إذا أضحى مذالا ململما)
(وما الخبل المطوي أصبح ناشرا % إذا هو بالتشعيث صار مهشما)
(وما الكف والقبض المضارع مشكل % بناء المديد بعد أن يتهدما)
(وما الثلم إن رمت اقتراب اتفاقه % وما الحذف إن ألفى بتارا وأثرما)
(وإن كنت في نظم القريض مجودا % وكنت عليه قادرا متحكما)

(فكيف يكون الرفع والقطع واصلا % فريد المعاني حين أصبح توأما)

(وكيف الروي المستقيم وما الذي % تقول إذا أنشأت تنعت عندما)
(وكيف ترى وصف السحاب وذكره % إذا أحفرت أهدابه وإذا همى)
(ووصف أثافي الديار إذا انطوت % محاسنها وابيض ما كان أسحما)
(وكيف خروج المدح والهجو بعده % جميعا إذا كان النسيب متمما)
(وما وصف دوح مطمئن قراره % يرى مضمحلا بالزيادة والنما)
121.
(وغادية كالطود تحسب جرسها % جوادا رأى الخيل العراب فحمحما)
(تميل إليها الغاديات رواجيا % جناها لتكسوهن وشيا منمنما)
(تحط بأغوار البلاد رحاها % وقد صافحت من قبل نسرا ومرزما)
(وإن كنت في القرآن أتقن حافظ % وأدرى بأصناف الخلاف وأفهما)

(فمن جعل الأحزاب تسعين آية % وزاد على التسعين عشرا فتمما)
(ومن جعل الفرقان من بعد فاطر % وصير قبل الكهف سورة مريما)
(وعمن روى ابن الحاجبية وحده % قراءته حتى على الناس قدما)
(ومن حقق الهمزات في سورة النسا % ولينها في العنكبوت وأدغما)
(ومن زاد في مد الحروف وهمزها % على ابن كثير أو أمال المفخما)
(ومن قال في القرآن عشرون سجدة % وست ويروي ذاك عمن تقدما)
(ومن شدد النون التي قبل ربه % وخفف لكن التي بعدها رمى)
(ومن وصل الآيات جحدا لقطعها % ومد الضحى من بعد ما قصر السما)
(ومن حذف الياءات من غير علة % وأنكر في القرآن تضعيف ربما)
(وإن كنت ذا فقه بدين محمد % على ذكره صلى الإله وسلما)
(فمن جعل الإجماع في البيع حجة % وصيره كالعرف ظنا مرجما)
(ومن رد ما قال ابن عباس عامدا % ودان بما قال ابن حفص توهما)

(وماذا يرى النعمان في أهل قرية % أقاموا إماما للأنام مجذما)
(وكيف ترى رأي ابن إدريس في فتى % عصى وغدا في فعله متأثما)

.122
(وما حجة الثوري فيما يقيسه % إذا لم يثبت فيه أصلا مسلما)
(وما رأى شيخ العلم مالك في امرئ % تمجس قصدا بعد ما كان أسلما)
(يحل إذا ما أحرم الناس بالضحى % وإما أحل الناس بالليل أحرما)
(وليس بذي ذنب يقاد بفعله % ولا قيل يوما قد أساء وأجرما)
(وإن كنت في حفظ النوائب أوحدا % تجمع من أخبارها وما تقسما)
(فمن فرض التعفير قبل صلاته % وأوجب في إثر الركوع التيمما)
(ومن جعل التسوير في الزند شرعة % ومن سن في إحدى اليدين التختما)
(ومن فرض الصوم الربيعين بعد أن % يصوم جمادى كله والمحرما)
(ومن حظر التزويج إلا بثيب % وصير تزويج البكار محرما)
(ومن أوجب التكبير بعد صلاته % على قومه فيما يقال وألزما)
(وقال زكاة المرء من نصف ماله % تكون وإلا صار نهبا مقسما)
(ومن قال إن البيع ليس بجائز % على المرء إلا أن يكون بعسرما)
(ومن طاف حول البيت سبعين مرة % يرى ذلك التطواف فرضا محتما)
(ومن فرض التسليم في كل ركعة % وأوجب فيها رنة وترنما)
(وإن كنت ممن يدعي علم سيرة % وحفظا لأخبار الأوائل محكما)
(فمن صام عن أكل الطعام نهاره % مع الليل يطوي الصوم حولا مجرما)
.123
(ومن طاف نحوا من ثمانين حجة % على حاجة ليست تماثل درهما)

(وفي يده أموال قارون كلها % ونمرود كنعان وأموال علقما)
(ومن قطع البحرين في بعض يومه % وواصل أقصى البر ساعة أعتما)
(ومن عاش ألفا بعد ألف كوامل % يعوذ بدر الثدي من خيفة الظما)
(ومن ملك الدنيا الخئون بأسرها % ثمانين يوما بعد عام تصرما)
(يذبح أولاد الأنام تجبرا % ويستحي للنسوان منهم تذمما)
(ومن هاب خوض النيل ساعة زخره % وخاض سواء البحر والبحر قد طما)
(ومن سار طول الأرض يوما وليلة % وعاد على أعقابه ما تلوما)
(لعمرك إنا قد سألناك هينا % ولم نقصد المعنى العويص المغمغما)
(ففكر ولا تعجل بما أنت قائل % وسر منجدا تبغي الجواب ومتهما)
(فإن أنت فيما قد سألنا بيانه % أصبت فحق أن تعز وتكرما)

(وإن أنت أخطأت الصواب ولم تعجب % فحقك أن يحثى عليك وترجما)
(فما لك علم بالأمور وإنما % قصاراك أن تروي كلاما منظما)
.124

1307 محمد بن أحمد بن علي بن عبد الكافي بن علي بن تمام السبكي الولد العزيز تقي الدين أبو حاتم

ولد سيدي وأخي شيخ الإسلام بهاء الدين أبي حامد
هو الشاب المنغص على شبابه حبيب الشيخ الإمام وريحانته وأنيسه
ولد بالقاهرة في الثلث الأخير من ليلة ثالث وعشرين من رجب سنة خمس وأربعين وسبعمائة
وأجازه خلق
وسمع الحديث من جده الشيخ الإمام ومن خلق
وربي في حجر الشيخ الإمام بدمشق لا يكاد يفارقه وحل من قلبه بالمنزلة الرفيعة وحفظ القرآن العظيم وختم في سنة خمس وخمسين وسبعمائة ولم يزل عند جده بدمشق إلى أن عرض للشيخ الإمام الضعف فسفره أمامه إلى القاهرة في ربيع الأول سنة ست وخمسين ثم لحقه الشيخ الإمام
وكان قبل أن يسفره أحب أن يلقى درسا ويحضره قبل وفاته فعمل درسا درس به بالمدرسة العادلية الكبرى اجتمع فيه العلماء الشيخ الإمام فمن دونه وابتهج به الشيخ الإمام وحضره مع مرضه لكنه حمل نفسه وحمله حبه له
ثم استمر أبو حاتم في القاهرة
وحفظ التنبيه وغيره وجد في الاشتغال على والده وغيره
.125
وقرأ النحو على الشيخ جمال الدين بن هشام ولازم حلقة الشيخ جمال عبد الرحيم الإسنائي إلى أن نزل له والده عن تدريس المدرسة المنصورية فدرس بها
وحضر عنده قضاة القضاء الأربعة قاضي القضاة عز الدين بن جماعة الشافعي ورفقاؤه
ودرس أيضا بالسيفية والكهارية أصالة وبقبة الشافعي رضي الله عنه نيابة عن والده
وخطب بالجامع الطولوني وحضر مشيخة الميعاد فيه
وكان شابا دينا عاقلا أحسن الله عزاءنا فيه ورحمه
توفي في طاعون القاهرة عند طلوع الشمس من يوم الأربعاء ثامن عشر رجب سنة أربع وستين وسبعمائة رحمه الله رحمة واسعة لقد أحرق القلوب وشق الجيوب ألهم الله والده وألهمني معه الصبر على

فقده لقد خالطته بعد كبرة نحو تسعة أشهر من شعبان سنة ثلاث وستين إلى ربيع الآخر من سنة موته يبيت ويصبح عندي فوالله ما اغتطت منه قط ولا نقمت عليه شيئا في دينه فلا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم

وكان ينظم الشعر ويحسن ترتيب الدروس كنت أحضر عنده بالمنصورية فيدرس بأبهة وتأت صبرنا الله على فقده إن العين لتدمع وإن القلب ليحزن ولا نقول إلا ما يرضي الرب سبحانه وتعالى

.126

1308 محمد بن أحمد بن عيسى بن رضوان القليوبي القاضي فتح الدين بن كمال الدين بن ضياء الدين

تفقه على والده وقد تقدم ذكر والده وجده في الطبقة السادسة وكان فقيها شاعرا مجيدا

ولي القضاء بأشموم ثم بأبيار ثم ولي قضاء صفد ثم انصرف منها وعاد إلى الديار المصرية وتقلبت به الأحوال

ومن شعره وقد أرسل له بعضهم بسرا كبير النوى

(أرسلت لي بسرا حقيقته نوى % عار فليس لجسمه جلباب)

(ولئن تباعدت الجسوم فودنا % باق ونحن على النوى أحباب)

وأنعم عليه الصاحب تاج الدين بتفصيلة فكتب إليه

(يأيها المولى الوزير الذي % أفضاله أوجب تفضيله)

(أحسنت إجمالا ولم ترض بالإجمال % إذا أرسلت تفصيله)

وشعره كثير منشور حسن مسطور

توفي في جمادى الأولى سنة خمس وعشرين وسبعمائة

.127

1309 محمد بن إسحاق بن إبراهيم السلمي القاضي تاج الدين المناوي

خليفة قاضي القضاة عز الدين بن جماعة على الحكم بالديار المصرية

كان عارفا بالمحاكمات فقيها ناهضا

سمع الحديث من ست الوزراء ابنة المنجا وأحمد بن أبي طالب الحجار وغيرهما

وحدث ودرس بالمشهد الحسيني بالقاهرة وغيره

وولي قضاء العسكر وحكم بين المسلمين خلافة عن قاضي القضاة عز الدين مدة مديدة

توفي في سادس شهر ربيع الآخر سنة خمس وستين وسبعمائة بالقاهرة

.128

1310 محمد بن إسحاق بن محمد بن المرتضى الشيخ عماد

الدين البلبيسي

وقفت له على ترجمته لشخص قال فيها هو محمد بن إسحاق بن محمد بن المرتضى الشافعي المشهور بالبلبيسي نقلته من خطه رحمه الله لقبه عماد الدين

الفقيه الأصولي الصوفي الذكي

اشتغل بمصر على الفقيه نجم الدين بن الرفعة والشيخ جمال الدين الوجيزي والشيخ شرف الدين القلقشندي والظهير التزمنتي والشيخ عز الدين ابن مسكين وغيرهم

وكان ملازما للشيخ نجم الدين كثيرا وعنه أخذ وبه مهر في الفقه

وبحث مع الشيخ نجم الدين القمولي والشيخ نجم الدين بن عقيل البالسي

وفاق على أقرانه في ذلك الزمان واشتغل بالاشتغال بمصر وانتفع به خلق كثير

وأجاز جماعة بالإقراء بمصر منهم تلميذه الفقيه تقي الدين البائي وكان المذكور له من الذكاء والفهم حظ وافر

.129

ولي الشيخ عماد الدين مدرسة الخانقاه المعروفة بأرسلان بالمنشأة بين القاهرة ومصر ثم ولي قضاء الإسكندرية عن الملك الناصر محمد بن قلاوون فأقام بها مدة ثم حصلت له محنة طلب منه أخذ أموال الأيتام للسلطان فامتنع فعزل ووضع من مقداره بسبب ذلك

ثم ولي تصدير المدرسة الملكية الجوكندار بالقاهرة المحروسة قريبا من المشهد الحسيني أقام بها يشغل الطلبة من الظهر إلى العصر كل يوم خلا أيام الجمع والثلاثاء لا يشغله عن ذلك شاغل حتى كان يحضر في بعض الأيام من بيته ماشيا وكان بعيدا وبعض الأيام يركب مكاريا وإذا ركب لا يكري إلا دابة ضعيفة محتقرة وكان يقول هذا ربما لا يقصده الناس كثيرا فأنا أريد بره والغرض يحصل وبعض أوقاته يركب بغلته

وكان فقيرا لم تحصل له قط كفايته وكان معلوم التصدير نحو ثمانين درهما نقرة في الشهر ليس له غيرها وصبر على ذلك إلى أن توفاه الله

وكان مجتهدا في أشغال الطلبة حتى إنه يأمرهم بالكتابة لما يشرحه لهم ويحفظونه ويستدعي عرض ذلك منهم

.130

وكان مولعا بذكر الألغاز في الفقه وغيره

كتابه التنبيه والحاوي الصغير وكان يعظم الحاوي ويحث الطلبة على الاشتغال به وشرحه ولم يخرجه وشرح قطعة من التنبيه

وكان شديد الاعتقاد في الفقراء يمشي إليهم ويتبرك بدعائهم وجرى له مع شخص مكاري ركب معه من القاهرة إلى مصر قبل أن يلي قضاء الإسكندرية مكاشفة فلما ركب خطر في خاطره بغلة وجارية تركية مليحة وإذا المكاري قال له يا فقيه شوشت علينا أو ما هذا معناه بغلة وجارية بغلة وجارية يحصل لك ذلك فلما ولي قضاء الإسكندرية ركب البغلة وملك الجارية تركية مليحة

كان رحمه الله نخبة الزمان جليسه لا يمله درسه بستان حوى العلوم ونزهة تزيل هم كل مهموم ساعة في الفقه وساعة في النحو وساعة في حكايات مستظرفة وأشعار مستلطفة

حكى لنا في درسه العام قال كنت ملازما للشيخ نجم الدين بن الرفعة وكان منديله دائما فيه شيء من الذهب فقام يوما مسرعا من الدرس فتبعته فقال خذ هذا المنديل معك ودخل الخلاء لقضاء حاجته ثم خرج وهو ينشد

(علة البول والخرا % حيرا كل من ترى)

(فهما آفة الورى % سهلا أم تعسرا)

وأنشدنا للشيخ تقي الدين ابن دقيق العيد رحمه الله

(لعمري لقد قاسيت بالفقر شدة % وقعت بها في حيرتي وشتاتي)

.131

(فإن بحت بالشكوى هتكت مروءتي % وإن لم أبح بالضر خفت مماتي)

(فأعظم به من نازل بملمة % يزيل حيائي أو يزيل حياتي)

أفادنا رحمه الله فوائد كثيرة غريبة منها فرعان غريبان قال سمعتهما من الشيخ نجم الدين بن عقيل البالسي وكان من العلماء الفضلاء قال رأيتهما في كتاب ولم يحضرني ذكره وهو

لو كتب آية وطمسها بالمداد أو آية مقطعة الحروف فهل يحل للجنب مسها أو كتابتها في المسئلة وجهان

إذا قلنا يجوز اتخاذ آنية الذهب والفضة فينبغي أن يكون بيعها إذا بيعت بجنسها كبيع آلات الملاهي لأنها محرمة الاتخاذ كهي

الوجه الصائر إلى أن حد الضبة في الكبر والصغر أن الكبير قدر النصاب والصغير دونه

قلت فيه نظر لأن النصاب يطلق بإزاء نصاب السرقة وبإزاء نصاب الزكاة ونصاب الزكاة مختلف في قدره فأي نصاب أريد والأولى أن يحمل على نصاب السرقة هذا ما ظهر لي

فائدة في السواك

السواك مطهرة للفم مرضاة للرب مفرح للملائكة مسخط للشيطان

يزيد في الثواب ويقوي البصر وأصول الشعر ويشد اللثة ويقطع البلغم ويحل عقد اللسان ويزيد في الذكاء ويقوي الباءة ويكثر الرزق ويزيل تغير الرائحة الكريهة والقلح ويهون سكرات الموت نقل ذلك بعض مشايخنا رضي الله عنهم

نقل عن تطريز الوجيز في نتف الشيب أنه سفه ترد به الشهادة .132

لا يشترط في المنوي تحقق فعله بل إمكانه حتى لو نوى أن يصلي بوضوئه أول رمضان صلاة العيد صح وكذا لو نوى بوضوئه لصلاة العيد أن يصلي ركعتي الطواف بمكة صح لأن العقل لا يحيله وإن خالف العادة

سؤال فيه إبهام على الفطن لو رأى في بعض بدنه نجاسة وخفي عليه موضعها كيف يصنع

جوابه يغسل جميع ما يمكنه رؤيته له من بدنه لا ما لا يمكن رؤيته فإنه لا يجب غسله

وفوائده كثيرة

توفي رحمه الله في سنة تسع وأربعين وسبعمائة عام الطاعون بمنزلة المجاور لمدرسة الملك الجوكندار ودفن بتربة المقر السيفي قشتمر خارج القاهرة

قلت هذا ما أشرت إليه في قصيدتي التي نظمتها في المعاياة منها .133

(سل لي أخا الفكر والتنقيب والسهر % ما اسم هو الحرف فعلا غير معتبر)

(وأي شكل به البرهان منتهض % ولا يعد من الأشكال والصور) .134

(وأي بيت على بحرين منتظم % بيت من الشعر لا بيت من الشعر)

(وأي ميت من الأموات ما طلعت % بموته روحه في ثابت الخبر)

(ولا يضاف إلى البحرين واختلفوا % فيه وجاءوا بقول غير مختصر) .135

(من عد في أمراء المؤمنين ولم % يحكم على اثنين من بدو ولا حضر)

(ولم يكن قرشيا حين عد ولا % يجوز أن يتولى إمرة البشر)

(من باتفاق جميع الخلق أفضل من % شيخ الصحاب أبي بكر ومن عمر) .136

(ومن علي ومن عثمان وهو فتى % من أمة المصطفى المبعوث من مضر)

(من أبصرت في دمشق عينه صنما % مصورا وهو منحوت من الحجر)
(إن جاع يأكل وإن يعطش تضلع من % ماء نمير زلال ثم منهمر)
(من قال إن الزنى والشرب مصلحة % ولم يقل هو ذنب غير مغتفر)

(من قال إن النكاح الأم يقرب من % تقوى الإله مقالا غير مبتكر)
(من قال سفك دماء المسلمين على الصلاة % أوجبه الرحمن في الزمر)
(من كان والدها ابنا في الأنام لها % وذاك غير عجيب عند ذي النظر)
137.
(وهات قل لي إبراهيم أربعة % بعض عن البعض من هم تحظ بالظفر)
(وهكذا خلف من الرواة كذا % محمد في المغازي جاء والسير)
(وما اللقيقة جاءت والسحيقة في % غريب ما صح مما جاء في الأثر)
(وعن فتاة لها زوجان ما برحا % تزوجت ثالثا حلا بلا نكر)
138.
(وآخر راح يشري طعم زوجته % فعاد وهو على حال من العبر)
(قالت له أنت عبدي قد وهبتك من % زوج تزوجته فاخدمه واصطبر)

(وخمسة من زناة الناس خامسهم % ما ناله بالزنى شيء من الضرر)
(والقتل والرجم والجلد الأليم مع التغريب % وزع في الباقين فافتكر)
139.

1311 محمد بن إبراهيم بن سعد الله بن جماعة بن علي بن جماعة ابن حازم بن صخر شيخنا قاضي القضاة بدر الدين أبو عبد الله الكناني الحموي

حاكم الإقليمين مصرا وشاما وناظم عقد الفخار الذي لا يسامى متحل بالعفاف متخل إلا عن مقدار الكفاف محدث فقيه ذو عقل لا يقوم أساطين الحكماء بما جمع فيه
مولده في شهر ربيع الآخر سنة تسع وثلاثين وستمائة بحماة
140.
ولي قضاء القدس مدة ثم درس بالقيمرية بدمشق ثم ولي خطابة القدس وقضاءها ثانيا ثم نقل منها إلى قضاء القضاة بالديار المصرية ثم ولي قضاء دمشق وخطابتها ثم أعيد إلى قضاء الديار المصرية وسار

في القضاء سيرة حسنة وأضر بالآخرة
سمع بديار مصر من أصحاب البوصيري ومن ابن القسطلاني وأجازه ابن مسلمة وغيره
وقرأ بدمشق على أصحاب الخشوعي وسمعنا الكثير عليه
مات بمصر في ليلة الاثنين الحادي والعشرين من جمادى الأولى سنة ثلاث وثلاثين وسبعمائة ودفن بالقرافة
أخبرن شيخنا قاضي القضاة بدر الدين أبو عبد الله محمد بن إبراهيم بن جماعة قراءة عليه وأنا حاضر في الثالثة أخبرنا أبو الفرج بن أبي محمد عبد المنعم بن أبي الحسن على النميري بقراءتي عليه أخبركم الشيخ أبو الفرج عبد المنعم بن عبد الوهاب بن سعد بن صدقة بن كليب قراءة عليه أخبرنا أبو القاسم علي بن أحمد بن محمد بن بيان الرزاز قراءة عليه قال حدثنا أبو الحسن محمد بن محمد بن إبراهيم بن مخلد أخبرنا إسماعيل بن محمد الصفار أخبرنا الحسن بن عرفة أخبرنا عمار بن محمد عن الصلت ابن قويد الحنفي قال سمعت أبا هريرة رضي الله عنه يقول سمعت خليلي
141. أبا القاسم يقول (لا تقوم الساعة حتى لا تنطح ذات قرن جماء) رواه سفيان بن وكيع عن زيد بن الحباب عن عمار بن محمد هو غاية في العلو
أخبرنا قاضي القضاة بدر الدين حضورا أخبرنا الشيخ الفقيه أبو الحسن علي ابن الشيخ الزاهد أبي العباس المعروف بابن القسطلاني قال سمعت والدي الإمام أبا العباس يقول سمعت الشيخ الإمام أبا عبد الله محمد بن أحمد بن إبراهيم القرشي رضي الله عنه يقول علامة الصادق أن يفتقر بإيمانه إلى كل إيمان وبعقله إلى كل عقل وبعلمه إلى كل علم
أنشدنا قاضي القضاة بدر الدين حضورا أنشدنا الإمام أبو الحسن علي بن أحمد أنشدنا الإمام الحافظ أبو الحسن الحافظ أبو الحسن علي بن المفضل المالكي إملاء لنفسه
(أعم خلائق الإنسان نفعا % وأقربها إلى ما فيه راحه)
(أداء أمانة وعفاف نفس % وصدق مقالة وسماح راحه)
ومن شعر قاضي القضاة بدر الدين ما أنشدنيه ولده سيدنا قاضي القضاة عز الدين أبو عمر عبد العزيز بقراءتي عليه بالقاهرة قال أنشدنا والدي لنفسه
(جهات أموال بيت المال سبعتها % في بيت شعر حواها فيه كاتبه)
(خمس وفيء خراج جزية عشر % وإرث فرد ومال ضل صاحبه)
142.
وأنشدنا مولانا قاضي القضاة عز الدين أيضا بقراءتي عليه قال

أنشدني والدي لنفسه
(أحن إلى زيارة حي ليلى % وعهدي من زيارتها قريب)ً
(وكنت أظن قرب العهد يطفي % لهيب الشوق فازداد اللهيب)
وأنشدني أيضا بقراءتي عليه قال أنشدني والدي لنفسه
(أهني بشهر الصوم من لو بثثته % عظيم اشتياقي رق مما أعانيه)
(وأشكو إليه حسدا لو بلي بهم % شوامخ حسمى هدها ما تقاسيه)
(ومن كان لا يرضيه من حالتي سوى % خلاف مراد الله ما حيلتي فيه)
ومن شعره أيضا
(قالوا شروط الدعاء المستجاب لنا % عشر بها بشر الداعي بإفلاح)

(طهارة وصلاة معهما ندم % وقت خشوع وحسن الظن يا صاح)
(وحل قوت ولا يدعى بمعصية % واسم يناسب مقرون بإلحاح)
من كتاب كشف المعاني لابن جماعة ذكر في الجمع بين الرحمن والرحيم في البسملة أن أحسن ما يقال فيه ولم نجده لغيره أن فعلان مبالغة في كثرة الشيء ولا يلزم منه الدوام كغضبان وفعيل لدوام الصفة كظريف فكأنه قيل العظيم الرحمة الدائمها
قال وإنما قدم الرحمن على الرحيم لأن رحمته في الدنيا تعم المؤمنين والكافرين وفي الآخرة دائمة لأهل الجنة ولذلك يقال رحمن الدنيا ورحيم الآخرة
.143
وفي البقرة (^ رب اجعل هذا بلدا آمنا) وفي إبراهيم (^ رب اجعل هذا البلد آمنا) لأن آية البقرة دعا بها إبراهيم عن نزول إسماعيل وهاجر في الوادي قبل بناء مكة وآية سورة إبراهيم بعد عوده إليها وبنائها
في البقرة (^ وما أهل به لغير الله) وفي المائدة والأنعام والنحل (^ لغير الله به) لأن آية البقرة وردت في سياق المأكول وحله وحرمته فكان تقدم ضمير قد تعلق الفعل به أهم وآية المائدة وردت بعد تعظيم شعائر الله وأوامره وكذلك آية النحل بعد قوله (^ واشكروا نعمة الله) فكان تقدم اسمه أهم
وأيضا فآية النحل والأنعام نزلتا بمكة فكان تقديم ذكر الله بترك ذكر الأصنام على ذبائحهم أهم لما يجب من توحيده وإفراده بالتسمية على الذبائح
وآية البقرة نزلت بالمدينة على المؤمنين لبيان ما يحل وما يحرم فقدم الأهم فيه
قوله تعالى (^ تلك حدود الله فلا تقربوها) وقال بعد (^ فلا تعتدوها

) لأنه أشار بالحدود في الأول إلى نفس المحرمات في الصيام والاعتكاف من الأكل والشرب والوطء والمباشرة فناسب (^ لا تقربوها)
وفي الثانية إلى المأمورات في أحكام الحل والحرمة في نكاح المشركات وأحكام الطلاق والعدد والإيلاء والرجعة وحصر الطلاق في الثلاث والخلع فناسب (^ لا تعتدوها)
144. أي قفوا عندها ولذلك قال بعد ذلك (^ وتلك حدود الله يبينها لقوم يعلمون)
قوله (^ متاعا بالمعروف حقا على المحسنين) وقال بعد ذلك (^ وللمطلقات متاع بالمعروف حقا على المتقين) فأتى بالإحسان في الأولى وبالتقوى في الثانية لأن الأولى في مطلقة قبل الفرض والدخول فالإعطاء في حقها إحسان وإن أوجبه قوم لأنه لافى مقابلة شيء فناسب المحسنين
والثانية في الرجعية والمراد بالمتاع عند المحققين النفقة ونفقة الرجعية واجبة فناسب حق المتقين
ورجح أن المراد به النفقة أنه ورد عقب قوله (^ متاعا إلى الحول) والمراد به النفقة وكانت واجبة قبل النسخ ثم قال (^ وللمطلقات) فظهر أنه النفقة في عدة الرجعية بخلاف البائن بخلع فإن الطلاق من جهتها فكيف تعطى المتعة التي شرعت جبرا للكسر بالطلاق وهي الراغبة فيه فظهر أن المراد بالمتاع هنا النفقة زمن العدة لا المتعة
وللعلماء في هاتين الآيتين اضطراب كثير وما ذكرته أظهر لأنه تقدم حكم الخلع وحكم عدة الموت وحكم المطلقة بعد التسمية وبقي حكم المطلقة الرجعية فيحمل عليه
145.
في (^ يخرجهم من الظلمات إلى النور) أفرد (^ النور) لأن دين الحق واحد وجمع (^ الظلمات) لأن الكفر أنواع
في البقرة (^ لا يقدرون على شيء مما كسبوا) لأن المثل للعامل فكان تقديم نفي قدرته وصلتها وهي (^ على شيء) أنسب
وفي سورة إبراهيم (^ مما كسبوا على شيء) لأن المثل للعمل لقوله تعالى (^ مثل الذين كفروا بربهم أعمالهم) تقديره مثل أعمال الذي كفروا فكان تقديم (^ ما كسبوا) أنسب لأن صلة (^ شيء) وهو الكسب
وفي البقرة (^ فيغفر لمن يشاء) قدم المغفرة وفي المائدة قدم (^ يعذب من يشاء) لأن آية البقرة جاءت ترغيبا في المسارعة إلى طلب المغفرة وإشارة إلى سعة رحمة الله وآية المائدة جاءت عقب

ذكر السارق والسارقة فناسب ذكر العذاب
قوله في آل عمران ومريم (^ وإن الله ربي وربكم) وفي الزخرف
.146
(^ إن الله هو ربي وربكم) لأنه تقدم في السورتين من الآيات الدالة على توحيد الرب وقدرته وعبودية المسيح له ما أغنى عن التأكيد بخلاف الزخرف
في يونس (^ ويعبدون من دون الله ما لا يضرهم ولا ينفعهم) قدم الضرر لتقدم (^ إني أخاف إن عصيت ربي عذاب يوم عظيم) وفي الفرقان (^ ما لا ينفعهم ولا يضرهم) لتقدم ذكر النعم
ونظيره تقديم "الأرض" في يونس في قوله (^ وما يعزب عن ربك من مثقال ذرة في الأرض ولا في السماء) ولأنه تقدم (^ وما تكون في شأن) الآية فناسب تقديم الأرض لأن الشئون والعمل في الأرض وفي سبأ (^ في السموات ولا في الأرض)
.147

1312 محمد بن إبراهيم بن يوسف بن حامد الشيخ تاج الدين المراكشي

ولد بعد السبعمائة
ونشأ بالقاهرة وتفقه بها وقرأ على قاضي القضاة الشيخ علاء الدين علي بن إسماعيل القونوي ولازم الشيخ ركن الدين بن القوبع
وكان فقيها نحويا متفننا مواظبا على طلب العلم لا يفتر ولا يمل إلا في القليل
أعاد في القاهرة بقبة الشافعي ثم دخل دمشق ودرس بالمسرورية وسمع من شيخنا الحافظ المزي وجماعة
ثم ترك التدريس وانقطع بدار الحديث الأشرفية على طلب العلم إلى أن
.148 توفي فجأة بعد العصر من يوم الأحد ثالث عشر جمادى الآخرة سنة اثنتين وخمسين وسبعمائة
أنشدنا من لفظه لنفسه
(قلة الحظ يا فتى % صيرتني مجهلا)
(وجهول بحظه % صار في الناس أكملا)
دخلت إليه مرة وهو ينشد قول ابن بقي
(حتى إذا مالت به سنة الكرى % زحزحته شيئا وكان معانقي)
(أبعدته عن أضلع تشتاقه % كي لا ينام على وساد خافق)
وقول الحكم بن عقال
(إن كان لا بد من رقاد % فأضلعي هاك عن وساد)
(ونم على خفقها هدوا % كالطفل في نهنه المهاد)

وهو ومن عنده يقولون إن قول الحكم أجدر بالصواب فإنه لا يناسب المحب أن يبعد حبيبه وينشدون قول الشيخ صلاح الدين الصفدي أمتع الله ببقائه في ذلك ردا على ابن بقي
149.
(أبعدته من بعد ما زحزحته % ما أنت عند ذوي الغرام بعاشق)
(إن شئت قل أبعدت عنه أضالعي % ليكون فعل المستهام الوامق)
(أو قل فبات على اضطراب جوانحي % كالطفل مضطجعا بمهد حافق)
قلت إن ابن بقي وإن أساء لفظا حيث قال أبعدته فقد أحسن معنى لأنه وصف أضلعه بالخفقان والاضطراب الزائد لا يستطيع الحبيب النوم عليها فقدم مصلحته على مصلحته وترك ما يريد لما يريد وأبعده عما يقلقه
ولو قال
(أبعدت عنه أضلعا تشتاقه %)
لأحسن لفظا كما أحسن معنى وأما الحكم فإنه وصف خفقانه بالهدو وهو خفقان يسير يشبه اضطراب سرير الطفل وهذا نقض فوقع النزاع في ذلك
وأرسلوا إلى القاضي شهاب الدين أحمد بن يحيى بن فضل الله رحمه الله صورة سؤال عن الرجلين ابن بقي والحكم أيهما المصيب فكتب
(قول ابن بقي عليه مأخذ % لكنه قول المحب الصادق)
(يكفيه في صدق المحبة قوله % كي لا ينام على وساد خافق)
(ما الحب إلا ما يهد له الحشا % ويهد أيسره فؤاد العاشق)
في أبيات أخر لم تجر على خاطري الآن
وأبيات ابن بقي هذه من كلمة له حسنة وهي
(بأبي غزال غازلته مقلتي % بين العذيب وبين شطي بارق)
(وسألت منه زيارة تشفي الجوا % فأجابني منها بوعد صادق)
(بتنا ونحن من الدجا في خيمة % ومن النجوم الزهر تحت سرادق)
150.
(عاطيته والليل يسحب ذيله % صهباء كالمسك الفتيق لناشق)
(وضممته ضم الكمي لسيفه % وذؤابتاه حمائل في عاتقي)
(حتى إذا مالت به سنة الكرى % زحزحته شيئا وكان معانقي)
(أبعدته عن أضلع تشتاقه % كي لا ينام على وساد خافق)
(لما رأيت الليل آخر عمره % قد شاب في لمم له ومفارق)
(ودعت من أهوى وقلت تأسفا % أعزز علي بأن أراك مفارقي)
ويقرب من هذه النكتة أن جريرا قال
(طرقتك صائدة الفؤاد وليس ذا % وقت الزيارة فارجعي بسلام)

فعيب عليه قوله فارجعي وهو نقد حسن فأي لفظ أبشع من قول المحب لمن يحبه ارجع
ورأيت الشيخ صلاح الدين الصفدي نفع الله به قد قال رادا عليه
(يا خجلتا لجرير من % قول كفانا الله عاره)
(طرقتك صائدة الفؤاد % وليس ذا وقت الزياره)
(هل كان يلقى إن أتاه % خيال من يهوى خساره)
(أو كان قلب قد حواه % من حديد أو حجاره)
151.
فعجبت له كيف ترك لفظة ارجعي وهو أبشع ما عيب به على جرير وقلت
(أما جرير فجر ثوب العار في % دعوى الضنى وله دثار غرام)
(إذ كذب الدعوى وقال لها وقد % زارته في الغلس ارجعي بسلام)
ثم قلت لعل الشيخ صلاح الدين إنما ترك لفظة الرجوع لنكارتها وقلت
(إني لأعجب من جرير وقوله % قولا غدوت به أنكر حاله)
(طرقتك صائدة الفؤاد وليس ذا % وقت الزيارة فاستمع أقواله)
(وعذر فلست بقادر والله أن % أحكي الذي بعد الزيارة قاله)
فلما وقف الشيخ صلاح الدين على كلامي هذا كله زعم أني أعترف له بحسن النقد وقال
(أما جرير فلم يكن % صبا ولكن يدعي)
(أوما تراه أتته صائدة % الفؤاد فلم يعي)
(بل قال جهلا ليس ذا % وقت الزيارة فارجعي)
(لو كنت حاضر أمره % قلت ارجعي وله اصفعي)
قلت ولا يخفى أن هذه الاعتراضات كلها لفظية طرقت قائلها ولم يحقق فإن جريرا لم يقصد برجوعها إلى الشفقة عليها من الزيارة في غير وقت الزيارة فجاءه الاعتراض من لفظة الرجوع فقط كما جاء ابن بقي من لفظة الإبعاد وربما أتي أقوام من سوء العبارة
قال الحافظ أبو عبد الله الحميدي أخبرني أبو غالب محمد بن أحمد ابن سهل النحوي قال حكيت للوزير أبي القاسم الحسين بن علي المغربي قول أبي الحسن الكرخي أوصانا شيوخنا بطلب العلم وقالوا لنا اطلبوه واجتهدوا فيه فلأن يذم لكم الزمان أحسن من أن يذم بكم الزمان
152.
قال فاستحسن الوزير ذلك وكتبه ثم عمل أبياتا وأنشدنيها وهي
(ولقد بلوت الدهر أعجم صرفه % فأطاع لي أصحابه ولسانه)
(ووجدت عقل المرء قيمة نفسه % وبجده جدواه أو حرمانه)
(وعلى الفتى أن لا يكفكف شأوه % عند الحفاظ ولا يغض عيانه)

(فإذا جفاه المجد عيبت نفسه % وإذا جفاه الجد عيب زمانه)
قلت وهذه أبيات حسنة بالغة في بابها وقد حاول الشيخ تاج الدين عبد الباقي اليماني اختصارها فقال
(تجنب أن تذم بك الليالي % وحاول أن يذم لك الزمان)
(ولا تحفل إذا كملت ذاتا % أصبت العز أم حصل الهوان)
فأغفل ما تضمنته أبيات الوزير الثلاث من المعاني واقتصر على ما تضمنه البيت الرابع ثم انقلب عليه المعنى وأتي من سوء التعبير فإن المقصود أن المرء يكمل نفسه ولا عليه من الزمان وأما أنه يسعى في أن يذم له الزمان فليس بمقصود ولا هو مراد أشياخ الكرخي ولا يحمده عاقل وكان الصواب حيث اقتصر على معنى البيت الرابع أن يأتي بعبارة مطابقة كما قلناه نحن
(عليك كمال ذاتك فاسع فيها % وليس عليك عز أو هوان)
(وليس إليك أيضا فاسع فيما % إليك وأنت مشكور معان)
(فذم الدهر للإنسان خير % من الإنسان ذم به الزمان)

.153

فهذا البيت واف بالمعنى الذي قاله أشياخ الكرخي مطابق له من غير زيادة ولا نقص وأحسن من هذا كله قول بعضهم
(جهل الفتى عار عليه لذاته % وخموله عار على الأيام)
وقول الآخر
(أن يكون الزمان عيبي أولى % بي من أن أكون عيب الزمان)
وقول الآخر
(ما في خمولي من عار على أدبي % بل ذاك عار على الدنيا وأهليها)

1313 محمد بن عبد الحاكم بن عبد الرزاق البلفيائي

من فقهاء المصريين
وهو والد شيخنا القاضي زين الدين أبي حفص عمر
أخبرني ولده أن له شرحا على الوسيط لم يكمله
ورأيت ولده المذكور قد نقل عنه في شرحه على مختصر التبريزي لما تكلم على قول الأصحاب إنه يجزئ في بول الغلام الذي لم يطعم النضح وأن المراد به لم يطعم غير اللبن فقال في شرح الوسيط لوالدي أن الشافعي رضي الله عنه قال والرضاع بعد الحولين بمنزلة الطعام والشراب

.154

1314 محمد بن عبد الله بن المجد إبراهيم المرشدي

الشيخ الصالح ذو الأحوال
قرأ على ضياء الدين بن عبد الرحيم

وكان مقيما بمنية بن مرشد بالديار المصرية
واتفق الناس على أنه لو ورد عليه في اليوم الواحد العدد الكثير من الخلق لكفاهم قوت يومهم وأطعمهم ما يشتهونه ولا يعرف أحد أصل ذلك ولا يحفظ عليه أنه قبل لأحد شيئا
وتحكى عنه مكاشفات كثيرة نفع الله به
توفي في شهر رمضان سنة سبع وثلاثين وسبعمائة
وهو أخو سيدي الشيخ أحمد أعاد الله من بركاته

1315 محمد بن داود بن الحسن التبريزي السيد صدر الدين بن قطب الدين

له شرح على كتاب النبيه مختصر التنبيه لابن يونس رحمه الله
.155

1316 محمد بن خلف بن كامل القاضي شمس الدين الغزي

رفيقي في الطلب
مولده سنة ست عشرة وسبعمائة بغزة
وقدم دمشق فاشتغل بها ثم رحل إلى قاضي حماة شرف الدين البارزي فتفقه عليه وأذن له بالفتيا ثم عاد إلى دمشق وجد واجتهد صحبته ورافقته في الاشتغال من سنة تسع وثلاثين وسبعمائة سنة مقدمتنا دمشق إلى أن توفي وهو على الجد البالغ في الاشتغال
أما الفقه فلم يكن في عصره أحفظ منه لمذهب الشافعي يكاد يأتي على الرافعي وغالب المطلب لابن الرفعة استحضارا وله مع ذلك مشاركة جيدة في الأصول والنحو والحديث
وحفظ التلخيص في المعاني والبيان للقاضي جلال الدين
وصنف زيادات المطلب على الرافعي
وجمع كتابا نفيسا على الرافعي يذكر فيه مناقب الرافعي بأجمعها وما يمكن الجواب عنه منها بتنبيهات مهمات في الرافعي ويستوعب على ذلك كلام ابن الرفعة والوالد رحمهما الله ويذكر من قبله شيئا كثيرا وفوائد مهمة ولم يبرح يعمل في هذا الكتاب إلى أن مات فجاء في نحو خمس مجلدات أنا سميته ميدان الفرسان فإنه سألني أن أسميه له وكان يقرأ علي غالب ما يكتبه فيه ويسألني عما يشكل عليه فلي في كتابه هذا كثير من العمل وبالجملة لعلنا استفدنا منه أكثر مما استفاد منا
.156
وكان من تلاوة القرآن وكثرة التعبد وقيام الليل وسلامة الصدر وعدم الاختلاط بأبناء الدنيا بمكان
استنبته في الحكم بدمشق ونزلت له عن تدريس التقوية ثم تدريس الناصرية وكان قد درس قبلهما في حياة الوالد رحمه الله بالحلقة

القوصية بالجامع فاجتمع له التداريس الثلاثة مع إعادة الركنية وإعادة العالدية الصغرى وتصدير على الجامع وإمامة الكلاسة
وكان الوالد رحمه الله يحبه وكان هو يحضر دروس الوالد ويسمع كلامه
وسألني مرات أن يقرأ عليه شيئا فما تهيأ له لكنا كنا نطالع في ليالي الشتاء سنة ثلاث وأربعين وسبعمائة أو أربع وأربعين بدار الحديث الأشرفية الرافعي أنا والغزي وتاج الدين المراكشي في غالب الليل ويخرج الوالد في بعض الأحايين ويجلس معنا فيسمع قراءتي تارة وقراءته أخرى ويأخذ عنه
توفي الغزي ليلة الأحد رابع عشر رجب سنة سبعين وسبعمائة بمنزله بالعادلية الصغرى بدمشق فإنه كان معيدها
وسكن في بيت التدريس أعاره إياه مدرسها الشيخ جمال الدين ابن قاضي الزبداني فسكن فيه مدة سنين
ودفن من الغد بتربتنا بسفح قاسيون والناس عليه باكون متأسفون فإنه حكم بدمشق نحو أربع عشرة سنة لا يعرف منه غير لين الجانب وخفض الجناح وحسن الخلق مع لزوم التقوى ومحبة الفقراء

.157

1317 محمد بن عبد الله بن عمر

الشيخ زين الدين بن علم الدين بن زين الدين بن المرحل
ولد بعد سنة تسعين وستمائة
وتفقه على عمه الشيخ صدر الدين
ودرس بالقاهرة بالمشهد الحسيني ثم بدمشق بالشامية البرانية والعذراوية وكان رجلا فاضلا دينا عارفا بالفقه وأصوله
صنف في الأصول كتابين
توفي سنة ثمان وثلاثين وسبعمائة

.158

1318 محمد بن عبد الرحمن بن عمر قاضي القضاة جلال الدين القزويني

قدم دمشق من بلاده هو وأخوه قاضي القضاة إمام الدين وأعاد بالمدرسة البادرائية ثم ناب في القضاء بدمشق عن أخيه ثم عن قاضي القضاة نجم الدين بن صصرى ثم ولي خطابة دمشق ثم ضاء القضاة بها ثم انتقل إلى قضاء القضاة بالديار المصرية لما أضر القاضي بدر الدين بن جماعة فأقام بها مدة ثم صرف عنها وأعيد إلى قضاء الشام
وكان رجلا فاضلا متفننا له مكارم وسؤدد
وكان يذكر أنه من نسل أبي دلف العجلي
وهو مصنف كتاب التلخيص في المعاني والبيان وكتاب الإيضاح فيه

ذكره الشيخ جمال الدين بن نباتة في سجع المطوق فقال الإمام المقدم على التحقيق والغمام المنشئ في مروج مهارقه كل روض أنيق والسابق لغايات
159. العلوم الذي خلي له نحوها عن الطريق والبازي المطل على دقائقها الذي اعترف له بالتقصير ذوو التحليق والهادي لمذاهب السنة الذي يشهد البحث أن بحر فكره عميق والحبر الذي لا تدعي نفحات ذكره الزهر والصحيح أنها أعطر من المسك الفتيق ناهيك به من رجل على حين فترة من الهمم وظلمة من الدهر لا كالظلم أطلعه الشرق كوكبا ملأ نوره الملا لا بل بدرا لا يغتر بأشعة تواضعه الأعلون فيشرئبون إلى لا بل صبحا يحمد لديه الطالب سراه لا بل شمسا يتمثل في شخصه علماء الدهر الغابر فكان مرآة مرآه
وذكره القاضي شهاب الدين ابن فضل الله في كتابه مسالك الأبصار فقال من ولد أبي دلف ومن مدد ذلك السلف ولي أبوه وأخوه وشبهت النظراء ولم يؤاخوه ولي الخطابة وشآفنها ورقى أعواد المنابر وهز غصنها وكان
160. صدر المحافل إذا عقدت وصيرفي المسائل إذا انتقدت وكان طلق اليدين وطرق الكرم وإن كان بالدين
انتهى
توفي القاضي جلال الدين بدمشق في سنة تسع وثلاثين وسبعمائة
وفيه يقول القاضي صلاح الدين خليل بن أيبك الصفدي وكيل بيت المال وإمام الأدب في هذا العصر من قصيدة امتدحه بها
(هذا الإمام الذي ترضى حكومته % خلاف ما قاله النحوي في الصحف)
(حبر متى جال في بحث وجاد فلا % تسأل عن البحر والهطالة الوطف)
(له على كل قول بات ينصره % وجه يصان عن التكليف بالكلف)
(قد ذب عن ملة الإسلام ذب فتى % يحمي الحمى بالعوالي السمر والرعف)
(ومذهب السنة الغراء قال به % وثقف الحق من حيف ومن جنف)
(يأتي بكل دليل قد حكى جبلا % فليس ينسفه ما مغلط النسفي)
(وقد شفى العي لما بات منتصرا % للشافعي برغم المذهب الحنفي)
(يحيي دروس ابن إدريس مباحثه % فحبذا خلف منه عن السلف)
161.
(فما أرى ابن سريج إن يناظره % من خيل ميدانه فليمض أو يقف)
(ولو أتى مزني الفقه أغرقه % ولم يعد قطرة في سحبه الذرف)

(وقد أقام شعرا الأشعري فما % يشك يوما ولا يشكو من الزيف)
(وليس للسيف حد يستقيم به % ولو تصدى له ألقاه في التلف)
(والكاتبي غدا في عينه سقم % إذا راح ينظر من طرف إليه خفي)
(من معشر فخرهم أبقاه شاعرهم % في قوله إنما الدنيا أبو دلف)
أفتى القاضي جلال الدين وهو خطيب دمشق في رجل فرض على نفسه لولده فرضا معينا في كل شهر وأذن لأمه حاضنته في الإنفاق والاستدانة والرجوع عليه ففعلت ذلك ومات الآذن بأن لها الرجوع في تركته
وتوقف فيه الشيخ برهان الدين بن الفركاح لقول الأصحاب إن نفقة القريب لا تصير دينا إلا بقرض القاضي أو إذنه في الاستقراض فإن ذلك يقتضي عدم الرجوع وقولهم لو قال أطعم هذا الجائع وعلي ضمانه استحق عليه ولو قال أعتق عبدك وعلي ألف استحق يقتضي الرجوع
قلت الأرجح ما أفتى به القاضي جلال الدين من الرجوع

.162

1319 محمد بن عبد الرحيم بن محمد الشيخ صفي الدين الهندي الأرموي

المتكلم على مذهب الأشعري
كان من أعلم الناس بمذهب الشيخ أبي الحسن وأدراهم بأسراره متضلعا بالأصلين
اشتغل على القاضي سراج الدين صاحب التحصيل
وسمع من الفخر بن البخاري
روى عنه شيخنا الذهبي
ومن تصانيفه في علم الكلام الزبدة وفي أصول الفقه النهاية والفائق والرسالة السيفية
وكل مصنفاته حسنة جامعة لا سيما النهاية

.163

مولده ببلاد الهند سنة أربع وأربعين وستمائة
ورحل إلى اليمن سنة سبع وستين ثم حج وقدم إلى مصر ثم سار إلى الروم واجتمع بسراج الدين
ثم قدم دمشق سنة خمس وثمانين واستوطنها ودرس بالأتابكية والظاهرية الجوانية وشغل الناس بالعلم
توفي بدمشق سنة خمس عشرة وسبعمائة
وكان خطه في غاية الرداءة وكان رجلا ظريفا ساذجا فيحكى أنه قال وجدت في سوق الكتب مرة كتابا بخط ظننته أقبح من خطي فغاليت في ثمنه واشتريته لأحتج به على من يدعي أن خطي أقبح الخطوط فلما عدت إلى البيت وجدته بخطي القديم

ولما وقع من ابن تيمية في المسئلة الحموية ما وقع وعقد له المجلس بدار السعادة بين يدي الأمير تنكز وجمعت العلماء أشاروا بأن الشيخ الهندي يحضر فحضر وكان الهندي طويل النفس في التقرير إذا شرع في وجه يقرره لا يدع شبهة

164. ولا اعتراضا إلا قد أشار إليه في التقرير بحيث لا يتم التقرير إلا وقد بعد على المعترض مقاومته فلما شرع يقرر أخذ ابن تيمية يعجل عليه على عادته ويخرج من شيء إلى شيء فقال له الهندي ما أراك يا ابن تيمية إلا كالعصفور حيث أردت أن أقبضه من مكان فر إلى مكان آخر وكان الأمير تنكز يعظم الهندي ويعتقده وكان الهندي شيخ الحاضرين كلهم فكلهم صدر عن رأيه وحبس ابن تيمية بسبب تلك المسئلة وهي التي تضمنت قوله بالجهة ونودي عليه في البلد وعلى أصحابه وعزلوا من وظائفهم

1320 محمد بن عبد الصمد بن عبد القادر بن صالح الشيخ قطب الدين السنباطي

صاحب تصحيح التعجيز وأحكام المبعض
كان فقيها كبيرا تخرجت به المصريون
سمع أبا المعالي الأبرقوهي وعلي بن نصر الله الصواف وغيرهما
توفي في ذي الحجة سنة اثنتين وعشرين وسبعمائة بالقاهرة ودفن بالقرافة

165. قول الأصحاب إن الراهن والمرتهن إذا تشاحا في أن الرهن يكون عند من يسلمه الحاكم إلى عدل صورة التشاحح مما يسأل عنها فإنه إن كان قبل القبض فالتسليم غير واجب وإجبار الحاكم إنما يكون في واجب وإن كان بعد القبض فلا يجوز نزعه ممن هو في يده وكان السنباطي يصوره فيما إذا وضعاه عند عدل ففسق فإن يده تزال والرهن لازم فإن تشاحا حينئذ فيمن يكون تحت يده اتجه إجبار الحاكم وكذلك لو رضيا بيد المرتهن لعدالته حين القبض ثم فسق ينبغي أن يكون كذلك

1321 محمد بن عبد الغفار بن عبد الكريم القزويني الشيخ جلال الدين

ولد صاحب الحاوي الصغير الشيخ نجم الدين
تفقه على أبيه وتوفي سنة تسع وسبعمائة

166.

1322 محمد بن عبد المحسن بن الحسن

قاضي البهنسا
شرف الدين الأرمنتي

مولده سنة اثنتين وسبعين وستمائة
وكان فقيها شاعرا
توفي سنة ثلاثين وسبعمائة ومن شعره
(إن العبادلة الأخيار أربعة % منهاج العلم للإسلام في الناس)
(ابن الزبير وابن العاص وابن أبي % حفص الخليفة والحبر ابن عباس)
(وقد يضاف ابن مسعود لهم بدلا % عن ابن عمرو لوهم أو لإلباس)
.167

1323 محمد بن عبد اللطيف بن يحيى بن علي بن تمام السبكي الفقيه المحدث الأديب المتفنن

تقي الدين أبو الفتح
كان ممن جمع بين الفقه والحديث ووضع أخمصه فوق النجوم مع سن حديث
له الأدب الغض والألفاظ التي لو أصغى الجدار إليها لأراد أن ينقض
وكان متدرعا جلباب التقي متورعا حل محل النجم وارتقى
طلب الحديث في صغره
وسمع من أحمد بن أبي طالب بن الشحنة وأحمد بن محمد بن علي العباسي والحسن ابن عمر الكردي وعلي بن عمر العراقي ويوسف بن عمر الختني ويونس بن إبراهيم الدبابيسي وخلق
وأحضره والده على أبي الحسن علي بن عيسى القيم وعلي بن محمد بن هارون المقرئ
.168 وأحمد بن إبراهيم بن محمد المقدسي ويوسف بن مظفر بن كوركبك
وأجاز له في سنة مولده الحافظ أبو محمد الدمياطي وغيره
وحدث وكتب بخطه وقرأ بنفسه وكان أستاذ زمانه في حسن قراءة الحديث صحة وأداء واسترسالا وبيانا ونغمة
وانتقى على بعض شيوخه وخرج لعم والده جدي رحمه الله مشيخة سمعناها بقراءته
وتفقه على جده الشيخ صدر الدين يحيى وعلى الشيخ الإمام الوالد وبه تخرج في كل فنونه وعلى الشيخ قطب الدين السنباطي
وقرأ النحو على الشيخ أبي حيان وكمل عليه التسهيل وغيره وتلا عليه بالسبع
وكان الوالد رحمه الله كثير المحبة له والتعظيم لدينه وورعه وتفننه في العلوم
درس بالقاهرة بالمدرسة السيفية وناب في الحكم ثم انتقل إلى دمشق وناب في القضاء عن الوالد ودرس بالمدرسة الركنية وخلفه

صاحب حمص
وقد ذكره شيخنا الذهبي في المعجم المختص وأثنى على علمه ودينه
مولده في سابع عشر ربيع الآخر سنة خمس وسبعمائة
وتوفي في ثاني عشر ذي القعدة سنة أربع وأربعين وسبعمائة ودفن بقاسيون
أخبرنا الحافظ أبو الفتح محمد بن عبد اللطيف السبكي بقراءتي عليه من حفظي بقرية يلدا من دمشق أخبرنا أبو العباس الحجار وست الوزراء
ح
وكتب إلي الحجار قالا أخبرنا ابن الزبيدي أخبرنا أبو الوقت أخبرنا
169. الداودي أخبرنا الحموي أخبرنا الفربري أنا خ حدثنا محمد ابن عبد الله الأنصاري أخبرنا حميد أن أنسا رضي الله عنه حدثهم عن النبي قال كتاب الله القصاص انفرد بإخراجه خ من هذا الطريق فرواه في الصلح والتفسير والديات مطولا ومختصرا
أخبرنا الفقيه الأديب محمد بن عبد اللطيف بقراءتي عليه أخبرنا علي بن عمر الواني وأبو الهدى أحمد بن محمد العباسي قراءة عليهما قال الأول أخبرنا عبد الرحمن بن مكي الحاسب السبط وقال الثاني أخبرنا عبد الوهاب بن ظافر الأزدي ابن رواج قالا أخبرنا الحافظ أبو الطاهر
ح وأخبرنا قاضي القضاة شرف الدين أبو محمد عبد الله بن الحسن بن عبد الله بن الحافظ عبد الغني المقدسي وزينب بنت الكمال وغيرهما كتابة عن أبي القاسم السبط إذنا أخبرنا السلفي أخبرنا مكي بن منصور بن محمد بن علان أخبرنا أبو بكر أحمد بن الحسن بن أحمد الحيري الجرشي حدثنا أبو العباس محمد بن يعقوب حدثنا
170. أبو يحيى زكريا بن يحيى بن أسد المروزي ببغداد حدثنا سفيان بن عيينة عن عاصم عن زر بن حبيش عن صفوان بن عسال المرادي رضي الله عنه قال قال رجل يا رسول الله أرأيت رجلا أحب قوما ولم يلحق بهم قال هو مع من أحب أخرجه الترمذي عن ابن عمر عن سفيان فوقع لنا بدلا عاليا
وعن محمود بن غيلان عن يحيى بن آدم عن سفيان فوقع لنا عاليا بدرجات ثلاث
أنشدني شيخنا تقي الدين أبو الفتح لنفسه بقراءتي عليه أرجوزته التي منها
(اسمع أخي وصية من ناصح % مناضل عن عرضه مكادح)
(لا تقصين ما حييت صاحبا % ولا قريبا بل ولا مجانبا)
(ولا تعدد الكلم في أحد % ولا تكن للغلطات بالرصد)
(ولا تؤاخذ مذنبا بذنب % فتغتدي فاقد كل صحب)

(إجر مع الناس على أخلاقهم % وصاحب الخلق على وفاقهم)
(ولا تقطب إن أتاك سائل % فذاك للسائل داء قاتل)
(ولا تكن على صديق مكثرا % فإن صفو الود يضحي كدرا)
171.
(ولا يغرنك دوام الصحبه % فما يعود القلب إلا قلبه)
(لا تسمعن في صاحب كلاما % لا تلقين لامرأة زماما)
وهي طويلة اقتصرنا منها على ما أوردناه
وأنشدني لنفسه أيضا وكتبت بها على جزء خرجته في الكلام على حديث المتبايعين بالخيار
(يصنف في كل يوم كتابا % يشابه في النور ضوء النهار)
(وأنت فمن سادة ينتمون % بأنسابهم لعلي النجار)
(فحق لمادحكم أن يقول % حديث الخيار رواه الخيار)
وأنشدني لنفسه أيضا وكتبت بها على الأربعين التي خرجتها زمن الشباب
(أحدت الأربعين فدمت تاجا % لأهل العلم ذا فضل مبين)
(وأضحى الوالد الندب المرجى % لما يرجوه فيك قرير عين)
(وأرجو أن أراك رفيع قدر % وقد جاوزت حد الأربعين)
وأنشدني أيضا لنفسه من لفظه تضمينا للبيت الثالث
(عرف العاذل وجدي فلاحى % ورأى عني التسلي فلاحا)
(عن غزال فاق جيدا وظرفا % وهلال رام قتلي فلاحا)
(علموني كيف أسلو وإلا % فاحجبوا عن مقلتي الملاحا)
172.
وأنشدني أيضا لنفسه أبياتا مفيدة نظمها في أسماء الخلفاء وهي
(إذا رمت تعداد الخلائف عدهم % كما قلته تدعى اللبيب المحصلا)
(عتيق وفاروق وعثمان بعده % علي الرضا من بعده حسن تلا)
(معاوية ثم ابنه وحفيده % معاوية وابن الزبير أخو العلا)
(ومروان يتلوه ابنه ووليده % سليمان وافى بعده عمر ولا)
(يزيد هشام والوليد يزيدهم % سناهم بإبراهيم مروان قد علا)
(وسفاح المنصور مهدي ابتدئ % وهاد رشيد للأمين تكفلا)
(وأعقب بالمأمون معتصم غدا % بواثقه يستتبع المتوكلا)
(ومنتصر والمستعين وبعده % لمعتز المتلو بالمهتدي انقلا)
(ومعتمد يقفوه معتضد وعن % سنا المكتفي يتلوه مقتدر سلا)
(وبالقاهرة الراضي تعوض متق % وبالله مستكف مطيع تفضلا)
(وطائعهم لله بالله قادر % وقائمهم بالمقتدي استظهر العلا)
(ومسترشد والراشد المقتفي به % ومستنجد والمستضي ناصر خلا)

(وظاهرهم مستنصر قد تكملوا % بمستعصم في وقته ظهر البلا)
(ومستنصر أو حاكم وابنه ولم % يقم واثق حتى أتى حاكم الملا)
(فدونكها مني بديها نظمتها % فإن آت تقصيرا فكن متطولا)
173.
وأنشدني شيخ الإسلام الوالد رحمه الله عند سماعه هذه الأبيات مني
(أجدت تقي الدين نظما ومقولا % ولم تبق شأوا في الفضائل والعلا)

(فمن رام نظما للأئمة بعدها % يروم محالا خاسئا ومجهلا)
خطر لي في وقت أن أنظم في الخلفاء وأضم خلفاء الفاطميين وخلفاء المغاربة فتذكرت قول الوالد إن من رام نظما لهم بعد أبي الفتح يكون خاسئا مجهلا فقلت رجل صالح وقد أنطقه الله فأحجمت وكتب إلي الشيخ الإمام الوالد رحمه الله وكنا على شاطئ البحر وتأخر عنا أبو الفتح بالقاهرة لاشتغاله بوفاة والدته رحمها الله تعالى
(تسل تقي الدين عن فقد من أودى % وأحرق لي قلبا وشيب لي فودا)
(لقد بان عنا مذ ترحل شخصها % سرور وآلى لا يواصلها عودا)
(سقى الله تربا ضمها غيث رحمة % وجارتها أمي وأولاهما جودا)
(ولو كان حزن نافعا لجعلته % شعاري عسى أفدي مكرمة خودا)
(ولم نزل قصدا لشيء سواهما % ولا مطلبا أرجوه كلا ولا رودا)
174.
(فراجع وكن بالصبر والحكم والرضا % عن الله للبلوى تذود به ذودا)

(ولا تبد ضعفا إن علمك قدوة % وكن جبلا ذا قوة شامخا طودا)
(واقدم إلينا أن أحمد قائل % أرى كل بيضا من بعادك لي سودا)
أحمد المذكور هو الأخ شيخنا شيخ الإسلام أبو حامد أحمد وهذا النصف نظمه
فكتب الشيخ أبو الفتح الجواب
(أيا محسنا بدء ومستأنفا عودا % ومن حاز من وصف العلا سؤددا عودا)
(ومن علمه بحر تزايد مده % وفيض ندى كفيه عم الورى جودا)
(ملكت زمان العلم فانقاد طائعا % وأمك بالإذعان إذ قدته قودا)
(وجاريت أرباب البديع بمنطق % علوت به قسا وفقت به أودا)
(وأرسلت سحرا يطرب السمع نفثه % وخمرا تذود الهم عن خاطري ذودا)
(وسليتني عن ذاهب أحرق الحشا % وأذهب عن قلبي المسرة إذ أودى)

(وغادر مني أسود الشعر أبيضا % كما كل بيضا من تنائيه لي سودا)
(فبردت نار الشوق إذ زاد وقدها % وخففت حمل الوجد إذا آدني أودا)
175.
(وأفرحتني لما دعوت لها ففي % دعائك خير لا أواري به رودا)
(وأذكرتني أما لها الفضل ثابت % لأن تركت من بعدها جبلا طودا)
(فمن بعدها لا أججت نار قلبه % ولا شيب الله الكريم له فودا)
(وعاش مقيما في علا وسعادة % قعود قناة كلما بقيت عودا)
(ومتعه بالسيدين كليهما % وثالثهم لا يختشي للردى كودا)
(وعاشوا لإنعام يقول حسودهم % لرؤيته لا خفف الله في فودا)
(فخذها عروسا شرفت بمحاسن % لديكم فجاءت تنجلي لكم خودا)
(على العرب العرباء تبدي نفاسة % ولا وطئت نجدا ولا صاحبت سودا)
(ولا ينبغي إلا القبول فإن يكن % فذلك قصدي لا نضارا ولا ذودا)
176.
(وإن لم تقع بالموقع الرحب منكم % فعبدكم قد هاد عن مثلها هودا)

(وقد جمعت كل القوافي سوى الذي % تضمنه التصريع من قوله عودا)
وكتب إليه القاضي شهاب الدين ابن فضل الله يعزيه فيها أبياتا منها
(مصيبة الفاقد في فقده % تظهر للواحد في وحده)
(وكل من طالت به مدة % فنقصه في منتهى حده)
(وما على المرء إذا لم يمت % من ميت قد صار في لحده)
(لو كان يغنيه عليه البكا % لكانت الأنواء من مده)
(ميعادنا الموت فما لامرئ % يفر في الميعاد عن وعده)
(وإنما الأيام معدودة % لا يغلط الإنسان في عده)
(وكل من حام على مورد % مصيره يأتي إلى ورده)
(وسائق الموت بنا مزعج % وكل من يسعى على جهده)
(كم ولد يبكي على والد % ووالد يبكي على ولده)
(فقد تساوى في الثرى أول % وآخر قد جاء من بعده)
(ليس بين العبد من سيد % كلا ولا السيد من عبده)
(من سلم الأمر إلى ربه % فاز بما يرجوه من قصده)
(كل امرئ منا سيلقى الردى % بذمه إن شاء أو حمده)
177.
(فاسمع أبا الفتح وقيت الردى % ولا تثير النار من زنده)
(مثلك من يلقى الردى صابرا % محتسبا للأجر في فقده)

(فقدت أما برة لم يزل % كوكبها المشرق في سعده)
(ماتت وأبقت منك فينا فتى % كمثل ماء الورد من ورده)
وهي طويلة فأجابه بأبيات مثلها
(لله در فاق في عقده % جاء من المولى إلى عبده)
(أربى على الزهر علوا كما % علا شذا الزهر شذا رنده)
(فأنعش الصب وقد كاد من % أحزانه يهلك في جلده)
(فأي فضل جاد في وبله % وأي بحر زاد في مده)
(من المقر الأشرف المرتضى % يكشف صعب الأمر من شده)
(شهاب دين الله رب الندا % وجامع الوفد على رفده)
(أحمد من عم الورى فضله % فأجمع الناس على حمده)
(ذي القلم الأعلى الذي حده % كصارم جرد من غمده)
(يصنع إن مر على طرسه % ما يصنع الناشر في برده)
(أحرفه إن برزت في الدجا % عاد صباحا جنح مسوده)
وكتب إليه القاضي صلاح الدين الصفدي أبياتا منها سؤال
(تقرر أن فعالا فعولا % مبالغتان في اسم الفاعلية)
(فكيف تقول فيما صح منه % وما الله بظلام البرية)
178.
(أيعطي القول إن فكرت فيه % سوى نفي المبالغة القويه)
(وكيف إذا توضأنا بماء % طهور وهو رأي الشافعيه)
(أزلنا الوصف عنه بفرد فعل % وذاك خلاف قول المالكيه)
فأجابه بأبيات منها
(ومن جاء الحروب بلا سلاح % كمن عقد الصلاة بغير نيه)
(فظلام كفرار وأيضا % فقد يأتي بمعنى الظالميه)
(وقد ينفى القليل لقلة في % فوائده بنفي الأكثريه)
(وقد ينحى به التكثير قصدا % لكثرة من يضام من البريه)
(وأما قوله ماء طهور % ونصرته لقول المالكيه)
(فجاء على مبالغة فعول % وساغ مجيئه للفاعليه)
(وقد ينحى به التكثير قصدا % لكثرة من يروم الطاهريه)
وقد سمعنا من أبي الفتح خطبته الفائقه التي ألقاها أول يوم تدريسه بالركنية لما قدم مصر ومطلعها
الحمد لله ناصر الملك الناصر للدين الحنيفي وممضي عزائمه ومشيد أركانه القائم بالشرع المحمدي ومقوي دعائمه ومخصص أهله التقوى بعلى ما حظيت أهل التقصير بمعالمه وجامع شمل المتقين بمكارمه وشامل جمع الموقنين بمراحمه والمتفضل
179. على من التجأ إليه واعتمد في أموره عليه بنجح ما أشبه أواخره بأوائله وربح ما أشبه فواتحه بخواتمه

أحمده على من حلى الأعناق بقلائده وجلل الأيدي بقوائمه وبذل ما أبداه نظر جوده بمتراكمه إلا أعاده بحر جوده بمتلاطمه وفضل أثار شمسه في ظهيرة الآمال فحققها بقواصده وأطلع قمره في دجنة الأوجال فدفعها بقواصمه

وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له شهادة يعينها اليقين بخوافيه والإخلاص بقوادمه ويثبتها القلب فما اللائم فيها بملائمه ولا السالي بمسالمه ويقر بها اللسان على ممر الأوقات فيعشو إلى أنوارها في الليل بطارقه ويرنو إلى أنوائها في الصبح بسائمه

وأشهد أن محمدا عبده ورسوله أرسله والكفر قد أطل بتعاضده وتعاظمه والباطل قد أضل بتزاحمه وتلاحمه فلم يزل حتى أذهب جيش الباطل بعواصفه وعواصمه ونصر جند الحق بصواهله وصوارمه وعلى آله وأصحابه صلاة يربي نشرها على المسك ولطائمه وتجر ذيلا على نشر الروض وباسمه

.180

منها أما بعد فإن غريب الدار وإن نال مناط الثريا فيكفي أن يقال غريب وبعيد المزار ولو تهيأ له ما تهيا فما له في الراحة منهم نصيب ولمشقة الغربة ازدادت رتبة الهجرة في العبادة وشرفت الوفاة حتى جاء موت الغريب شهادة والغربة كربة ولو كانت بين الأقارب ومفارقة الأوطان صعبة ولو عن سم العقارب وأنى يقاس ببلاد الغربة وإن شرف قدرها وعذب شرابها

(بلاد بها نيطت علي تمائمي % وأول أرض مس جلدي ترابها)

والخطبة طويلة فائقة اقتصرنا منها على ما أوردناه

سمعت الشيخ تقي الدين أبا الفتح يقول اسم كلاب بن مرة جد النبي المهذب وعزا ذلك لابن سعد وهي فائدة لم أجدها في شيء من كتب السير

رأيت في القطعة التي عملها شيخنا تقي الدين أبو الفتح شرحا على التنبيه في باب الزكاة أن السائمة إذا كانت عاملة فالذي يظهر عنده ما صححه البغوي من وجوب الزكاة فيها بحصول الرفق بالإسامة وزيادة فائدة الاستعمال خلافا للرافعي والنووي حيث صححا أنه لا زكاة فيها

ثم تلكم أبو الفتح على ما رواه الدارقطني من حديث علي رضي الله عنه مرفوعا ليس في العوامل صدقة وضعفه وأجاد في تعليله

وهذا الذي عمله أبو الفتح من شرح التنبيه حسن جدا حافل جامع مع غاية الاختصار وقد أكثر فيه النقل عن الشيخ الوالد وزينه بمحاسن شرح المنهاج وحيث يقول فيه قاله شيخنا أبقاه الله يشير إلى كلام الوالد رحمه الله في شرح المنهاج أو غيره من تصانيفه

.181
ومن شعر الشيخ تقي الدين أبو الفتح
(وافتك عن قرب تباشير الفرح % وأتتك مسرعة مباشير المنح)
منها
(فارج الإله ولا تخف من غيره % تجد الإله لضيق صدرك قد شرح)
(وارغب إليه بالنبي المصطفى % في كشف ضرك عل يأسو ما انجرح)
(تالله ما يرجو نداه مخلص % لسؤاله إلا تهلل وانشرح)
(فهو النبي الهاشمي ومن له % جاه علا وعلو قدر قد رجح)
(وهو النعيم لمن توقى واتقى % وهو الجحيم لمن تكبر واتقح)
(هو وابل الدنيا إذا شح الحيا % ومشفع الأخرى إذا عرق رشح)
(والشمس تخجل من ضياء جبينه % والبدر لو حاكاه في الحسن افتضح)
(كم عين ماء من أصابعه جرت % نهرا وعين ردها لما مسح)
(ومعين فضل من أياديه بدا % ومعين دمع من أعاديه نزح)
(ولقد دعا الأشجار فانقادت له % والذئب لما جاء يسأله منح)
(وأباد أنواع الضلال بعرفه % لما دنا وبعرفه لما نفح)
(من أنزل القرآن في أوصافه % ماذا عساي أقول فيه من المدح)
(فعليه صلى الله ما هبت صبا % أو غرد القمري يوما أو صدح)
(ثم الرضا عن آله وصحابه % وعن الذي بوشاح علمهم اتشح)
(مثل البخاري الإمام المرتضى % فهو الذي اغتبق الفضائل واصطبح)
(من فضله في الناس بحر قد طما % وعرائس تجلى وغيث قد طفح)
.182
(وكتابه كالغيث يستسقى به % فسواه في كرباتنا لم يستنح)
(وهو المجرب في الشديد وكشفه % أوليس في غارات أمر قد وضح)
وهذه قافية حلوه أول من بلغني نظم فيها عبد الله بن المعتز حيث يقول
(خل الزمان إذا تقاعس أو جمح % واشك الهموم إلى المدامة والقدح)
(واحفظ فؤادك إن شربت ثلاثة % واحذر عليه أن يطير من الفرح)
في أبيات أنكر عليه قوله فيها
(وإذا تمادى في العتاب قطعته % بالضم والتقبيل حتى نصطلح)
وقال مهيار

(ما كان سهما غار بل ظبيا سنح % إن لم يكن قتل الفؤاد فقد جرح)

(في خده الكافور سبحة عنبر % ما كان أغفلني الغداة عن السبح)
(وأما ومشيته توقر تارة % صلفا وأحيانا يجن من المرح)
في أبيات أنكر عليه قوله فيها بطح
وقال ابن سناء الملك يمدح الفاضل
(يا قلب ويحك إن ظبيك قد سنح % فتنح جهدك عن مراتعه تنح)
(وأردت أعقله ففر من الحشا % طربا وأحبسه فطار من الفرح)
183.
(وأتى فظل صريع هذاك اللمى % عطشا وعاد قتيل هاتيك الملح)
(جنح الغزال إلي قتال جوانحي % فغدوت أجنح منه لما أن جنح)
(ومن العجائب أنه لما رمى % بسهامه قتل الفؤاد وما جرح)
(ولمى صقيل في مراشف شادن % لو شئت أمسحه بلثمي لانمسح)
ومنها
(قبلته وقبلت أمر صبابتي % ونصحت نفسي في قطيعة من نصح)
(ورشفت ريقته على رغم الطلا % من كأس مرشفه على غيظ القدح)
ومنها
(لي سبحة من جوهر في ثغرها % ففضلت سائر من يسبح بالسبح)
(لم لا تصالح قبلتي يا خدها % والماء فيك مع اللهيب قد اصطلح)
(كم يعذلون ولست أسمع قولهم % وأنا وهم مثل الأصم مع الأبح)
(ليس العذول عليك إنسانا هذى % إن العذول عليك كلب قد نبح)
ومنها
(أضحت على مهيار قبلي ناشزا % إذ قال عن محبوبه فيها بطح)
184.
(وتتابعت فتحاتها فتنزهت % عن قول عبد الله حتى نصطلح)
ولقائل أن يقول إن ابن سناء الملك قد وقع فيما وقع فيه عبد الله حيث حكى قوله وجعله قافية في قصيدته وقد وقع هذا لكثير من شعراء العصر ونظيره قول من نثر في خطبة الأشباه والنظائر ليس له من ثان ولا عنه من ثان ولا عليه إلا مثن وقضى السجع بأن أقول ثان ثم إنه اعترض ابن المعتز ومهيارا بما اعترضهما ووقع هو في واحدة وهي قوله لانمسح فإنها لحن ولي أبيات منها
(إن كان عبد الله أخطأ قوله % بالضم والتقبيل حتى نصطلح)
(وأتى بشيء ليس يحسن ذكره % مهيار حيث يقول قافية بطح)
(فلقد لحنت وقلت فيما قلته % لو شئت أمسحه بلثمي لانمسح)

وقال كمال الدين ابن النبيه
(قم يا غلام ودع نصيحة من نصح % فالديك قد صدع الدجى لما صدح)
185.
(خفيت تباشير الصباح فأسقني % ما ضل في الظلماء من قدح القدح)
(صهباء ما لمعت بكف مديرها % لمقطب إلا تهلل وانشرح)
(والله ما مزج المدام بمائها % لكنه مزج المسرة بالفرح)
وهذه قصيدة مشهورة نظمها في ديوانه
وقال شهاب الدين ابن التلعفري
(ماء الغمامة والمدامة والقدح % وابن الحمامة في الأراكة قد صدح)

وهي قصيدة مليحة تضمنها ديوانه
وكان الشيخ أبو حيان قد اقترح على شعراء العصر قصيدا في الشطرنج على وزن مطلع قصيدة ابن حزمون
(إليك إمام العصر جبت المفاوزا % وخلفت خلفي صبية وعجائزا)
فعمل الشيخ الوالد قصيدا بلغت مائة وخمسة وأربعين بيتا جود فيها كل الإجادة
وعمل الشيخ تقي الدين قصيدا مطلعها
(بنفسي غزال مر بالرمل جائزا % فصير قلبي في المحبة حائزا)
(وفوق سهما من لحاظ جفونه % فأصمى وما ألقى عن القلب حاجزا)
186.
(تبدى فأبدى للنداوة تمنظرا % يروق لذي لب ويكمد لامزا)
(وماس فأمسى الغصن يهتز مائسا % وبان فبان البدر يشرق بارزا)
(ثوى في حمى نجد وليس بمنجد % وفوز فاستحليت فيه المفاوزا)
ومنها
(ويسبي فؤادي منه واسع طرفه % إذا ما انثنى صبو المحاجر عاجزا)
(تفرد بالحسن الغريب وحبه % غريب فأضحى للغريبين حائزا)
(كما حازت الشطرنج جيشين جمعا % غريبين كل حده لن يجاوزا)
وجود فيها واختتمها بمدح الشيخ أبي حيان رحمه الله
وكتب أديب العصر جمال الدين محمد بن محمد بن محمد بن نباتة إلى الشيخ أبي الفتح رحمه الله استفتاء صورته
(يا إماما قال المقلد والعالم % فيه بواجب التفضيل)
(ما على عاشق يقول على حكم % التداوي بالضم والتقبيل)

(وافر الدين مع بسيط اقتدار % حذر من عقاب يوم طويل)
(لا كمن دأبه بمحبوبه النحو % فمن فاعل ومن مفعول)
فأجابه
(يا مليا بكل فضل جزيل % وعلينا بكل وصف جميل)
.187
(وجمالا تجمل العلم منه % بصفات زين بمجد أثيل)
(جاءني درك الذي قلد النحر % بعقد منضد التكليل)
(فتعجبت ثم قلت ومن يقذف % بالدر غير بحر أصيل)
(جاء في صورة السؤال فقل في % سائل فضله على المسئول)
(فتنسمت منه ريح شمال % وترشفت منه طعم الشمول)
(وأتاني وقد فرغت عن الآداب % والحب من زمان طويل)
(فتوقفت عن جواب ولكن % أمر مولاي واجب بالدليل)
(وجواب الهوى التسامح في الأمر % فقل إن أجبت بالتسهيل)
(إن من يدعي الغرام بظبي % صاد أهل الهوى بطرف كحيل)
(قد أسال الدموع منه عذار % سائل في رياض خد أسيل)
(كامل قده بشعر مديد % وافر ردفه بخصر نحيل)
(لجدير بكل عذر بسيط % في التداوي بالضم والتقبيل)
(ما لنار الهوى سوى برد ريق % من لماه فيه شفاء الغليل)
(ولقلب يعتاده خفقان % غير ضم به دواء العليل)
(غصة الحب لا تقاس بشيء % فليزلها من ريقه بشمول)
(ذا جواب الغرام حقا وعندي % ماله غير صبره من سبيل)
.188

1324 محمد بن علي بن عبد الكريم أبو الفضائل القاضي فخر الدين المصري

نزيل دمشق
ولد سنة إحدى وتسعين وستمائة
وسمع من ست الوزراء وغيرها
وتفقه على الشيخ كمال الدين بن الزملكاني والشيخ برهان الدين
وبرع في المذهب ودرس بالعادلية الصغرى والدولعية والرواحية
وشاع اسمه وبعد صيته وكان من أذكياء العالم
استخلفه القاضي جلال الدين على الحكم بدمشق وحج وجاور غير مرة
.189
ذكره القاضي شهاب الدين بن فضل الله في مسالك الأبصار فقال المصري الذي لا يسمح فيه بالمثاقيل ولا يهون ذهنه فيشبه به ذائب الأصيل بل هو البحر المصري لأنه ذو النون والقطب المصري بل

صاحب الإمام فخر الدين ومثله لا يكون ذو العلم المعروف الذي لا ينكر واللفظ الحلو المصري السكر فاء على الإسلام ظلا مديدا واستطرف الأنام فضلا جديدا وهو إمام الشام وغمام العلم العام
ثم قال وهو أفقه من هو بالشام موجود وأشبه عالم بأصحاب إمامه في الوجود
انتهى
توفي القاضي فخر الدين بدمشق سنة إحدى وخمسين وسبعمائة رحمه الله
.190

1325 محمد بن علي بن عبد الواحد بن عبد الكريم قاضي القضاة كمال الدين بن الزملكاني

الإمام العلامة المناظر
سمع من يوسف بن المجاور وأبي الغنائم بن علان وعدة مشايخ
وطلب الحديث بنفسه وكتب الطباق بخطه
وقرأ الأصول على الشيخ صفي الدين الهندي والنحو على الشيخ بدر الدين ابن مالك
وولد في شوال سنة سبع وستين وستمائة
ودرس بالشامية البرانية والرواحية والظاهرية الجوانية وغيرها بدمشق

ثم ولي قضاء حلب
.191
وصنف الرد على ابن تيمية في مسئلتي الطلاق والزيارة وكتابا في تفضيل البشر على الملك جود فيه وشرح من منهاج النووي قطعا متفرقة
ذكره شيخنا الذهبي في المعجم المختص فقال شيخنا عالم العصر وكان من بقايا المجتهدين ومن أذكياء أهل زمانه درس وأفتى وصنف وتخرج به الأصحاب
انتهى
وذكره الشيخ جمال الدين بن نباتة في كتاب سجع المطوق فقال أما وغصون أقلامه المثمرة بالهدى وسطور فتاويه الموضحة للحق طرائق قددا وخواطره التي تولدت فكانت الأنجم مهودا ومآثره التي ضربت رواق العز وكانت المجرة طنبا وكان الفجر عمودا ومناظراته التي أسكتت المناظرين فكأنما ضربت سيوفهم المجردة لألسنتهم قيودا
إن الآداب لتحركني لمدحه والأدب يحثني على السكون وإني لأعق محاسنه إذا أردت برها بالوصف ومن البر ما يكون
(جل عن مذهب المديح فقد كاد % يكون المديح فيه هجاء)

ثم قال هو البحر وعلومه درره الفاخرة وفتاويه المتفرق في الآفاق سحبه السائرة والعلم إلا أنه الذي لا تجنه الغياهب والطود إلا أنه الذي لا يحاوله البشر

192. على أنه نسر الكواكب والمنفرد الذي حمى بيضة الإسلام في أعشاش أقلامه والمجتهد الذي لا غبار على رأيه في الدين وإن غبر ففي وجوه أعلامه

ثم قال التفسير لبراعته قد حكم بكتاب الله المنزل وقال الفقه لعلم فتاويه أنت الرامح وكل أعزل وقال الحديث لتنقيحه هذا النظر الذي لا يعزل وقال الإنشاء لكتابه ليهنك أن قلم كل بليغ لديك بخط أو بغير خط مغزل وقال النحو لتدقيقه هذا ما جاد زيد وعمرو فيه وهذا العربي الذي لو سمع الأعرابي نطقه لصاح يا أبت أدرك فاه غلبني فوه لا طاقة لي بفيه وقال الوصف وقال واستقى من مواده ولو تحقق غاية لما استقال

فتبارك من أطلعه في هذه الآفاق شمسا كأن الشمس عنده نبراس وأمطاه رتبا كأن الثريا فيها خد لقدمه على القياس وخصه بفنون العلم فله حليها النفيس وما لغيره من الحلي سوى الوسواس

انتهى

وعليه تخرج القاضي فخر الدين المصري والشيخ الحافظ صلاح الدين العلائي وكان كثير التعظيم له

توفي سنة سبع وعشرين وسبعمائة بمدينة بلبيس من أعمال مصر كان قد طلبه

193. السلطان إلى مصر فمات بها قبل وصوله وحمل إلى القاهرة ودفن بجوار تربة الإمام الشافعي رضي الله عنه

وقد أجاد في وصفه شاعر الوقت جمال الدين بن نباتة حيث يقول فيه من قصيدة فائقة امتدحه بها أولها

(قضى وما قضيت منك لبانات % متيم عبثت فيه الصبابات)

(ما فاض من جفنه يوم الرحيل دم % إلا وفي قلبه منكم جراحات)

(أحبابنا كل عضو في محبتكم % كليم وجد فهل للوصل ميقات)

(غبتم فغابت مسرات القلوب فما % أنتم برغمي ولا تلك المسرات)

(يا حبذا في الصبا عنكم بقاء هوى % وفي بروق الغضا منكم إنابات)

(وحبذا زمن اللهو الذي انقرضت % أوقاته الغر والأعوام ساعات)

(أيام ما شعر البين المشت بنا % ولا خلت من مغاني الأنس أبيات)

194.

(حيث الشباب قضاياه منفذة % وحيث لي في الذي أهوى ولايات)

(ورب حانة خمار طرقت بها % حانت ولا طرقت للقصف حانات)
(سبقت قاصد مغناها وكنت فتى % إلى المدام له بالسبق عادات)
(أعشو إلى ديرها الأقصى وقد لمعت % تحت الدجى فكأن الدير مشكاة)
(وأكشف الحجب عنها وهي صافية % لم يبق في دنها إلا صبابات)
(راح زحفت على جيش الهموم بها % حتى كأن سنا الأكواب رايات)
(مصونة السرح باتت دون غايتها % حاجات قوم وللحاجات أوقات)
(تجول حول أوانيها أشعتها % كأنما هي للكاسات كاسات)
(كأنها في أكف الطائفين بها % نار يطوف بها في الأرض جنات)
(مبلبل الصدغ طوع الوصل منعطف % كأن أصداغه للعطف واوات)

(ترنحت وهي في كفيه من طرب % حتى لقد رقصت تلك الزجاجات)
(وقمت أشرب من فيه وخمرته % شربا تشن به في العقل غارات)
(وينزل اللثم خديه فينشدها % هي المنازل لي فيها علامات)
(سقيا لتلك الليلات التي سلفت % فإنما العمر هاتيك الليلات) 195.
(عنت لها كل أوقات السرور كما % عنت لفضل كمال الدين سادات)
(حبر رأينا يقين الجود من يده % وأكثر الجود في الدنيا حكايات)
(سما على الخلق واستسقوا مواهبه % لا غرو أن تسقي الأرض السموات)
(واستأنف الناس للأيام طيب ثنا % من بعد ما كثرت فيها الشكايات)

(لا يختشي فوت جدوى كفه بشر % كأن جدواه أرزاق وأوقات)
(ولا تزحزح من فضل شمائله % كأنها لبدور الفضل هالات)
(يا شاكي الدهر يممه وقد غفرت % من حول أبوابه للدهر زلات)
(ويا أخا السعي في علم وفي كرم % هذي الهدايا وهاتيك الهديات)
(لا تطلبن من الأيام مشبهه % ففي طلابك للأيام إعنات)
(ولا تصخ لأحاديث الذين مضوا % ألوى العنان بما تملي الروايات)
(طالع فتاويه واستنزل فتوته % تلق الإفادات تتلوها الإفادات)
(وحبر الوصف في فضل لصاحبه % يكاد ينطق بالوصف الجمادات) 196.
(حامي الديار بأقلام لها مدد % من الهدى واسمه في الطرس مدات)
(قويمة تمنع الإسلام من خطر % فاعجب لها ألفات وهي لامات)

(تعلمت بأس آساد وجود حيا % منذ اغتدت وهي للآساد غابات)
(وعودت قتل ذي زيغ وذي خطل % كأنها من كسير الحظ فضلات)
(وجاورت للآلي البحر فابتسمت % هنالك الكلمات الجوهريات)
(أغر يهوي معاد القول فيه إذا % قيل المعادات أخبار معادات)
(في كل معنى دروس من فوائده % ومن بوادر نعماه إعادات)
(صلى وراء أياديه الحيا فعلى % تلك الأيادي من السحب التحيات)
(وصد عما يروم اللوم نائله % ولا يفيد ولا تجدي الملامات)
(يرام تأخير جدواه وهمته % تقول إيها وللتأخير آفات)
(من معشر نجب ماتوا وتحسبهم % للمكرمات وطيب الذكر ما ماتوا)
(ممدحين لهم في كل شارقة % بر وبين خبايا الليل إخبات)
197.
(تمت أئمة أوصاف الكمال كما % تمت بقافية المنظوم أبيات)
(ما روضة قلدت أجياد سوسنها % من السحاب عقود لؤلئيات)
(وخطت الريح خطا في مناهلها % كأن قطر الغوادي فيه جريات)
(يرقى الحمام المصفى دوحها فلها % خلف الستور على العيدان رنات)
(يوما بأهيج من أخلاقه نشرا % أيام تنكر أخلاق سريات)
(ولا النجوم بأنأى من مراتبه % أيام تقتصر الأيدي العليات)
(قدر علا فرأى في كل شمس ضحى % جماله فكأن الشمس مرآة)
(وهمة ذكرها نام وأنعمها % فحيث ما كنت أنهار وجنات)
198.
(تأبى المدائح أن يمدح سواك بها % فتلك فيهم عوار مستردات)
(الله جارك من عين الزمان لقد % تجمعت بالمعالي فيك أشتات)
(جاورت بابك فاستصلحت لي زمني % حتى وفت وانتفت تلك العداوات)
(ولاطفتني الليالي فهي حينئذ % من بعد أهلي عمات وخالات)
(ونطقتني الأيادي بالعيون ثنا % فللكواكب كالآذان إنصات)
(إلا ذوي كلم لو أن محتسبا % تكلمت من جميع القوم هامات)
(يزاحمون بأشعار ملفقة % كأنهم بين أهل الشعر حشوات)
(ويطرحون على الأبواب من حمق % قصائدا هي في التحقيق بايات)
(من كل أبله لكن ما لفطنته % كالبله في هذه الدنيا إصابات)
(يحم حين يعاني نظم قافية % عجزا فتظهر هاتيك الخرافات)
(ويغتدي فكره المكدود في حرق % وقد أحاطت بما قال البرودات)

.199
(وقد يجيء بشعر بعد ذا حسن % لكن على كتفيه منه كارات)
(أعيذ مجدك من ألفاظها فلها % جنى كأن معانيها جنايات)
(إن لم يفرق بفضل بين نظمهم % وبين نظمي فما للفضل لذات)
(خذها عروسا لها في كل جارحة % لواحظ وكؤوس بابليات)
(أوردت سؤددك الأعلى مواردها % وللسها في بحار الأفق عبات)
(نعم الفتى أنت يستصفى الكلام له % حتى يبين له في العقل سورات)
(ويطرب المدح فيه حين أذكره % كأن منتصب الأقلام نايات)
(ما بعد غيثك غيث يستجاد ولا % من بعد إثبات قولي فيك إثبات)
.200
(حزت المحامد حتى ما لذي شرف % من صورة الحمد لا جسم ولا ذات)
قلت ولما قال ابن نابة في ابن الزملكاني هذه الكلمة البديعة حاول أدباء عصره معارضته فما أحسنوا صنعه بل كل قصر ولم يلحق وتأخر وما جاء بحق
وأنشدني شمس الدين محمد بن يوسف المعروف بالخياط الشاعر قصيدته التي عارض بها هذه القصيدة فقلت كيف رضي ابن الزملكاني بهذه عراضا لتلك فقال أنا أنكرت على ابن نباتة تغزله ونسيبه اللذين جاء بهما على هذا الوجه وهو يمتدح عالما من علماء المسلمين وكان من قوله
(ما شان مدحي لكم ذكر المدام ولا % أضحت جوامع لفظي وهي حانات)
(ولا طرقت حمى خمارة سحرا % ولا اكتست لي بكاس الراح راحات)
(وإنما أسكر الجلاس من أدب % يدور منه على الأكياس كاسات)
(عن منظر الروض يغنيني القريض وعن % رقص الزجاجات تلهيني الحرازات)
.201
(عشوت منها إلى نور الكمال ولم % يدر على خاطري دير ومشكاة)

وأنشدها أيضا بدرس الشامية بين يدي الشيخ كمال الدين بن الزملكاني
ومن أراد من أهل هذه المائة أن يلحق ابن نباتة في نظم أو نثر أو خط فقد أراد المحال وحاول ما لا يصير بحال
ويعجبني على هذا الوزن والروي وإن لم يلحق ابن نباتة في الصنع

البهي قول ابن الدواليبي متأخر من العراق
(كم قد صفت لقلوب القوم أوقات % وكن تقضت لهم بالليل لذات)
(والليل دسكرة العشاق يجمعهم % ذكر الحبيب وصرف الدمع كاسات)
(ماتوا فأحياهم إحياء ليلهم % ومن سواهم أناس بالكرى ماتوا)
(لما تجلى لهم والحجب قد رفعت % تهتكوا وصبت منهم صبابات)
(وغيبتهم عن الأكوان في حجب % وأظهرت سر معناهم إشارات)
(ساقي القلوب هو المحبوب يشهده % صيت لهم بقيام الليل عادات)
(إذا صفا الوقت خافوا من تكدره % وللوصال من الهجران آفات)

ومن فوائد الشيخ كمال الدين

في تفسير قوله تعالى (^ التائبون العابدون الحامدون السائحون) الآية في الجواب عن السؤال المشهور وهو أنه كيف ترك العطف في جميع الصفات وعطف النهي عن المنكر على الأمر بالمعروف بالواو قال عندي فيه وجه حسن وهو أن الصفات تارة تنسق بحرف العطف وتارة تذكر بغيره ولكل مقام معنى يناسبه فإذا كان المقام مقام تعداد صفات من غير
202. نظر إلى جمع أو انفراد حسن إسقاط حرف العطف وإن أريد الجمع بين الصفتين أو التنبيه على تغايرهما عطف بالحرف وكذلك إذا أريد التنويع بعدم اجتماعهما أتي بالحرف أيضا وفي القرآن الكريم أمثلة تبين ذلك قال الله تعالى (^ عسى ربه إن طلقكن أن يبدله أزواجا خيرا منكن مسلمات مؤمنات قانتات تائبات عابدات سائحات ثيبات وأبكارا) فأتى بالواو بين الوصفين الأخيرين لأن المقصود بالصفات الأول ذكرها مجتمعة والواو قد توهم التنويع فحذفت وأما الأبكار فلا يكن ثيبات والثيبات لا يكن أبكارا فأتى بالواو لتضاد النوعين وقال تعالى (^ حم تنزيل الكتاب من الله العزيز العليم غافر الذنب وقابل التوب شديد العقاب ذي الطول) فأتى بالواو في الوصفين الأولين وحذفها في الوصفين الأخيرين لأن غفران الذنب وقبول التوب قد يظن أنهما يجريان مجرى الواحد لتلازمهما فمن غفر الذنب قبل التوب فبين الله سبحانه وتعالى بعطف أحدهما على الآخر أنهما مفهومان متغايران ووصفان مختلفان يجب أن يعطى كل واحد منهما حكمه وذلك مع العطف أبين وأوضح
وأما شديد العقاب وذو الطول فهما كالمتضادين فإن شدة العقاب تقتضي إيصال الضرر والاتصاف بالطول يقتضي إيصال النفع فحذف ليعرف أنها مجتمعان في ذاته وأن ذاته المقدسة موصوفة بهما على

الاجتماع فهو في حالة اتصافه بشديد العقاب ذو الطول وفي حال اتصافه بذي الطول شديد العقاب فحسن ترك العطف لهذا المعنى
وفي هذه الآية التي نحن فيها يتضح معنى العطف وتركه مما ذكرناه لأن كل صفة
203. مما لم ينسق بالواو مغايرة للأخرى والغرض أنهما في اجتماعهما كالوصف الواحد لموصوف واحد فلم يحتج إلي عطف فلما ذكر الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر وهما متلازمان أو كالمتلازمين مستمدان من مادة واحدة كغفران الذنب وقبول التوب حسن العطف ليبين أن كل واحد معتد به على حدته قائم بذاته لا يكفي منه ما يحصل في ضمن الآخر بل لا بد أن يظهر أمره بالمعروف بصريح الأمر ونهيه عن المنكر بصريح النهي فاحتاج إلى العطف
وأيضا فلما كان النهي والأمر ضدين أحدهما طلب الإيجاد والآخر طلب الإعدام كانا كالنوعين المتغايرين في قوله تعالى (^ ثيبات وأبكارا) فحسن العطف بالواو
وقال في قوله (لا تفضلوني على يونس) السبب في ذلك أن الله تعالى قال لنبيه (^ ولا تكن كصاحب الحوت) ومن المقطوع به أنه امتثل هذا الأمر لعصمته من المخالفة فصار مقطوعا بأفضليته عليه أو كالمقطوع به ومع ذلك نهى عن تفضيله عليه لما يقتضيه تواضعه لله وكرم خلائقه أو غير ذلك مما ذكر
قلت فأين اللطيفة في نهيه عن التفضيل
حاصل هذا أنه قرر عدم التفضيل مع القطع بوقوعه ونحن عارفون بذلك إنما البحث عن الحكمة فيه
وقوله لما يقتضيه تواضعه إلى آخره هو ما ذكره غيره فلم يزد على الناس شيئا
204.
وذكر قول الفقيه ناصر الدين ابن المنير في المقتفى في حديث شاة أم معبد وأن فيه لطيفة عجيبة وهو أن اللبن المحتلب من الشاة المذكورة لا بد أن يفرض مملوكا والملك هنا دائر بين النبي وصاحب الشاة ولهذا قسم اللبن وأشبه شيء بذلك المساقاة فإنها تلزمه للأصل وإصلاح بجزء من الثمرة وكذلك فعل كدم الشاة وأصلحها بجزء من اللبن
ويحتمل أن يقال إن اللبن مملوك للنبي وسقاها تفضلا لأنه ببركاته كان وعن دعائه وجد والفقه الأول أدق وألطف
انتهى
قال ابن الزملكاني وكلا الوجهين لا ينفك عن نظر
ويحتمل أن يكون ذلك في محل المسامحة أو مأذون ذلك فيه في مثل

هذا الحال لحاجتهما إلى اللبن أو لوجوب الضيافة أو لكون المالك مشتركا
انتهى
قلت أما النظر في وجهي ابن المنير فحق فإن الأول لا يتم لأنه لو تم لجاز مثل هذا النوع في اللبن ولا مساقاة فيه ولكان وقع عقد بينهما ولم يقع ولكانت القيمة إما نصفين عن السوية وإما على ما يقع عليه الإنفاق لو فرض ولم ينقل واحد منهما ولا وقع أيضا
والثاني قد يقال عليه لا يلزم من نمو مال زيد بدعوة عمرو أن يملك عمرو القدر النامي
والذي عندي في هذا أن اللبن ملك للنبي وكذلك الشاة نفسها
205. فالنبي أولى بالمؤمنين من أنفسهم ولا يحتاج إلى إذن من أحد وما يلزم على ذلك من اجتماع مالكين على مملوك واحد لا محذور فيه كما قررناه في بعض تعاليقنا
وهذا كما أن الوجود بأسره ملك لله تعالى ملكا حقيقيا وملك كل مالك ما ملكه الله وهكذا نقول إن الوجود بأسره ملك محمد يتصرف فيه كيف يشاء وإذا ازدحم هو وبعض الملاك في شيء كان أحق لأنه مالك مطلق ولا كذلك غيره لأن كل واحد وإن ملك شيئا فعليه فيه الحجر من بعض الوجوه
ولي أرجوزة في خصائص النبي ومعجزاته منها
(وهو إذا احتاج إلى مال البشر % أحق من مالكه بلا نظر)
(لأنه أولى بذي الإيمان % من نفسه بالنص في القرآن)
وذكر الشيخ كمال الدين إشكالا ذكره ابن المنير في حديث قتل كعب ابن الأشرف حاصله أن النيل من عرض النبي كفر ولا تباح كلمة الكفر إلا بالإكراه فكيف استأذنوه عليه السلام أن ينالوا منه بألسنتهم استدراجا للعدو وأذن لهم
وأجاب عنه بأن كعبا كان يحرض على قتل المسلمين وفي قتله خلاص من ذلك فكأنه أكره الناس على النطق بهذا الكلام بتعريضه إياهم للقتل فدفعوا عن أنفسهم بألسنتهم
انتهى
قال الشيخ كمال الدين في هذا الجواب نظر لا يخفى ويحتمل أجوبة منها أن النيل لم يكن صريحا في الكفر بل كان تعريضا يوهم المخاطب لهم فيه مقاصد صحيحة وذلك في الخديعة قد يجوز
ومنها أنه كان بإذنه وهو صاحب الحق وقد أذن
206. في حقه لمصلحة شرعية ولا نسلم دخول هذه الصورة فيما يكون كفرا انتهى
قلت النبي لا يأذن إلا في جائز وسبه لا يجوز أصلا والواقع التعريض

دون صريح السب والحامل عليه المصلحة حيث اقتضاها الحال وكان في المعاريض مندوحة عن الكذب
ومن فتاويه
أفتى الشيخ كمال الدين ببطلان إجارة الجندي أقطاعه وقد اتبع في ذلك شيخه الشيخ تاج الدين بن الفركاح والذي أفتى به النووي والشيخ الإمام الوالد وغيرهما الصحة وهو الوجه
سمعت الشيخ جمال الدين ابن قاضي الزبداني مد الله في عمره يحكي عن الشيخ كمال الدين أنه كان يقول إذا صلى الإنسان ركعتي الاستخارة لأمر فليفعل بعدها ما بدا له سواء انشرحت نفسه له أم لا فإن فيه الخير وإن لم تنشرح له نفسه قال وليس في الحديث اشتراط انشراح النفس
رفع إلي في المحاكمات مسئلة في رجل وقف على أولاده الأشراف فلان وفلان وسمي جماعة أولاده للذكر مثل حظ الأنثيين ثم على أولادهم من بعدهم وعلى أولاد أولادهم وعلى أولاد الأولاد من بعد آبائهم وأسفل ذلك من أعقابهم وأنسابهم طبقة بعد طبقة وقرنا
.207

1326 محمد بن علي بن وهب بن مطيع بن أبي الطاعة القشيري أبو الفتح تقي الدين ولد الشيخ الإمام القدوة مجد الدين بن دقيق العيد

الشيخ الإمام شيخ الإسلام الحافظ الزاهد الورع الناسك المجتهد المطلق ذو الخبرة التامة بعلوم الشريعة الجامع بين العلم والدين والسالك سبيل السادة الأقدمين أكمل المتأخرين وبحر العلم الذي لا تكدره الدلاء ومعدن الفضل الذي لقاصده منه ما يشاء وإمام المتأخرين كلمة لا يجحدونها وشهادة على أنفسهم يؤدونها مع وقار عليه سيما الجلال وهيبة لا يقوم الضرغام عندها لنزال هذا مع ما أضيف إليه من
208. أدب أزهى من الأزهار وألعب بالعقول لا أدري بين يدي هذا الشيخ ما أقول أستغفر الله من العقار
قال أبو الفتح ابن سيد الناس اليعمري الحافظ لم أر مثله فيمن رأيت ولا حملت عن أجل منه فيما رأيت ورويت وكان للعلوم جامعا وفي فنونها بارعا مقدما في معرفة علل الحديث على أقرانه منفردا بهذا الفن النفيس في زمانه بصيرا بذلك سديد النظر في تلك المسالك أذكى ألمعية وأزكى لوذعية لا يشق له غبار ولا يجري معه سواه في مضمار
(إذا قال لم يترك مقالا لقائل % مصيب ولم يثن اللسان على هجر)
وكان حسن الاستنباط للأحكام والمعاني من السنة والكتاب بلب

يسحر الألباب وفكر يستفتح له ما يستغلق على غيره من الأبواب مستعينا على ذلك بما رواه من العلوم مستبينا ما هنالك بما حواه من مدارك الفهوم مبرزا في العلوم النقلية والعقلية والمسالك الأثرية والمدارك النظرية

(وكان من العلوم بحيث يقضى % له من كل علم بالجميع)

وسمع بمصر والشام والحجاز على تحر في ذلك واحتراز

.209

ولم يزل حافظا للسانه مقبلا على شانه وقف نفسه على العلوم وقصرها ولو شاء العاد أن يحصر كلماته لحصرها ومع ذلك فله بالتجريد تخلق وبكرامات الصالحين تحقق وله مع ذلك في الأدب باع وساع وكرم طباع لم يخل في بعضها من حسن انطباع حتى لقد كان الشهاب محمود الكاتب المحمود في تلك المذاهب يقول لم تر عيني آدب منه انتهى

قلت ولم ندرك أحدا من مشايخنا يختلف في أن ابن دقيق العيد هو العالم المبعوث على رأس السبعمائة المشار إليه في الحديث المصطفوي النبوي قائله وسلم وأنه أستاذ زمانه علما ودينا

سمع الحديث من والده وأبي الحسن بن الجميزي الفقيه وعبد العظيم المنذري الحافظ وجماعة

حدثنا عنه أبو عبد الله الحافظ ومحمد بن محمد بن الحسن بن نباتة المحدث وغيرهما

ولد في البحر المالح وكان والده متوجها من قوص إلى مكة للحج في البحر فولد له الشيخ تقي الدين في يوم السبت الخامس والعشرين من شعبان سنة خمس وعشرين وستمائة ولذلك ربما كتب بخطه الثبجي ثم أخذه والده على يده وطاف به بالكعبة وجعل يدعو الله أن يجعله عالما عاملا

.210

ويحكى أنه قرأ على والده الحديث المسلسل يقول وأنا دعوت فاستجيب لي فسئل ما الذي دعوت به فقال أن ينشئ الله ولدي محمدا عالما عاملا فنشأ الشيخ بقوص على أزكى قدم من العفاف والمواظبة على الاشتغال والتحرز في الأقوال والأفعال والتشدد في البعد عن النجاسة حتى حكت زوجة والده قالت لما بنى علي أبوه كان ابن عشر سنين فرأيته ومعه هاون وهو يغسله مرات زمنا طويلا فقلت لأبيه ما هذا الصغير يفعل فقال له يا محمد ما تفعل فقال أريد أن أركب حبرا وأنا أغسل هذا الهاون

وكانت والدته بنت الشيخ المقترح ووالده الشيخ البركة مجد الدين فأصلاه كريمان

تفقه بقوص على والده وكان والده مالكي المذهب ثم تفقه على شيخ الإسلام عز الدين بن عبد السلام فحقق المذهبين ولذلك يقول فيه الإمام العلامة النظار ركن الدين محمد بن محمد بن عبد الرحمن التونسي المعروف بابن القويع من قصيدة

(صبا للعلم صبا في صباه % فأعل بهمة الصب الصبي)

(وأتقن والشباب له لباس % أدله مالك والشافعي)

.211

ومن كراماته أنه لما جاءت التتار ورد مرسوم السلطان إلى القاهرة بعد خروجه منها للقائهم على أهل مصر أن يجتمع العلماء ويقرءوا البخاري قال الحاكي فقرأنا البخاري إلى أن بقي ميعاد وأخرناه لنختمه يوم الجمعة فلما كان يوم الجمعة رأينا الشيخ تقي الدين في الجامع فقال ما فعلتم ببخاريكم فقلنا بقي ميعاد أخرناه لنختمه اليوم قال انفصل الحال من أمس العصر وبات المسلمون على كذا فقلنا نخبر عنك فقال نعم فجاء الخبر بعد أيام بذلك وذلك في سنة ثمانين عند دخول التتار البلاد

وقال عن بعض الأمراء وقد خرج من القاهرة إنه لا يرجع فلم يرجع

وأساء شخص عليه الأدب فقال له الشيخ نعيت لي في هذا المجلس ثلاث مرات فمات بعد ثلاثة أيام

وتوجه في شخص آذى أخاه فسمع الخطاب أنه يهلك وكان كذلك وكراماته كثيرة

وأما دأبه في الليل علما وعبادة فأمر عجاب ربما استوعب الليلة فطالع فيها المجلد أو المجلدين وربما تلا آية واحدة فكررها إلى مطلع الفجر استمع له بعض أصحابه ليلة وهو يقرأ فوصل إلى قوله (^ فإذا نفخ في الصور فلا أنساب بينهم يومئذ ولا يتساءلون) قال فما زال يكررها إلى طلوع الفجر

.212

وكان يقول ما تكلمت كلمة ولا فعلت فعلا إلا وأعددت له جوابا بين يدي الله عز وجل

وكان يخاطب عامة الناس السلطان فمن دونه بقوله يا إنسان وإن كان المخاطب فقيها كبيرا قال يا فقيه وتلك كلمة لا يسمح بها إلا لابن الرفعة ونحوه وكان يقول للشيخ علاء الدين الباجي يا إمام ويخصه بها

توفي في حادي عشر صفر سنة اثنتين وسبعمائة

ومن مصنفاته كتاب الإمام في الحديث وهو جليل حافل لم يصنف مثله

وكتاب الإلمام وشرحه ولم يكمل شرحه

وأملى شرحا على عمدة عبد الغني المقدسي في الحديث وعلى

العنوان في أصول الفقه
وله تصنيف في أصول الدين
وشرح مختصر ابن الحاجب في فقه المالكية ولم يكمله
وعلق شرحا على مختصر التبريزي في فقه الشافعية
وولي قضاء القضاة على مذهب الشافعي بعد إباء شديد وعزل نفسه غير مرة ثم يعاد
وكان حافظا مكثرا إلا أن الرواية عسرت عليه لقلة تحديثه فإنه كان شديد التحري في ذلك
أخبرنا أبو عبد الله الحافظ بقراءتي عليه حدثني محمد بن علي الحافظ أنه قرأ على أبي الحسن علي بن هبة الله الشافعي أن أبا طاهر السلفي أخبرهم أخبرنا القاسم ابن الفضل حدثنا علي بن محمد أخبرنا إسماعيل الصفار حدثنا محمد بن عبد الملك
213. حدثنا يزيد بن هارون أخبرنا عاصم قال سألت أنسا أحرم رسول الله المدينة فقال نعم هي حرام حرمها الله ورسوله لا يختلى خلاها فمن لم يعمل بذلك فعليه لعنة الله والملائكة والناس أجمعين
سمعت الشيخ عليا الهجار المكشوف الرأس وهو رجل صالح يقول مر أبو العباس المرسي رضي الله عنه في القاهرة بأناس يزدحمون على دكان الخباز في سنة الغلاء فرق عليهم فوقع في نفسه لو كان معي دراهم لآثرت هؤلاء بها فأحس بثقل في جبته فأدخل يديه فواجد دراهم جملة فدفعها إلى الخباز وأخذ بها خبزا فرقه عليهم فلما انصرف وجد الخباز الدراهم زيوفا فاستغاث به فعاد ووقع في نفسه أن ما وقع في نفسي أولا من الرقة اعتراض على الله وأنا أستغفر الله منه فلما عاد وجد الخباز الدراهم جيدة فانصرف أبو العباس وجاء إلى الشيخ تقي الدين ابن دقيق العيد وحكى له الحكاية فقال ابن دقيق العيد له يا أستاذ أنتم إذا رقيتم على أحد تزندقتم ونحن إذا لم نرق على الناس تزندقنا
قلت تأمل أيها المسترشد ما تحت هذا الجواب من المعنى الحقيقي فقد أشار الشيخ به والله أعلم إلى أن الفقير يطلع على الأسرار فكيف يرق ولا يقع شيء في الوجود إلا لحكمة اقتضته ومن اطلع على الذنب لم يرق للعقوبة وقد قال تعالى (^ ولا تأخذكم بهما رأفة في دين الله) والفقيه لا اطلاع له على ذلك فيرق ديانة ورأفة ولهذا الكلام شرح طويل ليس هذا موضعه فلنمسك العنان
214.
أنشدنا أبو عبد الله الحافظ بقراءتي عليه أنشدنا شيخ الإسلام تقي الدين لنفسه إجازة
(تمنيت أن الشيب عاجل لمتى % وقرب مني في صباي مزاره)

(لآخذ من عصر الشباب نشاطه % وآخذ من عصر المشيب وقاره)
وبالسند المذكور
(كم ليلة فيك وصلنا السرى % لا نعرف الغمض ولا نستريح)
(واختلف الأصحاب ماذا الذي % يزيل من شكواهم أو يريح)
(فقيل تعريسهم ساعة % وقيل بل ذكراك وهو الصحيح)
وبه
(قالوا فلان عالم فاضل % وأكرموه مثل ما يرتضي)
(فقلت لما لم يكن ذا تقى % تعارض المانع والمقتضي)
وبه
(أتعبت نفسك بين ذلة كادح % طلب الحياة وبين حرص مؤمل)
(وأضعت نفسك لا خلاعة ماجن % حصلت فيه ولا وقار مبجل)
(وتركت حظ النفس في الدنيا وفي الأخرى % ورحت عن الجميع بمعزل)
215.
ومن شعر الشيخ مما لا رواية لي به بالسماع
(أهل المناصب في الدنيا ورفعتها % أهل الفضائل مرذولون بينهم)
(قد أنزلونا لأنا غير جنسهم % منازل الوحش في الإهمال عندهم
(فما لهم في توقي ضرنا نظر % ولا لهم في ترقي قدرنا همم)
(فليتنا لو قدرنا أن نعرفهم % مقدارهم عندنا أو لو دروه هم)
(لهم مريحان من جهل وفرط غنى % وعندنا المتعبان العلم والعدم)

وقد ناقضه الفتح البققي المنسوب إلى الزندقة فقال وأجاد
(أين المراتب والدنيا ورفعتها % عند الذي حاز علما ليس عندهم)
(لا شك أن لنا قدرا رأوه وما % لقدرهم عندنا قدر ولا لهم)
(هم الوحوش ونحن الإنس حكمتنا % تقودهم حيث ما شئنا وهم نعم)
(وليس شيء سوى الإهمال يقطعنا % عنهم لأنهم وجدانهم عدم)
(لنا المريحان من علم ومن عدم % وفيهم المتعبان الجهل والحشم)
216.
وقال بقية المجتهدين أبو الفتح القشيري
(ذروا في السرى نحو الجناب الممنع % لذيذ الكرى واجفوا له كل مضجع)
(واهدوا إذا جئتم إلى خير مربع % تحية مضنى هائم القلب موجع)
(سريع إلى داعي الصبابة طيع %)
(يقوم بأحكام الهوى ويقيمها % فكم ليلة قد نازلته همومها)
(يسامرها حتى تولت نجومها % له فكرة فيمن يحب نديمها)

(وطرف إلى اللقيا كثير التطلع %)
(وكم ذاق في أحواله طعم محنة % وكم عارضته في مواقف فتنة)
(وكم آية تأتي له بعد آية % تنم على سر له في أكنة)
(وتخبر عن قلب له متقطع %)
(وفي صبرة شوق أقام ملازما % وحب يحاشي أن يطيع اللوائما)
217.
(وجفن يرى أن لا يرى الدهر نائما % وعقل ثوى في سكرة الحب دائما)
(وأقسم أن لا يستفيق ولا يعي %)
(أقام علي بعد المزار متيما % وأبكاه برق بالحجاز تبسما)
(وشوقه أحبابه نظر الحمى % دعوه لأمر دونه تقطر الدما)
(فيا ويح نفس الصب ماذا له دعي %)
(له عند ذكر المنحنى سفح عبرة % وبين الرجا والخوف موقف عبرة)
(فحينا يوافيه النعيم بنظرة % وحينا ترى في قلبه نار حسرة)
(تجيء له بالموت من كل موضع %)
(سلام على صفو الحياة وطيبها % إذا لم تفز عيني بلقيا حبيبها)
218.
(ولم تحظ من إقباله بنصيبها % ولا استعطفته مقلتي بصبيبها)
(ولا وقعت شكواي منه بموقع %)
(موكل طرفي بالسهاد المؤرق % ومجرى دمعي كالحيا المتدفق)
(وملهب وجد في فؤادي محرق % بعينيك ما يلقى الفؤاد وما لقي)
(وعندك ما تحوي وتخفيه أضلعي %)
(أضر بي البلوى وذو الحب مبتلى % يعالج داء بين جنبيه معضلا)
(ويثقله من وجده ما تحملا % وتبعثه الشكوى فيشتاق منزلا)
(به يتلقى راحة المتودع %)
(محل الذي دل الأنام بشرعه % على أصل دين الله حقا وفرعه)
(به انضم شمل الدين من بعد صدعه % لنا مذهب العشاق في قصد ربعه)
(نقيم به رسم البكا والتضرع %)
(محل به الأنوار ملء رحابه % ومستودع الأسرار عند صحابه)
219.
(هداية من يحتار تأميل بابه % وتشريف من يختار قصد جنابه)
(بتقبيله وجه الثرى المتضوع %)
(أقام لنا شرع الهدى ومناره % وألبسنا ثوب التقى وشعاره)
(وجنبنا جور العمى وعثاره % سقى الله عهد الهاشمي ودراه)

(سحابا من الرضوان ليس بمقلع %)
(بنى العز والتوحيد من بعد هده % وأوجب ذل المشركين بجده)
(عزيز قضى رب السماء بسعده % وأيده عند اللقاء بجنده)
(فأورد نصر الله أعذب مشرع %)
(أقول لركب سائرين ليثرب % ظفرتم بتقريب النبي المقرب)
(فبثوا إليه كل شكوى ومتعب % وقصوا عليه كل سؤل ومطلب)
(وأنتم بمرأى للرسول ومسمع %)
(ستحمون في مغناه خير حماية % وتكفون ما تخشون أي كفاية)
(وتبدو لكم من عنده كل آية % فحلوا من التعظيم أبعد غاية)
(فحق رسول الله أكبر ما رعى %)

.220

(أما والذي آتاه مجدا مؤثلا % لقد قام كهفا للعفاة ومعقلا)
(يبوئهم سترا من الحلم مسبلا % ويمطرهم عينا من الجود سلسلا)
(ويترع في إكرامهم كل مترع %)
(تعبنا بعيش ما هنا في وروده % وضر ثقيل الوطء فيه شديده)
(فرحنا إلى رب الندى وعميده % ولما قصدناه وقفنا بجوده)
(ولم نخش ريب الحادث المتوقع %)
(لقد شرف الدنيا قدوم محمد % وأبقى لها أنوار حق مؤيد)
(تزين به وراثه كل مشهد % فهم بين هاد للأنام ومهتد)
(ومثبت أصل للهدى ومفرع %)
(سلام على من شرف الله قدره % سلام محب عمر الحب سره)

.221

(له مطلب أفنى تمنيه عمره % وحاجات نفس لا تجاوز صدره)
(أعد لها جاه الشفيع المشفع %)

وقال

(لله در الفئة الأمجاد % السالكين مسالك الأفراد)
(عرفوا وهم بالغور من وادي الغضا % أن رحلوا لمبارك العباد)
(فسروا لنجد لا يملون السرى % أو يظفروا منها بكل مراد)
(لا يقطعون من المناهل معلما % إلا ولاح سواه بالمرصاد)
(لم يثنهم طول الطريق لهم ولا % عدم الرفيث ولا نفاذ الزاد)
(سقتهم مس النعاس جفونهم % كأسا تميلهم على الأعواد)
(وتكاد أنفسهم تفيظ وتحتبي % بنسيم نجد أو غناء الحادي)
(نادتهم النجب الركائب عندما % أطت بوقع السوط والإجهاد)
(طيب الحاية بنجد إلا أنه % من دون ذاك تفتت الأكباد)
(فأجابها صدق العزيمة إنما % نحن المعالي أنفس الأجواد)
(لله درهم فقد وصلوا إلى % ظل النعيم وبرد حر الصادي)

.222
(ولقد يعز علي أنهم غدوا % والدار قفرا منهم ببعاد)
(فلأنهضن إلى الحمى متوجها % بين اعتراض عواتق وغوادي)
(ولأقطعن عليه كل مفازة % تدني الهلاك ولو عدمت الهادي)
وقال
(يقولون لي هلا نهضت إلى العلا % فما لذ عيش الصابر المتقنع)
(وهلا شددت العيس حتى تحلها % بمصر إلى ذاك الجناب المرفع)
(ففيها من الأعيان من فيض كفه % إذا شاء روى سيله كل بلقع)
(وفيها قضاة ليس يخفى عليهم % تعين كون العلم غير مضيع)
(وفيها شيوخ الدين والفضل والألى % يشير إليهم بالعلى كل أصبع)
(وفيها وفيها والمهانة ذلة % فقم واسع واقصد باب رزقك واقرع)
(فقلت نعم أسعى إذا شئت أن أرى % ذليلا مهانا مستخفا بموضعي)

(وأسعى إذا ما لذ لي طول موقفي % على باب محجوب اللقاء ممنع)
(وأسعى إذا كان النفاق طريقتي % أروح وأغدو في ثياب التصنع)
(وأسعى إذا لم يبق في بقية % أراعي بها حق التقى والتورع)
(فكم بين أرباب الصدور مجالس % يشب لها نار الغضا بين أضلعي)

(وكم بين أرباب العلوم وأهلها % إذا بحثوا في المشكلات بمجمع)
.223
(مناظرة تحمي النفوس فتنتهي % وقد شرعوا فيها إلى شر مشرع)

(من السفه المزري بمنصب أهله % أو الصمت عن حق هناك مضيع)

(فإما توقي مسلك الدين والنهى % وإما تلقي غصة المتجرع)
وقال
(نزهونا عن استماع الملام % ما لنا قرعة لغير الغرام)
(ليس في الوقت وصلة لحديث % عن سوى رامة وأهل الخيام)
(يا خليلي دعاء صب قريح % ليس إسعاد مثله بحرام)
(لست أقوى على النهوض بنفسي % لأرى برق أرضهم من قيام)
وقال
(دمع عيني على الغرام دليلي % وسبيل السلو غير سبيلي)
(لا تخافا علي من كثر عذلي % ليس لي التفاتة لعذولي)
(كل ما لاح بارق ذبت شوقا % نحو نجد وهاج مني عليلي)
(وترددت بين وجد جديد % وفوق وجدي وبين خد عسيل)

.224
وقال
(دقت معاني حسنكم في الملاح % عن نظر الواشي وفهم اللواح)
(لله أيام مضت لي بكم % بين ربا نجد وتلك البطاح)
(أيام وصل نلت فيها الذي % أهوى وأكثرت من الإقتراح)
(وقد بقيت اليوم من بعدها % كطائر قد قص منه الجناح)
(ما قوة من قد طار من وكره % ولا على من سلا فاستراح)
(أبيت أرعى من نجوم الدجا % أسير ليل ماله من براح)
(علمت يا ظالم بعد اللقا % وقسوة القلب أخاك الصباح)
وقال
(يفنى الزمان ومحنتي % بك كل يوم في زياده)
(بالغت في طلبي وصالك % لو تواتيني السعاده)
(تنأى وتدنو دائما % لم ينتظم لي فيك عادة)
(أفنيت عمري في الجهاد % وأرتجي نيل الشهاده)
وقال
(سر فكفي بفيض دمعي تبلى % وأحاديث صبوتي فيك تتلى)
(أكثر العاذلون فيك ولكن % لم يجد عذلهم بقلبي محلا)
(وقفت همتي عليك وقوفا % ليس تبغي سواك في الناس خلا)
.225
(غبت عني فغاب أنسي ورشدي % وأردت البعاد فازددت ذلا)
(إن صبري يلقى الشدائد لكن % حين لاقى جمالك الفرد ولى)
وقال يستدعي من انبساط بعض إخوانه
(طال عهدي برؤية الروض فابعث % لي روحا قد نمقته يمينك)
(أنت خدن العلا فلا ذاق يوما % مر طعم الفراق منك خدينك)
(قلت للمقسم المؤكد للأيمان % أن ليس في البلاد قرينك)
(قلت صدقا وجئت حقا ولو قلت % وكافى الدنيا لبرت يمينك)
وقال
(يا بديع الحسن ما أحلى % بقلبي خطراتك)
(فيك سر سحر الألباب % في استحسان ذاتك)
(ما فهمنا عنك إلا % أنه في لحظاتك)
(أنا أرجوك وأخشى % سطوة من سطواتك)
(فبما فيك من اللطف % ومن حسن صفاتك)
(لا تدع هجرك لي % تلف روحي بحياتك)
.226
وقال
(بالذي استبعد أرواح % المحبين لذاتك)

(وبلطف من معانيك % يرى من حركاتك)
(وبنور الحسن إذ يحويك % من كل جهاتك)
(وبسر فوق ما يدرك % من حسن صفاتك)
(لا تذقني الموت في % صدك عني بحياتك)
وقال
(جمالكم لا يحصر % ومثلكم لا يهجر)
(وحبكم بين الحشا % مستودع لا يظهر)
(ناري بكم لا تنطفي % ولوعتي لا تفتر)
(إذا أتى الليل أتى الهم % بكم والفكر)
(فإن أكن وذكركم % طاب ولذ السهر)
(ولي عذول فيكم % يقلقني ويكثر)
(يقول لي تقل من % ذكرهم وتقصر)
(وتحمل الشوق الذي % حملته وتصبر)
(والله ما أطيقه % هل أنا إلا بشر)
.227
وقال
(لقد بعدت ليلى وعز وصالها % كما عز بين العالمين مثالها)
(فمن لي بنوق لا تزال تمدها % قواها ولا يدنو إليها كلالها)
(ولكنها جسم يذوب وصبره % يحول وأرواح يخاف زوالها)
(لعمري لقد كلفتها في مسيرها % بلوغ مدى قد قل فيه احتمالها)
(وتشكي لي التسويف والسوط والبرى % ولو خف من شوقي أجيب سؤالها)
(وتسألني رفقا بها وبضعفها % ولو خف من سوقي أجيب سؤالها)
(وللعيس آمال بليلى تعلقت % أخاف المنايا قبل كوني أنالها)
(يقرب عندي وصلها حسن لطفها % ويبعدها استغناؤها ودلالها)
(وإني لأرضى اليوم بعد تشوقي % إلى أن أراها أن يزور خيالها)
(فبادر إلى نجد ولذ بنسيمها % وبرد جناها ثم طيب ظلالها)
(وفاح نسيم الروض حتى تعطرت % رباك برياه ورق جمالها)
(وغنت لك الأطيار من كل جانب % فأطرب أهل الحي منها مآلها)
(فلا تبخلي أن ترسلي لي نسمة % تبل عليك الشوق مني بلالها)
.228
(فيا حبذا برق بأرض مسرة % ونفحة ريح من هناك انتقالها)
(عقدت على حبي لذكرك عقدة % عسير على مر الزمان انحلالها)
وقال
(ألا إن بنت الكرم أغلي مهرها % فيا خسر من أضحى لذلك باذلا)
(تزوج بالعقل المكرم عاجلا % وبالنار والغسلين والمهل آجلا)

وقال
(بعض أخلاي صار ميتا % وبعضهم في البلاء غائب)
(وبعضهم حاضر ولكن % يحصى ويقصى ولا يقارب)
(وصرت بين الورى وحيدا % فلا قريب ولا مناسب)
(فلا تلمني على اكتئابي % سرور مثلي من العجائب)
وقال
(قد جرحتنا يد أيامنا % وليس غير الله من آسي)
(فلا ترج الناس في حاجة % ليسوا بأهل لسوى الياس)
.229
(ولا ترد شكوى إليهم فلا % معنى لشكواك إلى قاس)
(ولا تقس بالعقل أفعالهم % ما مذهب القوم بمنقاس)
(لا يعدم الآتي لأموالهم % من ذلة الكلب سوى الحاس)
(وإن تجالس منهم معشرا % هويت في الذنب على الراس)
(يأكل بعض لحم بعض ولا % يحسب في الغيبة من باس)
(لا رغبة في الدين تحميهم % عنهم ولا حشمة جلاس)
(فاهرب من الخلق إلى ربهم % لا خير في الخلطة بالناس)
وقال
(إذا كنت في نجد وطيب نسيمها % تذكرت أهلي باللوى فمحجر)
(فإن كنت فيهم ذبت شوقا ولوعة % على ساكني نجد وعيل تصبري)
(وقد طال ما بين الفريقين قصتي % فمن لي بنجد بين قومي ومعشري)
وقال
(في أرض نجد منزل لفؤادي % عمرته شوقي وصدق ودادي)
(ما كان أقربه على من رامه % بمسرة لولا اعتراض عواد)
(أصبو إليه مع الزمان فكيف لا % أصبو وتلك منازلي وبلادي)
.230
(أرض بها الشرف الرفيع وغاية العز % المنيع ومسكن الأجواد)
(أوطنتها فخرجت منها عنوة % بمكائد الأعداء والحساد)
وقال
(يا منيتي أملي ببابك واقف % والجود يأبى أن يكون مضاعا)
(أشكو إليك صبابة قد أترعت % لي كأس وجد في الهوى إتراعا)
(ونزاع شوق لم تزل أيدي النوى % تنمي به حتى استحال نزاعا)
(لم يبق لي أمل سواك فإن تفت % ودعت أيام الحياة وداعا)
(لم أستلذ بغير وجهك منظرا % وسوى حديثك لا أحب سماعا)
وقال

(من عذيري من معشر هجروا العقل % وحادوا عن طرقه المستقيمه)
(لا يرون الإسنان قد نال حظا % من صلاح حتى يكون بهيمه)

فصل في شيء من نثره وهو كثير

وله ديوان خطب مفرد معروف ونحن نذكر هنا ما هو بالغ في الإجادة مما خرج عن ديوانه فمن ذلك قوله في خطبة شرح الإلمام
أما بعد حمد الله فإن الفقه في الدين منزلة لا يخفى شرفها وعلاؤها
231. ولا تحتجب عن العقول طوالعها وأضواؤها وأرفعها بعد فهم كتاب الله المنزل البحث عن معاني حديث نبيه المرسل إذ بذاك تثبت القواعد ويستقر الأساس
وعنه يقوم الإجماع ويصدر القياس وما تعين شرعا تعين تقديمه شروعا وما يكون محمولا على الرأس لا يحسن أن يجعل موضوعا لكن شرط ذلك عندنا أن يحفظ هذا النظام ويجعل الرأي هو المأموم والنص هو الإمام وترد المذاهب إليه وترد الآراء المنتشرة حتى تقف بين يديه وأما أن يجعل الفرع أصلا ويرد النص إليه بالتكلف والتحيل ويحمل على أبعد المحامل بلطافة الوهم وسعة التخيل ويرتكب في تقرير الآراء الصعب والذلول ويحتمل من التأويلات ما تنفر منه النفوس وتستنكره العقول فلذلك عندنا من أردإ مذهب وأسوإ طريقة ولا تعتقد أنه يحصل معه النصيحة للدين على الحقيقة وكيف يقع أمر مع رجحان منافيه وأنى يصح الوزن بميزان مال أحد الجانبين فيه ومتى ينصف حاكم ملكته غضبية العصبية وأين يقع الحق من خاطر أخذته العزة بالحمية
ثم أخذ في ذلك إلى منتهى الخطبة
ومن ذلك خطبة شرح مختصر ابن الحاجب
الحمد لله منزل الكتاب ومفصل الخطاب وفاتح أبواب الصواب ومانح أسباب الثواب
أحمده وهباته تنزل بغير حساب وأعبده وإليه المرجع والمآب وأرجوه وأخافه فبيده الثواب والعقاب
وأشهد أن لا إله إلى الله وحده لا شريك له شهادة مقدمات دلائلها مبينة الأسباب ونتيجة اعتقادها جنة مفتحة الأبواب
232.
وأشهد أن محمدا عبد ورسوله أرسله وقد طال زمن الفترة ونسيت الآداب وبعد عهد النبوة فزال الحق وانجاب فمنازل الهدى خراب ومعاهده لا تعتاد ولا تنتاب وللناس بالشهوات والشبهات إعجاب حتى أفرد النظر بالدنيا وادعي تعدد الأرباب فاختار الله محمدا في أشرف الأنساب وخيرة الأحساب نذيرا بين يدي العذاب وبشيرا لمن أطاع

الحق وأجاب وأيده بمعجزات تدفع عارض الارتياب وتكشف أنوار اليقين ليس دونها حجاب وتدع القلوب مطمئنة لا ترتاع من جانب الشبهات ولا ترتاب فصلى الله على سيدنا محمد صلاة وسلاما يدخل فيهما الآل والأصحاب

أما بعد فإن التصنيف في علم الأحكام وتبيين الحلال من الحرام وإن كانت شدة الحاجة إليه توجب وقف الهمم عليه ووقوف الإمكان بين يديه فإن شدة خطره وعظيم غرره مما يوجب مهابة الشروع في تلك المشارع والتوقف عن الحكم على مقاصد الشارع

ما هي إلا أعراض تنتهك وأجسام تنتهك وأعمال يتعب لها وينصب وأموال يثبت ملكها ويسلب ودماء تعصم وتسفح وأبضاع تحرم أو تنكح هذا مع تشعب مواقع النظر وتعارض مسالك العبر وملال يعتري الأذهان وتقصير جبل عليه طبع الإنسان

فالطريق خفي المسارب والغاية مخوفة العواقب وما قل من ذلك يتقوى الخاطر الرادع ويتوقى الرأي الخادع ويخاف الآمن ويقلق الرادع 233.

ولقد كان سلفنا الصالح رضوان الله عليهم لطريق هذا الخوف سالكين ولأزمة الورع والخشية مالكين فتدافعوا الفتوى لشدة التقوى وأجابوا عن اليسير عندما سئلوا عن الكثير وأجروا الدموع فرقا وجروا إلى غاية التحري طلقا

ثم آل الأمر إلى التسامح والتساهل والغفلة والتغافل فأطلقت أعنة الأقلام وأرسلت بوادر الكلام وطوي بساط التورع راسا وعد التوقف جهالة أو وسواسا وتوهموا التسرع دليلا على كثرة الحاصل والإحجام علامة على قلة الواصل وأحد الأمرين لازم لهم إما أن يدعوا أنهم أعلم ممن سبق أو يسلموا أنهم ما طرق قلوبهم من مخافة الله ما ألم بقلوب العارفين وطرق هذا ما يتعلق بغرور الأخرى

وأما في الدنيا وإن كان يعم كل تصنيف فإن المرء يتعب أفكاره ويكد ليله ونهاره ويقدح زناد القريحة حتى يرى قدحه ويرقب فجر الحقائق حتى يتبلج صبحه ويروض مصاعب النظر حتى يصحب جامحها ويستدني شوارد العبر حتى يقرب نازحها فإذا ينجلي له من ذلك نادرة أبداها وتأمل أن يودع بالفكر خاتمتها ويتلقى بالشكر مبداها قام الحاسد فقبح تلك الصورة الحسنة وشانها وحقر تلك الجملة الجميلة وشانها وقال بلسان الحال أو المقال لقد دلاك أيها المصنف الغرور واستهواك الغرور وخاب العنا وصفر الإنا وطاش السهم وطال الوهم وطاح الفهم فالروض هشيم والمرتع وخيم والمورد وشل وإن ظن أنه جميم إلى أمثال ذلك

234. من أثر الحسد الذي يدع الخواطر في كمد والنفوس في مجاهدتها في كبد ويكسف البال ويقلص الآمال ويكدر من المشرب العذب الزلال ويحرم من الأحالة السحر الحلال ويقبح من الإحسان أجمل الجلال حتى إن الكتاب الذي صنفه الإمام العلامة الأفضل أبو عمرو عثمان بن عمر بن أبي بكر الدويني الأصل الصعيدي المولد المعروف بابن الحاجب رحمه الله وسماه الجامع بين الأمهات أتى فيه بالعجب العجاب ودعا قصي الإجادة فكان المجاب وراض عصي المراد فزال شماسه وانجاب وأبدى ما حقه أن تصرف أعنة الشكر إليه وتلقى مقاليد الاستحسان بين يديه وأن يبالغ في استحسانه ويشكر نفحات خاطره ونفثات لسانه فإنه رحمه الله تيسرت له البلاغة فتفيأ ظلها الظليل وتفجرت ينابيع الحكمة فكان خاطره ببطن المسيل وقرب المرمى فخفف الحمل الثقيل وقام بوظيفة الإيجاز فناداه لسان الإنصاف ما على المحسنين من سبيل

ومع ذلك فلم يعدم الذام حسناؤه ولا روعي اجتهاده في خدمة العلم واعتناؤه بل أنحي على مقاصده فذمت أنحاؤه وقصد أن يستكفأ من الإحسانه صحيفته

235. وإناؤه فتارة يعاب لفظه بالتعقيد وطورا يقال لقد رمى المعنى من أمد بعيد ومرة ينسب إلى السهو والغلط وأخرى رجح غير المشهور وذلك معدود من السقط وجعل ذلك ذريعة إلى التنفير عن كتابه والتزهيد فيه والغض ممن يتبع أثر سلوكه ويقتفيه وهذا عندنا من الجور البين والطريق الذي سلوك سواه والعدول عنه متعين

فأما الاعتراض بالتعقيد والإغماض فربما كان سببه بعد الفهم ويعد الذنب هناك للطرف لا للنجم وإنما وضعت هذه المختصرات لقرائح غير قرائح وخواطر إذا استسقيت كانت مواطر وأذهان يتقد أوارها وأفكار إذا رامت الغاية قصر مضمارها فربما أخذها القاصر ذهنا فما فك لها لفظا ولا طرق معنى فإن وقف هناك وسلم سلم وإن أنف بالنسبة إلى التقصير فأطلق لسانه أثم وهو مخطئ في أول سلوك الطريق وظالم لنفسه حيث حملها مالا تطيق

وسبيل هذه الطبقة أن تطلب المبسوطات التي تفردت في إيضاحها وأبرزت معانيها سافرة عن نقابها مشهورة بغررها وأوضاحها

والحكيم من يقر الأمور في نصابها ويعطي كل طبقة مالا يليق إلا بها

وأما السهو والغلط فما أمكن تأويله على شيء يتأول وما وجد سبيل واضح إلى توجيه حمل على أحسن محمل وما استدت فيه الطرق الواضحة وتؤملت أسباب حسنه أو صحته فلم تكن لائحة فلسنا ندعي لغير معصوم عصمه ولا نتكلف تقدير ما نعتقده غلطا بأن ذلك أبهج وصمه فالحق أولى ما رفع علمه وروعيت ذممه ووفيت من العناية

قسمه وأقسم المحقق أن لا يعافه فبر قسمه وعزم النظر أن يلزم موقفه فثبتت قدمه
.236
ولكن لا نجعل ذلك ذريعة إلى ترك الصواب الجم ولا نستحل أن نقيم في حق المصنف شيئا إلى ارتكاب مركب الذم والذنب الواحد لا يهجر له الحبيب والروضة الحسناء لا تترك لموضع قبر جديب والحسنات يذهبن السيئات وترك المصالح الراجحة للمفاسد المرجوحة من أعظم المبادآت والكلام يحمل بعضه بعضا ومن أسخطه تقصير يسير فسيقف على إحسان كبير فيرضى
ولو ذهبنا نترك كل كتاب وقع فيه غلط أو فرط من مصنفه سهو أو سقط لضاق علينا المجال وقصر السجال وجحدنا فضائل الرجال وفاتنا فوائد تكاثر عديد الحصا وفقدنا عوائد هي أجدى علينا من تفاريق العصا

ولقد نفع الله الأمة بكتب طارت كل المطار وجازت أجواز الفلوات وأثباج البحار وما فيها إلا ما وقع فيه عيب وعرف منه غلط بغير شك ولا ريب ولم يجعله الناس سببا لرفضها وهجرها ولا توقفوا عن الاستضاءة بأنوار الهداية من أفق فجرها
.237
وسلكنا عند الإنصاف تلك السبيل ولا بدع في أن يعطى الشخص حكم السغب والتبتيل
(يا ابن الأعارب ما علينا باس % لم نأب إلا ما أباه الناس)
على أنه لما طال الزمان قليلا عاد جد ذلك السغب قليلا فحفظ هذا الكتاب الحفاظ واعتني منه بالمعاني والألفاظ وشدت عليه يد الضنانة والحفاظ وقامت له سوق لا يدعيها ذو المجاز ولا عكاظ فوكلت به الأسماع والأبصار وكثرت له الأعوان والأنصار وسكنت الدهماء فحمد ذلك النقع المثار وأسس بناء الإنصاف على التقوى فهدم مسجد الضرار فابيضت تلك الليالي السود ومات الحسد أو مات المحسود فكان كما قلت
(ادأب على جمع الفضائل جاهدا % وأدم لها تعب القريحة والجسد)
(واقصد بها وجه الإله ونفع من % بلغته ممن جد فيها واجتهد)
(واترك كلام الحاسدين وبغيهم % هملا فبعد الموت ينقطع الحسد)
فقد آن إذن وحق أن نشرح هذا الكتاب شرحا يعين الناظر يه على فك لفظه وفهم معانيه على وجه يسهل للماهر مساغه وذوقه ويرفع القاصد فيلحقه بدرجة من هو فوقه ويسلك سبيل معرفته ذللا ويدرك به ناظره من وضوحه أملا

.238
فاستخرت الله تعالى في وضع هذا الشرح قاصدا فيه لعشرة أمور
الأول التعرض لبسط ألفاظه المقفلة وإيضاح معانيه المشكلة وإظهار مضمراته المهملة فأذكر المسائل أو المسئلة أبسط العبارة فيها وأقتصر على ذلك إن رأيت أنه يكفيها وإلا رجعت إلى تنزيل ألفاظ الكتاب على ذلك الذي بسطته موضعا موضعا لأجمع بين البيان الإجمالي والتفصيلي معا اللهم إلا مواضع يسيرة أخذ الإشكال بخنقها ورامت الأذهان الرائقة سلوكها فالتبس عليها جميع طرقها فإنا نطوي تلك على غرها ونربأ بأنفسنا عن ركوب مراكب العسف مستعيذين بالله من شرها والعاقل يختار السكوت على التخليط وإذا لم يكن بد من أحد الحملين فجيء هذا بالبسيط
على أني لا أجزم بالصحة لتلك المواضع ولا أعتقد العصمة إلا لمن يشهد له بها القواطع ولقد سمعت أبي رحمه الله يحكي ما معناه أو قريب منه أن المصنف سئل عن شيء من هذا الكتاب فلم يأت منه بجواب وذكر أنه إنما وضعه على الصحة
الثاني تفسير ألفاظه الغريبة واللغوية وكيفية النطق بها على مقتضى العربية وذكر شيء من الاشتقاقات الأدبية والتحرز مما يعد من لحن العوام والتحفظ من التصحيف الذي هو إحدى القوام ولقد بلي بذلك من ضعفة الفقهاء من
.239 صفر من الأدب مزاده وقل في طريق العربية زاده وخفت عن تلك اللطائف طباعه وتناءت عن تلك المناهل رباعه
الثالث أنسب الأقوال المهملة إلى أربابها إذا أطلقت وأميز أقوال الإمام من أقوال الصحابة إذا علمت المخالفة بينهم تحققت وأبين الأصح من القولين إذا لم يبين وأعين الأشهر من الخلاف إذا لم يعين كل ذلك بحسب ما انتهى علمي إليه ووقف بحثي بحسب الحال الحاضر عليه
الرابع أراعي في المسائل المذهبية التوجيه والتعليل ولا أدعها تتردد بين أنحاء التعليل فما قويت في الاعتبار منته ومبانيه ورجحت عند النظار رتبته ودرايته أوضحت الطريق إليه أي إيضاح وجلوت الحق هنالك كالقمر اللياح وما ضعفت من القواعد مادته وخفيت على التحقيق جادته اكتفيت فيه بالميسور من التعليل أو أخذت على غيري فحكيت ما قيل فما كل مسك يصلح وعاء للمسك ولا كل ضعيف يوسم بسمة الترك
.240
الخامس أحكم من صناعة الحديث ما أورده وأتقن ما أنص فيه وأسرده فإن حكمت بصحة حديث بإسناد ذلك إلي فبعد أن أنزع رداء

التعصب عن منكبي وأؤدي حق النصيحة للسنة كما يتعين وأحترز من الميل إلى نصر مذهب معين فإن وجد المستدل مطلوبه بنى على أوثق أساس وإلا فليعدل إلى غير النص من أنواع الاستدلال والقياس

وإن حكيت الصحة عن غيري فعن حق لا تمتد يد الشك إلى لبسه وقد قيل من أحال على غيره فقد احتاط لنفسه وما عزوته إلى الكتب المشهورة فهو فيها عند المراجعة موجود فإن وجد في مظنته وإلا فعند التتبع يحصد المقصود

وقد وقع لجماعة من الفقهاء وغيرهم في ذلك خلل وأقدم بعضهم على أمر ليته عنه نكل

وقد حكيت في هذا الكتاب من غرائب الأخبار وشوارد الآثار ما يعز وجوده عند الفقهاء الذين خصوا الفقه بالعناية وحصوا جناح المسير إلى الرواية

السادس ما جزمت بنقله عن أئمة الاجتهاد تحريت فيه ومنحته من طريق الاحتياط ما يكفيه فإن كان من أحد المذاهب الأربعة نقلته من كتب أصحاب وأخذته عن المتن فأتيت الأمر من بابه ولم أعتبر حكاية الغير عنهم فإنه طريق وقع فيه الخلل وتعدد من جماعة من النقلة فيه الزلل وحكى المخالفون للمذاهب عنها ما ليس منها

وما كان من الأقوال للمتقدمين للصاحبة ومن شذ عمن ذكرناه من المخالفين فاعتمادي فيه على كتاب الإشراف للحافظ أبي بكر بن المنذر رحمه الله فبأنواره اهتديت وبطريقه

241. إلى تلك الغاية اقتديت فإن لم يكن فيه ذلك النقل ولم أره فيه نقلت من غيره بعبارة ملخصة فقلت وحكي عن فلان كذا أو عن فلان كذا إلا ما جزمت بصحته فإني أقطع القول بنسبته إليه

ولما كنت لا أرى لأحد قولا إلا ما نص عليه وتعذر علي في كثير من المسائل معرفة نص صاحبه المذهب لكون المسئلة متفقا عليها عند ناقلته رأيت أن أقول في مثل ذلك قالت الحنفية أو الشافعية أو الحنبلية أو قال الحنفي أو الحنبلي وما قلت قد نقل عن فلان أو اشتهر عنه فلا ألزم نقله عن كتب أصحاب ذلك الإمام لصدق اللفظ المذكور وإن لم ينقل من كتبهم

السابع أذكر في المسائل الخلافية المعروفة بمسائل الطريقة مواد أصل الاجتهاد فإن تعددت اخترت الأمتن وقصدت الأحسن لا على وجه الإطالة الموجبة للملالة ولا على طريقة الإجمال المفضي إلى الإخلال

ثم إن لأهل عصرنا وما واتاه نكتا رشيقة وطرقا روضاتها أنيقة أخذوا فيها مأخذ الإعراب وأبدوا عرائسها كالكواكب الأتراب وأملوا الإبداع فأدركوا التأميل وظفروا فيه بالمعلى لما أرسلوا أقداح المجيل إلا أن أكثرهم أولع

242. من تعبير المبين وبالغ في إغلاقها حتى لا تكاد تبين إنما هو جدال كالجلاد وخيال تزخرفه الألسنة الحداد فلم أر إخلاء هذا الكتاب عن شيء منها ولا استحسنت مع ظرافها أن أعرض بالكلية عنها فكسوت بعض المسائل الفقهية ذلك الوشي المرقوم وأنفت أن يضحي صاحب هذه الصنعة بأثر من رزقها محروم ولم أبالغ في الإغلاق والإبهام ولا أكثرت من هذا النوع فإنه خروج عن المصطلح في كتب الأحكام
الثامن ما أسلكه من الطرق في الحجاج لا أروغ فيه روغان الثعالب ولا أرجح من جانب ما ضعفته في جانب ولا ألتزم فساد الذم عند المخالفة بمثله ولا أضع شخصا تقدم مني ذكر فضله ولا أسلك طريق اليمن فإن رضيت مدحت وإن سخطت قدحت ولا أتهافت فإن فعلت فما أنصفت نفسي ولا نصحت فلقد فعل ذلك قوم أوجبوا السبيل إلى ذمهم فأقروا عند ذكر العيوب عين خصمهم فأطال عليهم في التشنيع وبدد بسوء ذلك الصنيع ونسب إليهم مجاولة تغليط الناظر وتوهم فيهم أن المقصود المغالبة في الوقت الحاضر ولا ضرورة تدعو إلى ذلك ولا حاجة إلى سلوك هذه المسالك

243.
التاسع لست بالراغب في جلب زوائد الفروع المسطورة وحصر شوارد المسائل المذكورة ما لم يتضمنه هذا المجموع ولا رفع ذكر هذا الموضوع فإن المقصود إنما هو الشرح فليتوقف الغرض عليه ولتتوجه الدواعي والهمم إليه واللائق بذلك الغرض كتب المسائل التي قصد إلى جمعها واستقل أصحاب التصانيف بوضعها ولكل غاية طريق قاصد يناسبها ولكل عزمة مأخذ من نحو ما يصاحبها
فأما الأقوال المتصلة بما وضعه المصنف وذكره والفروع المقارنة لما نظمه وسطره فإني أمنحها طرفا من العناية وأوليها جانب الولاية
العاشر أذكر الاستشكالات في مباحث أنبه فيها فهم الباحث وأرسلها إرسالا ولا أدعها تسير أرسالا وأوسع للناظر فيه مجالا حتى إذا خرج من السعة للضيق وتبارز في ميدان التسابق فرسان التحقيق وأخرجت أحكام النفوس من السير وكان الطريق ميتاء ينفذها البصر ويستسير فيها العير وسلمت الممادح من القوادح ووقع الإنصاف فربما فضل الجذع على القارح فهناك تنكشف الأستار عن الحقائق وتبين الفضيلة لسيل الوجيه ولا حق

244.
فهذه الطرق التي أقصدها والأنحاء التي أعتمدها ومن الله أعتمد العون ومن الخسارة فيما نرجو ربحه أسأله الصون فبه القوة والحول ومنه الإحسان والطول فإن لم تفض من رحمته سجال ويتسع لمسامحته مجال فالتباب والخسار والتنائي عن منازل الأبرار ونعوذ

بالله من عمر وعمل تقتحمهما النار
وهذا حين الشروع في المراد والله ولي التوفيق والإرشاد إنه على ما يشاء قدير وبالإجابة جدير
آخر الخطبة المشار إليها فرحم الله منشيها والحمد لله رب العالمين

فوائد الشيخ تقي الدين ومباحثه

أكثر من أن تحصر ولكنها غالبا متعلقة بالعلم من حيث هو حديثا وأصولا وقواعد كلية كما يراها الناظر في مصنفاته ولا سيما فقه الحديث والاستنباط منه فقد كان إمام الدنيا في ذلك فلا معنى للتطويل بذكرها ولكننا نذكر بعض ما بلغنا عنه مما هو مختص بالمذهب
خيار التصرية هل مستنده التدليس الصادر من البائع أو الضرر الحاصل للمشتري وقد يعبر بعبارة أخرى فيقال هل مستنده التغرير أو الغرور فيه وجهان مشهوران ينبني عليهما ما لو تحفلت بنفسها بأن ترك الحلاب أياما ناسيا لشغل عرض أو صراها غيره بغير إذنه والأصح عند صاحب التهذيب وبه قطع القاضي الحسين ثبوت الخيار خلافا للغزالي
ولو صراها لا لأجل الخديعة ثم نسيها فقد حكى ابن دقيق العيد عن أصحابنا فيه خلافا ولم نر ذلك في كلامهم صريحا لكنه يتخرج على أن المأخذ التدليس أو ظن المشتري فعلى الأول لا يثبت لأنه لم يقصد الخديعة وعلى الثاني يثبت لحصول الظن
.245
ولو شد أخلافها قصدا لصيانة لبنها عن ولدها فقط قال ابن الرفعة فهو كما لو تحفلت بنفسها
قلت وهي كالمسئلة التي حكاها الشيخ تقي الدين لكن في تلك زيادة النسيان وهو ليس بشرط فإنه إذا كان القصد صحيحا لم يحصل تدليس وخديعة وليس لقائل أن يقول إن التدليس حاصل بعد تبيينه وقت البيع وهو عالم به لأن هذا المعنى حاصل فيما إذا تحفلت بنفسها وباعها وهو عالم بالحال
وابن الرفعة سقط عليه من كلام الشيخ تقي الدين لفظة لا فنقل المسئلة عنه على أنه صراها لأجل الخديعة ثم نسيها ثم اعترض بأنه ينبغي أن تكون هذه من صور الوفاق وهذا اعتراض صحيح لو كان الأمر كما نقله لأنه حينئذ يكون قد حصل التدليس والظن ولا يفيد توسط النسيان
فإذا المسئلة التي ذكرها ابن الرفعة وخرجها على ما إذا تحفلت بنفسها هي مسئلة الشيخ تقي الدين والمسئلة التي نقلها ابن الرفعة عن الشيخ بحسب النسخة التي وقعت له غلطا مسئلة أخرى ينبغي الجزم فيها بالخيار نبه على ذلك والدي أطال الله بقاه في شرح

المهذب
صحح الشيخ تقي الدين حديث القلتين واختار ترك العمل به لا لمعارض أرجح بل لأنه لم يثبت عنده بطريق يجب الرجوع إليه شرعا تعيين لمقدار القلتين
قال الشيخ تقي الدين ذكر بعضهم أن المسئلة السريجية إذا عكست انحلت وتقريرها أن صورة المسئلة متى وقع عليك طلاقي فأنت طالق قبله ثلاثا أو متى
246. طلقتك
فوجه الدور أنه متى طلقها الآن وقع قبله ثلاثا ومتى وقع قبله ثلاثا لم يقع فيؤدي إثباته إلى نفيه فانتفى وعكس هذا أن يقول متى طلقتك أو متى أوقع طلاقي عليك فلم يقع فأنت طالق قبله ثلاثا فحينئذ متى طلقها وجب أن يقع الثلاث القبيلة لأنه حينئذ يكون الطلاق القبلي بائنا على النقيضين أعني وقوع المنجز وعدم وقوعه وما يثبت على النقيضين فهو ثابت في الواقع قطعا لأن أحدهما وقع قطعا فالمعلق به واقع قطعا
وهذه مقدمة ضرورية عقلية لا تقبل المنع بوجه من الوجوه وأصل المسئلة الوكالة
قال والدي رحمه الله وهذا فيه نظر وإنما يلزم وقوع الطلاق المعلق بالنقيضين المذكورين لو قال إن طلقتك فوقع عليك طلاقي أو لم يقع فأنت طالق قبله ثلاثا ثم يقول لها أنت طالق فحينئذ يحكم بأنها طلقت قبل ذلك التطليق ثلاثا عملا بالشرط الثاني وهو عدم الوقوع لأن الطلاق المعلق مشروط بأحد أمرين إما الوقوع وإما عدمه في زمن واحد مستند إلى زمن قبلي ولا يمكن الحكم بالوقوع القبلي استنادا إلى الشرط الأول وهو الوقوع للزوم الدور
وأما الوقوع في ذلك الزمن القبلي مستندا إلى عدم الوقوع فلا مجال فيه لأنه لا يمكن أن يقال لو وقع فيه لوقع قبله لأنه إما أن يحمل القبلية على القبلية المتسعة التي أولها عقب التعليق أو على القبلية التي تستعقب التطليق فإن كان الأول لم يكن وقوع الطلاق قبله لأنه يكون سابقا على التعليق وحكم التعليق لا يسبقه وهذا فائدة فرضنا التعليق على
واعلم أن الشيخ تقي الدين رضي الله عنه توفي ولم يبيض كتابه الإلمام فلذلك وقعت فيه أماكن على وجه الوهم وسبق الكلام
247.
منها قال في حديث مطرف عن أبيه رأيت النبي يصلي وفي صدره أزيز كأزيز المرجل من البكاء إن مسلما أخرجه وليس هو في مسلم وإنما أخرجه النسائي والترمذي في الشمائل ولأبي داود كأزيز الرحى

ومنها قال في باب صفة الصلاة وعن وائل بن حجر قال صليت مع النبي فكان يسلم عن يمينه السلام عليكم ورحمة الله وبركاته حتى يرى بياض خده الأيمن وعن يساره السلام عليكم ورحمة الله وبركاته حتى يرى بياض خده الأيسر إن أبا داود خرجه وليس في كتاب أبي داود ولا في شيء من الكتب الستة هذه الزيادة من طريق وائل وهي حتى يرى بياض خده الأيمن وحتى يرى بياض خده الأيسر وهو من طريق ابن مسعود في النسائي وفي أبي داود وليس عنده الأيمن والأيسر

ومنها في حديث ابن مسعود في السهو جعل لفظ مسلم لفظ أبي داود ولفظ أبي داود لفظ مسلم

ومنها في صلاة العيدين عن عمرو بن شعيب عن أبيه عن جده (أن النبي كبر في العيدين في الأولى سبعا) الحديث ذكر أن الترمذي أخرجه وهذا الحديث إنما يرويه كثير بن عبد الله عن أبيه عن جده وهو في الترمذي هكذا

.248

ومنها في الكفن وروى النسائي عن أبي سعيد الخدري حديثا فيه وقال رسول الله (إذا ولي أحدكم أخاه فليحسن كفنه) ثم قال وأخرجه أبو داود

وهذا الحديث ليس هو عن أبي سعيد ولا أخرج هذا أبو داود من حديث أبي سعيد وإنما هذا اللفظ في الترمذي من حديث أبي قتادة والذي في أبي داود من حديث جابر ولفظه (إذا كفن أحدكم أخاه فليحسن كفنه) ونحو هذا اللفظ في مسلم والنسائي من حديث جابر لا من حديث أبي سعيد

ومنها في فصل في حمل الجنازة وعن عائشة عن النبي قال (كسر عظم الميت ككسره حيا) ذكر أن مسلما خرجه وإنما خرجه أبو داود

ومنها حديث بهز بن حكيم عن أبيه عن جده في السائمة في الزكاة وذكر أن الترمذي خرجه وليس فيه

ومنها في أواخر فصل في شروط الصوم أخرجه الأربعة وهذا لفظ الترمذي ثم قال حسن غريب ثم قال ولا أراه محفوظا وهذا يقتضي أن قوله ولا أراه محفوظا من كلام الترمذي والذي في الترمذي وقال محمد ولا أراه محفوظا

ومنها حديث الصعب بن جثامة لا حمى إلا لله ولرسوله ذكر أنه متفق عليه وليس هو في مسلم وإنما هو من أفراد البخاري

.249

ومنها في باب الولي ذكر أن رواية زياد بن سعد عن عبد الله عن الدارقطني الثيب أحق بنفسها ورواية زياد بن سعد عن عبد الله في مسلم بهذا اللفظ فإضافته إلى مسلم أولى وهذا ليس باعتراض ولكنه

فائدة جليلة
ومنها مواضع كثيرة نبه عليها الحافظ قطب الدين أبو محمد عبد الكريم بن عبد النور بن منير الحلبي رحمه الله ولخص كتاب الإلمام في كتاب سماه الاهتمام حسن خال عن الاعتراضات الواردة على الإلمام مع الإثبات لما فيه

1327 محمد بن علي البارنباري الملقب طوير الليل الشيخ تاج الدين

أحد أذكياء الزمان برع فقها وعلما وأصولا ومنطقا
وقرأ المعقولات على شارح المحصول الشيخ شمس الدين الأصبهاني
250.
مولده سنة أربع وخمسين وستمائة
سمعت الشيخ الإمام الوالد رحمه الله يقول قال لي ابن الرفعة من عندكم من الفضلاء في درس الظاهرية فقلت له قطب الدين السنباطي وفلان وفلان حتى انتهيت إلى ذكر البارنباري فقال ما في من ذكرت مثله
توفي سنة سبع عشرة وسبعمائة بالقاهرة
ومن مباحثه في السؤال الذي يورد في قوله تعالى (^ لا تأخذه سنة ولا نوم) وتقرير أن السنة أعم من النوم ويلزم من نفي العام نفي الخاص فكيف قال (^ ولا نوم) بعد قوله (^ لا تأخذه سنة)
وقد أجاب الناس عن هذا بأجوبة كثيرة ومن أحسنها مانحاه هذا الرجل فإنه قال الأمر في الآية على خلاف ما فهم والمنفي أولا إنما هو الخاص وثانيا العام ويعرف ذلك من قوله تعالى (^ لا تأخذه) أي لا تغلبه ولا يلزم من عدم أخذ السنة له التي هي قليل من نوم أو نعاس عدم أخذ النوم له فقال (^ ولا نوم) وعلى هذا فالسؤال منتف وإنما يصح إيراده أن لو قيل لا يحصل له سنة ولا نوم
هذا جوابه وهو بليغ إلا أن لك أن تقول فلم لا أكتفي بنفي أخذ النوم على هذا التقرير الذي قررت وما الفائدة حينئذ في ذكر السنة
ومن سؤالاته في الفقه قوله سوى الأصحاب بين المانع الحسي والشرعي فيما إذا باع جارية حاملا بحر أو باع جارية إلا حملها فإن الصحيح فيهما البطلان
251. ولم يفعلوا ذلك فيما إذا باع دارا مستأجرة فإن الصحيح الصحة فيها والبطلان فيما إذا باع دارا واستثنى منفعتها شهرا
وأجاب وقد سئل كيف يقول الغزالي إن النية في الصلاة بالشروط أشبه وهو شرط أن تكون مقارنة بالتكبير والتكبير ركن فيتحد زمان الركن والشرط مع كون الركن لا بد أن يكون داخل الماهية والشرط خارجا بأن المراد بالداخل ما تتقوم به الماهية ولا تصدق بدونه وبالخارج

ما ليس كذلك سواء أقارن الداخل في الزمان أم لا فالترتيب ليس في الزمان والنية لا تتقوم بها الصلاة لجواز أن توجد بلا نية وتكون صلاة فاسدة وكذلك ترك الأفعال الكثيرة في الصلاة فإنه شرط مع كونه لا يوجد إلا داخل الصلاة وكذلك استقبال القبلة بخلاف التكبير فإنه متى انتفى انتفت حقيقة الصلاة

هذا جوابه وهو على حسنه قد يقال عليه هذا إنما يتم إذا قلنا إن الصلاة موضوعة لما هو أعم من الصحيح والفاسد لتصدق صلاة صحيحة وصلاة فاسدة أما إذا قلنا إنها إنما هي موضوعة للصحيح فقط فحيث انتفى شرطها لا تكون موجودة

وقد حكى الرافعي الخلاف في أن لفظ العبادات هل هو موضوع لما هو أعم من الصحيح والفاسد أو مختص بالصحيح حيث قال في كتاب الأيمان وسيأتي خلاف في أن لفظ العبادات هل هو موضوع لما هو أعم من الصحيح والفاسد أو مختص بالصحيح وإن كان لم يف بما وعد إذ لم يحكه بعد على ما رأيناه وسيأتي في ترجمة الشيخ الإمام ما فيه مزيد تحقيق عن السؤال

.252

1328 محمد بن عقيل بن أبي الحسن البالسي ثم المصري

الشيخ نجم الدين شارح التنبيه

وصنف أيضا في الفقه مختصرا لخص فيه كتاب المعين واختصر كتاب الترمذي في الحديث

وكان أحد أعيان الشافعية دينا وورعا

سمع بدمشق من ابن البخاري وغيره وبالقاهرة من ابن دقيق العيد وغيره

وولي القضاء بدمياط وبلبيس وأشموم وغيرها

مولده سنة ستين وستمائة

ومات بمصر في رابع عشر المحرم سنة تسع وعشرين وسبعمائة

.253

1329 محمد بن عمر بن مكي بن عبد الصمد الشيخ الإمام صدر الدين بن المرحل

تفقه على والده وعلى الشيخ شرف الدين المقدسي

وسمع الحديث من القاسم الإربلي والمسلم بن علان وطائفة

وقعت لنا عنه أناشيد من نظمه ولم يقع لنا حديثه

كان إماما كبيرا بارعا في المذهب والأصلين يضرب المثل باسمه فارسا في البحث نظارا مفرط الذكاء عجيب الحافظة كثير الاشتغال حسن العقيدة في الفقراء مليح النظم جيد المحاضرة

ولد بدمشق ونشأ بها وانتقل إلى القاهرة وبها توفي وتنقلت به

الأحوال
وله مع ابن تيمية المناظرات الحسنة وبها حصل عليه التعصب من أتباع ابن تيمية وقيل فيه ما هو بعيد عنه وكثر القائل فارتاب العاقل
254.
كان الوالد رحمه الله يعظم الشيخ صدر الدين ويحبه ويثني عليه بالعلم وحسن العقيدة ومعرفة الكلام على مذهب الأشعري
درس بدمشق بالشاميتين والعذراوية
وولي مشيخة دار الحديث الأشرفية وباشرها مدة ثم درس في آخر عمره بالقاهرة بزاوية الشافعي والمشهد الحسيني وهو أول من درس بالمدرسة الناصرية بها
ذكره القاضي شهاب الدين بن فضل الله في تاريخه فقال إمام له نسب في قريش أعرق وحسب في بني عبد شمس مثل الشمس أشرق وعلم لو أن البحر شطأ شبهه لأغرق وفهم لو أن الفجر سطع نظيره لأحرق
وثبت طنب على المجرة ومد رواقه فتلألأ بالمسرة ونشر رايته البيضاء الأموية وحولها ثغور الكواكب المنيرة وارتفع أن يقاس بنظير واتضع والثريا تاج فوق مفرقه والجوزاء تحته سرير
وهمة دون السما لا يقصرها وحكمة عن سبق القدما لا يؤخرها
مع جبين وضاح ويمين منها الكرم يستماح وأدب أشهى من رشف الرضاب وأحلى من رضا الحبائب الغضاب وخلق شرح الله صدره ومنح فضله أندت الرياض المخضرة انتهى
255.
وللشيخ صدر الدين كتاب الأشباه والنظائر ومات ولم يحرره فلذلك ربما وقعت فيه مواضع على وجه الغلط مثل حكايته عن بعض الأئمة وجهين فيما إذا كشف عورته في الخلاء زائدا على القدر المحتاج هل يأثم على كشف الجميع أو على القدر الزائد وهذا لم أره في كتاب
وذكره شيخ الأدباء القاضي صرح الدين الصفدي فقال أما التفسير فابن عطية عنده مبخل والواحدي شارك العي لفظه فتخيل
وأما الحديث فلو رآه ابن عساكر لانهزم وانضم في زوايا تاريخه وانحزم
وأما الفقه فلو أبصره المحاملي ما تحمل من غرائب قاضي النقل عنه وما نصب ورجع عما قال به من استحباب الوضوء من الغيبة وعند الغضب
وأما الأصول فلو رآه ابن فورك لفرك عن طريقته وقال بعدم المجاز إلى حقيقته
وأما النحو فلو عاصره عنبسة الفيل لكان مثل ابن عصفور أو أبو

الأسود لكان ظالما وذنبه غير مغفور
وأما الأدب فلو عاينه الجاحظ لأمسى لهذا الفن وهو جاحد أو الثعالبي لراغ عن تصانيفه وما اعترف منها بواحد
وأما الطب فهو شاهده ابن سينا لما أطرب قانونه أو ابن النفيس لعاد نفيسا قد ذهبت نونه
256.
وأما الحكمة فالنصير الطوسي عنده مخذول والكاتبي دبيران أدبر عنه وحده مفلول
وأما الشعر فلو حاذاه ابن سناء الملك فنيت ذخيرة مجازاته وحقائقه أو ابن الساعاتي ما وصل إلى درجته ولا انتهى إلى دقائقه
وأما الموشحات فلو وصل خبره إلى الموصلي لأصبح مقطوع الذنب أو ابن زهر لما رأى له السماء نجما إلا هوى ولا برجا إلا انقلب
وأما البلاليق فابن كلفة عنده يتكلف وابن مدغليس يغلس للسعي في ركابه وما يتخلف
انتهى قليل مما ذكره القاضي صلاح الدين بلفظه
وكانت للشيخ صدر الدين صدقات دارة ومكارم حاتمية ما أشك أنها كانت دافعة لكثير من السوء عنه فلطالما دخل في مضايق ونجا منها
257.
ومن أحسن ما بلغني عنه من صدقاته ما حكاه صاحبه الحافظ شهاب الدين العسجدي قال كنت معه ليلة عيد فوقف له فقير استجداه فقال لي أيش معك فقلت مائتا درهم فقال ادفعها إلى هذا الفقير فقلت له يا سيدي الليلة العيد وما معنا ما ننفقه غدا فقال لي امض إلى القاضي كريم الدين الكبير وقل له الشيخ يهنئك بهذا العيد
فلما رآني كريم الدين قلت له ما قاله لي الشيخ قال كأن الشيخ يعوز نفقة في هذا العيد ودفع إلي ألفي درهم وقال هذه للشيخ ولك أنت ثلاثمائة درهم
فلما حضرت بالدراهم إلى الشيخ قال صدق رسول الله (الحسنة بعشر أمثالها) هذه مائتان بألفين
ولد الشيخ صدر الدين سنة خمس وستين وستمائة
وتوفي بالقاهرة في سنة ست عشرة وسبعمائة
أنشدنا الحافظ أبو العباس أحمد بن محمد بن عبد الرحمن بن إبراهيم بن عبد المحسن العسجدي بقراءتي عليه قال أنشدنا الشيخ صدر الدين بن المرحل لنفسه من لفظه
258.
(ليذهبوا في ملامي أية ذهبوا % في الخمر لا فضة تبقى ولا ذهب)
(والمال أجمل وجه فيه تنفقه % وجه جميل وراح في الدجا لهب)

(لا تأسفن على مال تمزقه % أيدي سقاة الطلا والخرد العرب)
(فما كسوا راحتي من راحها حللا % إلا وعروا الهم واستلبوا)
(راح بها راحتي في راحتي حصلت % فتم عجبي بها وازداد لي العجب)
ومنها
(وليست الكيميا في غيرها وجدت % وكل ما قيل في أبوابها كذب)
(قيراط خمر على القنطار من حزن % يعيد ذلك أفراحا وينقلب)
(عناصر أربع في الكأس قد جمعت % وفوقها الفلك السيار والشهب)
(ماء ونار هواء أرضها قدح % وطوقها فلك والأنجم الحبب)
(ما الكأس عندي بأطراف الأنامل بل % بالخمس تقبض لا يحلو بها الهرب)
(شججت بالماء منها الرأس موضحة % فحين أعقلها بالخمس لا عجب)
(صفراء فاقعة في الكأس ساطعة % كالتبر لامعة كاساتها سحب)
(وإن أقطب وجهي حين تبسم لي % فعند بسط الموالي يحفظ الأدب)
وهي طويلة أنشدها العسجدي بجملتها وقد اقتصرنا على ما انتقيناه منها
وانظر هذا الفقيه ما أحلى قوله شججت بالماء البيت وما أحسن استحضاره لمشكلات الفقه في هذا المقام وأحسبه قصد بها القصيد معارضة ابن الخيمي في قصيدته الغزلية التي ادعاها ابن إسرائيل وهي قصيدة بديعة غراء مطلعها
.259
(يا مطلبا ليس لي في غيره أرب % إليك آل التقضي وانتهى الطلب)
(وما طمحت لمرأى أو لمستمع % إلا لمعنى إلى علياك ينتسب)
وما أراني أهلا أن تواصلني % حسبي علوا بأني فيك مكتئب)
(لكن ينازع شوقي تارة أدبي % فأطلب الوصل لما يضعف الأدب)
(ولست أبرح في الحالين ذا قلق % باد وشوق له في أضلعي لهب)
(ومدمع كلما كفكفت أدمعه % صونا لذكرك يعصيني وينسكب)
(ويدعي في الهوى دمعي مقاسمتي % وجدي وحزني ويجري وهو مختضب)
(كالطرف يزعم توحيد الحبيب ولا % يزال في ليله للنجم يرتقب)
وأنشدنا الحافظ أبو العباس العسجدي بقراءتي عليه قال أنشدنا الشيخ صدر الدين من لفظه لنفسه

(يا رب جفني قد جفاه هجوعه % والوجد يعصي مهجتي ويطيعه)
(يا رب قلبي قد تصدع بالنوى % فإلى متى هذا البعاد يروعه)
(يا رب بدر الحي غاب عن الحمى % فمتى يكون على الخيام طلوعه)
260.
(يا رب في الأظعان سار فؤاده % وبوده لو كان سار جميعه)
(يا رب لا أدع البكا في حبهم % من بعدهم جهد المقل دموعه)
(يا رب هب قلب الكئيب تجلدا % عمن يحب فقد دنا توديعه)
(يا رب هذا بينه وبعاده % فمتى يكون إيابه ورجوعه)
(يا رب أهلا ما قضيت وإنما % أدعو بعودهم وأنت سميعه)
ومن موشحاته
(دمعي روى مسلسلا بالسند % عن بصري أحزاني)
(لما جفا من قد بلا % بالرمد والسهر أجفاني)
(غزال أنس نافر % نيطت به التمائم)
(وغصن بان ناضر % أزهاره المباسم)
(قلبي عليه طائر % تبكي له الحمائم)
(وإن غاب فهو حاضر % بالفكر لي ملازم)
(كم قد لوى على الولا من موعد % لم يفكر في عاني)
(وقد كفى ما قد بلا بالكمد % والفكر ذا الجاني)
(أزرى بغزلان النقا % وبانه وحققه)
(كم حل من عقد تقى % بطرفه وظرفه)
(لم أنسه لما سقا % من ثغره الإلفه)
(سلاف ريق روقا % في ثغره لرشفه)
261.
(قد احتوى على طلا وسهد % ودرر مرجان)
(ورصعا وكللا بالبرد % والزهر للحان)
(أماله سكر الصبا % ميل الصبا بقده)
(وفك أزرار القبا % وحل عقد بنده)
(وسدنه زهر الربا % وساعدي لسعده)
(وبت أرعى زغبا % من فوق ورد خده)
(مثل الهوى هب على روض ند % من طرر ريحاني)
(قد لطفا حتى علا مورد % مزهر نعماني)
(خد به خد البكا % في صحن خدي عذرا)
(ورد لما أن شكا % سائل جمعي نهرا)
(كم مغرم قد تركا % بين البرايا عبرا)
(يا من إليه المشتكى % الحال يغني النظرا)

(وإذا الهوى فانهملا دمعي الصدي % كالمطر هتاني)
(وما انطفا واشتعلا في كبدي % كالشرر نيراني)
(يا فرحة المحزون % وقرحه لمن يرى)
(إن صلت بالجفون % وصدت من جفني الكرا)
.262
(فليس من يحمين % سوى الذي فاق الورى)
(شمس العلا والدين % أبي سعيد سنقرا)
(مولى حوى كل العلا % وسؤدد من معشر فرسان)
(وقد صفا ثم حلا في المورد % للمعصر والعاني)
ومنها
(غدا منادينا محكما فينا % يقضي علينا الأسى لولا تأسينا)
(بحر الهوى يغرق % من فيه جهلا عام)
(وناره تحرق % من هم أوقد هام)
(وربما يقلق % فتى عليه نام)
(قد غير الأجسام وصير الأيام % سودا وكانت بكم بيضا لياليا)
(يا صاحب النجوى % قف واستمع مني)
(إياك أن تهوى % إن الهوى يضني)
(لا تقرب البلوى % اسمع وقل عني)
(بحاره مره خضنا على غره % حينا فقام بها للنعي ناعينا)
(من هام بالغيد % لاقى بهم هما)
.263
(بذلت مجهودي % لأحور ألمى)
(فهم بالجود % ورد ما هما)
(وعندما قد جاد بالوصل أو قد كاد % أضحى التنائي بديلا من تدانينا)
(بحق ما بيني % وبينكم إلا)
(أقررتم عيني % فتجمعوا الشملا)
(فالعيش بالبين % بفقدكم أبلى)
(جديد ما قد كان بالأهل والإخوان % ومورد اللهو صاف من تصافينا)
(يا جيرة بانت % عن مغرم صب)
(لعهده خانت % من غير ما ذنب)
(ما هكذا كانت % عوائد العرب)
(لا تحسبوا البعدا يغير العهدا % إذ طالما غير النأي المحبينا)
(يا نازلا بالبان % بالشفع والوتر)
(والنمل والفرقان % والليل إذا يسري)
(وسورة الرحمن % والنحل والحجر)
(هل حل في الأديان أن يقتل الظمآن % من كان صرف الهوى والود

يسقينا)
(يا سائل القطر % عرج على الوادي)
(من ساكني بدر % وقف بهم نادي)
(عسى صبا تسري % لمغرم صادي)
.264
(إن شئت تحيينا بلغ تحايينا % من لو على البعد حيا كان يحيينا)
(وافت لنا أيام % كأنها أعوام)
(وكان لي أعوام % كأنها أيام)
(تمر كالأحلام % بالوصل لي لو دام)
(والكأس مترعة حثت مشعشعة % فينا الشمول وغنانا مغنينا)
ومنها
(ما أخجل قده غصون البان % بين الورق)
(إلا سلب المها مع الغزلان % سود الحدق)
(قاسوا غلطا من حاز حسن البشر %)
(بالبدر يلوح في دياجي الشعر %)
(لا كيد ولا كرامة للقمر %)
(الحب جماله مدى الأزمان % معناه بقي)
(وازداد سنا وخص بالنقصان % بدر الأفق)
(الصحة والسقام في مقلته %)
(والجنة والجحيم في وجنته %)
(من شاهده يقول من دهشته %)
(هذا وأبيك فر من رضوان % تحت الغسق)
(للأرض يعيذه من الشيطان % رب الفلق)
.265
(قد أنبته الله نباتا حسنا %)
(وازداد على المدى سناء وسنا %)
(من جاد له بروحه ما غبنا %)
(قد زين حسنه مع الإحسان % حسن الخلق)
(لو رمت لحسنه مليحا ثان % لم يتفق)
(في نرجس لحظه وزهر الثغر %)
(روض نضر قطافه بالنظر %)
(قد دبج خده نبات الشعر %)
(فالورد حواه ناعم الريحان % بالطل سقي)
(والقد يميل ميلة الأغصان % للمعتنق)
(أحيا وأموت في هواه كمدا %)
(من مات جوى في حبه قد سعدا %)

(يا عاذل لا أترك وجدي أبدا %)
(لا تعذلني فكلما تلحاني % زادت حرقي)
(يستأهل من يهم بالسلوان % ضرب العنق)
(القد وطرفه قناة وحسام %)
(والحاجب واللحاظ قسي وسهام %)
(والثغر مع الرضاب كأس ومدام %)
(والدر منظم مع المرجان % في فيه نقي)
(قد رصع فوقه عقيق قان % نظم النسق)
.266
ومنها
(قالوا سلا واسترد مضناه % قلبا أخذا)
(لا والذي لا إله إلا هو % ما كان كذا)
(عشقته كوكبا من الصغر % أأترك الوجد وهو كالقمر)
(دبج ديباجته بالشعر % بدت طرازا كالرقم بالإبر)
(لا والذي زانه فأعطاه % حسنا وشذا)
(على البرايا إنه الله % ما كان كذا)
(ولو تقاس الكئوس بالثغر % وبالثنايا الحباب كالدرر)
(لفضل الثغر صحة النظر % والصرف في مطعم وفي عطر)
(لو قيس ما فاق من حمياه % أو ما نبذا)
(إلى رضاب حوته عيناه % ما كان كذا)
(كل دم الناس فوق وجنته % قد سفكتها سهام مقلته)
(العفو من نبلها وحدته % لو صب بهرام كل جعبته)
(واختار من نبلها ونقاه % سهما نفذا)
(في الأرض من حرقة رماياه % ما كان كذا)
(وسودها يا حليم خذ بيدي % أمضي من البيض مع بني أسد)
(لو قيس ما فك محكم الزرد % من كل ماضي القرون غير صد)
(إلى حسام نضته عيناه % ماض شحذا)
(على مسن أبدته صدغاه % ما كان كذا)
(قد سبى الظبي حسن لفتته % كما سبى الغصن حسن خطرته
.267
(والشمس خجلى من حسن طلعته % والبدر في حسنه وبهجته)
(لو قيس أيضا إلى محياه % في الحسن إذا)
(حفت به هالة عذاراه % ما كان كذا)

1330 محمد بن محمد بن أحمد بن عبد الله القاضي نجم الدين أبو حامد بن جمال الدين ابن الشيخ محب الدين الطبري الآملي

قاضي مكة شرفها الله
ولد سنة ثمان وخمسين وستمائة
وسمع من عم جده يعقوب بن أبي بكر الطبري ومن جده وغيرهما
وله إجازة من الحافظ أبي بكر بن مسدي
كان فقيها شاعرا
توفي سنة ثلاثين وسبعمائة
ومن شعره
(أشبيهة البدر التمام إذا بدا % حسنا وليس البدر من أشباهك)
(مأسور حسنك إن يكن متشفعا % فإليك في الحسن البديع بجاهك)
.268
(أشفى أسى أعيا الأساة دواؤه % وشفاه يحصل بارتشاف شفاهك)
(فصليه واغتنمي بقاء حياته % لا تقطعيه جفا بحق إلاهك)

1331 محمد بن محمد بن محمد بن أحمد بن عبد الله بن محمد ابن يحيى بن سيد الناس

الحافظ الأديب فتح الدين أبو الفتح بن الفقيه أبي عمرو بن الحافظ أبي بكر اليعمري الأندلسي الأشبيلي ثم المصري
أجاز له النجيب الحراني وحضر على الشيخ شمس الدين بن العماد الحنبلي
وسمع من قطب الدين بن القسطلاني ومن غازي الحلاوي وابن خطيب المزة وخلق
.269
قال شيخنا الذهبي كان صدوقا في الحديث حجة فيما ينقله له بصر نافذ بالفن وخبرة بالرجال وطبقاتهم ومعرفة بالاختلاف
وقال الشيخ علم الدين البرزالي كان أحد الأعيان معرفة وإتقانا وحفظا وضبطا للحديث وتفهما في علله وأسانيده عالما بصحيحه وسقيمه مستحضرا للسيرة له حظ وافر من العربية وله الشعر الرائق والنثر الفائق
وقال ابن فضل الله في مسالك الأبصار أحد أعلام الحفاظ وإما أهل الحديث الواقفين فيه بعكاظ البحر المكثار والحبر في نقل الآثار وله أدب أسلس قيادا من الغمام بأيدي الرياح وأسلم مرادا من الشمس في ضمير الصباح
وقال الشيخ صلاح الدين الصفدي كان حافظا بارعا متوعلا هضبات الأدب عارفا متفننا بليغا في إنشائه ناظما ناثرا مترسلا لم يضم الزمان مثله في أحشائه خطه أبهج من حدائق الأزهار وآنق من صفحات الخدود المطرز وردها بآس العذار
قلت مولده في ذي الحجة سنة إحدى وسبعين وستمائة

وكان من بيت رياسة وعلم ولجده مصنف في منع بيع أمهات الأولاد في مجلد ضخم يدل على علم عظيم
وصنف الشيخ فتح الدين كتابا في المغازي والسير سماه عيون الأثر أحسن فيه ما شاء
270.
وشرح من الترمذي قطعة وله تصانيف أخر ونظم كثير
ولما شغرت مشيخة الحديث بالظاهرية بالقاهرة وليها الشيخ الوالد ودرس بها فسعى فيها الشيخ فتح الدين وساعده نائب السلطنة إذ ذاك ثم لم يتجاسروا على الشيخ فأرسل الشيخ فتح الدين إلى الشيخ يقول له أنت تصلح لكل منصب في كل علم وأنا إن لم يحصل لي تدريس حديث ففي أي علم يحصل لي التدريس فرق عليه الوالد وتركها له فاستمر بها إلى أن مات في حادي عشر شعبان سنة أربع وثلاثين وسبعمائة
ومن شعره
(يا كاتم الشوق إن الدمع مبديه % حتى يعيد زمان الوصل مبديه)
(أصبو إلى البان بانت عنه هاجرتي % تعللا بليالي وصلها فيه)
(عصر مضى وجلابيب الصبا قشب % لم يبق من طيبه إلا تمنيه)
(لو دام عهد اللوى لم تلو ماطلتي % دينا تقضى زماني في تقاضيه)
ومنه
(عهدي به والبين ليس يروعه % صب براه نحوله ودموعه)
271.
(لا تطلبوا في الحب ثأر متيم % فالموت من شرع الغرام شروعه)
(عن ساكن الوادي سقته مدامعي % حدث حديثا طاب لي مسموعه)
(أفدي الذي عنت البدور لوجهه % إذ حل معنى الحسن فيه جميعه)
(البدر من كلف به كلب به % والغصن من عطف عليه خضوعه)
(لله معسول المراشف واللمى % حلو الحديث ظريفه مطبوعه)
(دارت رحيق سلافه فلنا بها % سكر يجل عن المدام صنيعه)
(يجني فأضمر عتبه فإذا بدا % فجماله مما جناه شفيعه)
ومنه
(قضى ولم يقض من أحبابه أربا % صب إذا مر خفاق النسيم صبا)
(راض بما صنعت أيدي الغرام به % فحسبه الحب ما أعطى وما سلبا)
(ما مات من مات في أحبابه كلفا % ولا قضى بل قضى الحق الذي وجبا)
(فالسحب تبكيه بل تسقيه هامية % وكيف تبكي محبا نال ما طلبا)

.272
(والغصن نشوان يثنيه الغرام به % كأنه منحميا وجده شربا)
(وطوقت جيدها الورقاء واختضبت % له وغنت على أعوادها طربا)
(ومالت الدوحة الغناء راقصة % تصبو وتنثر من أوراقها ذهبا)
(والروض حمل أنفاس النسيم شذا % أزهاره راجيا من قربه سببا)
(فرقاه الورد فاستغى به وثنى % عطفا عليه ومن رجع الجواب أبى)

(ففارقت روضها الأزهار واتخذت % نحو الرسول سبيلا وابتغت سربا)

منها
(لو لم يكن بابلي الريق مبسمه % لما اكتسى ثغره من دره حببا)
(للأقحوانة مما فيه منظرها % ولم تنل مثله عرفا ولا ضربا)
(والبرق يخفق لما شام بارقه % فالمزن تبكي له إذ أعوز الشنبا)
(من لي وللكبد الحرى وللمقلة العبرى % استهلت وسحت دمعها سحبا)
(ومن لمضنى إذا لج السقام به % والحب لم يلق إلا روحه سلبا)

.273

1332 محمد بن محمد بن محمد بن الحسن بن أحمد بن نباته

أديب العصر الشيخ جمال الدين ابن شيخنا الشيخ شمس الدين المحدث
حامل لواء الشعراء في زمانه ما رأينا أشعر منه ولا أحسن نثرا ولا أبدع خطا له فنون ثلاث لم نر من لحقه ولا قاربه فيها سبق الناس إلى حسن النظم فما لحقه لاحق في شيء منه وإلى أنواع النثر فما قاربه مقارب إلى ذرة منه وإلى بارعة الخط فما قدر معارض على أن يحكي له خطا أو يجاريه في أصول كتابته وإسجامها وجراياتها
مولده بالقاهرة سنة ست وثمانين وستمائة ومات بها سنة ثمان وستين وسبعمائة

.274

1333 محمد بن محمد بن محمد الشيخ فخر الدين الصقلي

مصنف التنجيز في الفقه وهو التعجيز إلا أنه يزيد فيه تصحيح الخلاف وبعض قيود
كان فقيها دينا ورعا تفقه على الشيخ قطب الدين السنباطي
وولي القضاء ببعض جوانب القاهرة
ومات في خامس عشر ذي القعدة سنة سبع وعشرين وسبعمائة

1334 محمد بن محمد الرازي الشيخ العلامة قطب الدين

المعروف بالتحتاني
إمام مبرز في المعقولات اشتهر اسمه وبعد صيته
.275
ورد إلى دمشق في سنة ثلاث وستين وسبعمائة
وبحثنا معه فوجدناه إماما في المنطق والحكمة عارفا بالتفسير
والمعاني والبيان مشاركا في النحو يتوقد ذكاء
وله على الكشاف حواش مشهورة وشرح الشمسية في المنطق
توفي في سادس عشر ذي القعدة سنة ست وستين وسبعمائة بظاهر
دمشق عن نحو أربع وسبعين سنة
1335 محمد بن يوسف بن عبد الله بن محمود الجزري ثم المصري أبو عبد الله
الخطيب بالجامع الصالحي بمصر ثم بالجامع الطولوني
سمع من أبي المعالي أحمد بن إسحاق الأبرقوهي
وكان إماما في الأصلين والفقه والنحو والمنطق والبيان والطب
درس بالمعزية بمصر والشريفية بالقاهرة
وشرح منهاج البيضاوي في أصول الفقه وشرح أسولة القاضي سراج الدين في التحصيل وتكلم عليها
قرأ عليه الشيخ الإمام الوالد رحمه الله علم الكلام
.276
مولده بجزيرة ابن عمر في سنة سبع وثلاثين وستمائة
وتوفي بمصر في سادس ذي القعدة سنة إحدى عشرة وسبعمائة
1336 محمد بن يوسف بن علي بن يوسف بن حيان النفزي الأندلسي الجياني الأصل الغرناطي المولد والمنشأ المصري الدار شيخنا وأستاذنا أبو حيان
شيخ النحاة العلم الفرد والبحر الذي لم يعرف الجزر بل المد سيبويه الزمان والمبرد إذا حمي الوطيس بتشاجر الأقران
وإمام النحو الذي لقاصده منه ما يشاء ولسان العرب الذي لكل سمع لديه الإصغاء
كعبة علم تحج ولا تحج ويقصد من كل فج
تضرب إليه الإبل آباطها وتفد عليه كل طائفة سفرا لا يعرف إلا نمارق البيد بساطها
.277
وكان عذبا منهلا وسيلا يسبق ارتداد الطرف وإن جاء منهملا
يعم المسير إليه الغدو والرواح ويتنافس على أرج ثنائه مسك الليل وكافور الصباح
ولقد كان أرق من النسيم نفسا وأعذب مما في الكؤوس لعسا

طلعت شمسه من مغربها واقتعد مصر فكان نهاية مطلبها
وجلس بها فما طاف على مثله سورها ولا طار إلا إليه من طلبة العلم قشاعمها ونسورها
وازدهرت به ولا ازدهاءها بالنيل وقد رواها وافتخرت به حتى لقد لعبت بأغصان البان مهاب صباها
مولده بمطخشارش وهي مدينة مسورة من أعمال غرناطة في أخريات شوال سنة أربع وخمسين وستمائة
ونشأ بغرناطة وقرأ بها القراآت والنحو واللغة وجال في بلاد المغرب ثم قدم مصر قبل سنة ثمانين وستمائة
وسمع الكثير سمع بغرناطة الأستاذ أبا جعفر بن الزبير
278. وأبا جعفر بن بشير وأبا جعفر بن الطباع وأبا علي بن أبي الأحوص وغيرهم
وبمالقة أبا عبد الله محمد بن عباس القرطبي وببجاية أبا عبد الله محمد بن صالح الكناني وبتونس أبا محمد عبد الله بن هارون وغيره وبالأسكندرية عبد الوهاب ابن حسن بن الفرات وبمكة أبا الحسن علي بن صالح الحسيني وبمصر عبد العزيز الحراني وابن خطيب المزة وغازي الحلاوي وخلقا
ولازم الحافظ أبا محمد الدمياطي وانتقى على بعض شيوخه وخرج وشغل الناس بالنحو والقراآت
سمع عليه الجم الغفير
وأخذ عنه غالب مشيختنا وأقراننا منهم الشيخ الإمام الوالد وناهيك بها لأبي حيان منقبة وكان يعظمه كثيرا وتصانيفه مشحونة بالنقل عنه
ولما توجهنا من دمشق إلى القاهرة في سنة اثنتين وأربعين وسبعمائة ثم أمرنا السلطان بالعود إلى الشام لانقضاء ما كنا توجهنا لأجله استمهله الوالد أياما لأجلي فمكث حتى أكملت على أبي حيان ما كنت أقرؤه عليه وقال لي يا بني هو غنيمة ولعلك لا تجده من سفرة أخرى وكان كذلك
279.
وكان الشيخ أبو حيان إماما منتفعا به اتفق أهل العصر على تقديمه وإمامته ونشأت أولادهم على حفظ مختصراته وآباؤهم على النظر في مبسوطاته وضربت الأمثال باسمه مع صدق اللهجة وكثرة الإتقان والتحري
وشدا طرفا صالحا من الفقه واختصر منهاج النووي وصنف التصانيف السائرة البحر المحيط في التفسير وشرح التسهيل والارتشاف وتجريد أحكام سيبويه والتذكرة والغاية والتقريب والمبدع واللمحة وغير ذلك وله في القراآت عقد اللآلي

وله نظم كثير وموشحاته أجود من شعره
توفي عشي يوم السبت الثامن والعشرين من صفر سنة خمس وأربعين وسبعمائة بمنزله بظاهر القاهرة ودفن بمقابر الصوفية

ومن الرواية عنه

أخبرنا شيخنا أبو حيان بقراءتي عليه في يوم الخميس سابع عشري شوال سنة اثنتين وأربعين وسبعمائة بالمدرسة الصالحية بالقاهرة
أخبرنا أبو عبد الله محمد بن أحمد
280. ابن محمد بن المؤيد الهمذاني بقراءتي عليه أخبرنا أسعد بن أبي الفتوح بن روح وعفيفة بنت أحمد بن عبد الله في كتابيهما قالا أخبرتنا فاطمة الجوزدانية أخبرنا ابن ريذة أخبرنا الطبراني حدثنا جعفر بن حميد بن عبد الكريم بن فروخ بن ديزج بن بلال بن سعد الأنصاري الدمشقي حدثني جدي لأمي عمر بن أبان بن مفضل المديني قال أراني أنس بن مالك الوضوء أخذ ركوة فوضعها عن يساره وصب على يده اليمنى فغسلها ثلاثا ثم أدار الركوة على يده اليمنى وصب على يده اليسرى فغسلها ثلاثا ومسح برأسه ثلاثا فتوضأ وأخذ ماء جديدا لصماخه فمسح صماخه فقلت له قد مسحت أذنيك فقال يا غلام إنهما من الرأس ليس هما من الوجه ثم قال يا غلام هل رأيت وفهمت أو أعيد عليك فقلت قد كفاني وقد فهمت قال فكذا رأيت رسول الله يتوضأ
في إسناده شيخ الطبراني وشيخه عمر بن أبان وهما مجهولان
ولو صح لكان بتصريحه أنهما من الرأس أقوى دليل على ذلك
قال أستاذنا أبو حيان قول أنس ليس هما من الوجه وجه الكلام أن يقول ليستا من الوجه لكنه جعل ليس مثل ما فلم يعملها وذلك
281. في لغة تميم يقولون ليس الطيب إلا المسك
وقد أشار لذلك سيبويه في كتابه ونص عليه أبو عمرو بن العلاء في حكاية طويلة جرت بينه وبين عيسى بن عمر الثقفي
وقال النحويون قياس من لم يعمل ليس وجعلها كما أن يفصل الضمير معها فيقول ليس أنا قائم كما تقول ما أنا قائم فعلى هذا جاز ليس هما من الوجه كأنه قال ما هما من الوجه
قلت صورة الحكاية أن عيسى قال لأبي عمرو ما شيء بلغني عنك
قال ما هو
قال زعمت أن العرب تقول ليس الطيب إلا المسك فترفع
فقال أبو عمرو ليس في الأرض تميمي إلا وهو يرفع ولا حجازي إلا وهو ينصب
ثم بعث معه خلفا الأحمر واليزيدي فجاءا إلى حجازي فجهدا به على أن يرفع فلم يفعل وجاءا إلى رجل تميمي فجهدا به على أن ينصب فلم

يفعل وقال ليس هذا بلحن قومي
فجاء عيسى إلى أبي عمرو فقال بهذا فقت الناس والله لا خالفتك بعدها
وقول الشيخ أبي حيان إن أنسا جعل ليس مثل ما قال الشيخ جمال الدين عبد الله بن هشام نحوي هذا الوقت أبقاه الله تعالى ليس ذلك متعينا بل يجوز أن يكون أضمر في ليس ضمير الشأن والحديث وحينئذ فنقول هما من الوجه مبتدأ وخبر والجملة خبر ليس وفصل الضمير واجب لأنه حينئذ معمول للابتداء
282. كما أنه في تخريج أبي حيان كذلك والتخريج الذي ذكرته أولى لأن فيه إبقاء ليس على إعمالها والوجهان مذكوران في قوله
(وليس منها شفاء النفس مبذول %)
وقول أبي حيان إن ذلك لغة بني تميم وإشارته إلى الحكاية ليس بجيد فإن تلك اللغة والحكاية إنما هما فيما إذا انتقض النفي بإلا نحو ليس الطيب إلا المسك وإنما مسئلتنا هذه أن من العرب من يقول ليس زيد قائم فيبطل عملها مع بقاء النفي وهذا الذي يتخرج عليه قول أنس رضي الله عنه وقد مر بي في شرح التصريف الملوكي ليعيش بيت نظير قول أنس رضي الله عنه وهو
(أبوك يزيد بن الوليد ومن يكن % هما أبواه لا يذل ويكرما)
فهنا يتعين أن تكون كان شأنية والجملة بعدها خبر وأن تكون مهملة وما بعدها مبتدأ وخبر ولا يكون قوله هما اسما ليكن لأنه قد فصله ولأن بعده أبواه بالألف وقد يجاب عن هذا بأنه يحتمل أن يكون على لغة (^ إن هذان لساحران)
قرأت على الأستاذ أبي حيان أخبركم القاضي أبو علي الحسن بن عبد العزيز بن محمد بن أبي الأحوص عن قاضي الجماعة أبي القاسم أحمد بن يزيد بن عبد الرحمن بن أحمد
283. ابن محمد بن أحمد بن مخلد بن عبد الرحمن بن أحمد بن تقي بن مخلد ابن يزيد القرطبي عن أبيه عن أبيه عن أبيه عن أبيه عن أبيه عن أبيه عن أبيه عن أبيه عن أبيه الإمام أبي عبد الرحمن بقي بن مخلد عن أبي بكر المقدمي عن عمر بن علي وعبد الله بن يزيد عن عبد الرحمن بن زياد عن عبد الرحمن بن رافع عن عبد الله بن عمرو أن النبي مر بمجلسين أحد المجلسين يدعون الله ويرغبون إليه والآخر يتعلمون العلم ويعلمونه فقال (كل المجلسين خير وأحدهما أفضل من الآخر أما هؤلاء فيتعلمون ويعلمون الجاهل فهم أفضل وأما هؤلاء فيدعون الله ويرغبون إليه إن شاء أعطاهم وإن شاء منعهم وإنما بعثت معلما) ثم جلس معهم
قلت لا أعرف حديثا اجتمع فيه رواية الأبناء عن الآباء بعدد ما اجتمع

في هذا إلا ما أخبرنا به أبو الحسن محمد بن محمد بن الحسن بن نباتة الفارقي المصري المحدث بقراءتي عليه أخبرنا أبو المعالي أحمد بن إسحاق الأبرقوهي أخبرنا أبو بكر عبد الله بن محمد بن سابور القلانسي أخبرنا أبو المبارك عبد العزيز بن محمد بن منصور الشيرازي أخبرنا رزق الله بن عبد الوهاب التميمي إملاء سمعت أبي أبا الفرج عبد الوهاب يقول سمعت أبي أبا الحسن عبد العزيز يقول سمعت أبي أبا بكر الحارث يقول سمعت أبي أسدا يقول سمعت أبي الليث يقول سمعت أبي سليمان يقول سمعت أبي الأسود

284. يقول سمعت أبي سفيان يقول سمعت أبي يزيد يقول سمعت أبي أكتمة يقول سمعت أبي الهيثم يقول سمعت أبي عبد الله يقول سمعت رسول الله يقول (ما اجتمع قوم على ذكر الله إلا حفتهم الملائكة وغشيتهم الرحمة)

أخبرنا أبو حيان بقراءتي عليه عن القاضي الأصولي المتكلم على مذهب الأشعري أبي الحسن محمد بن أبي عامر بن أبي الحسين القرطبي عن أبي الحسن علي بن أحمد الغافقي الشقوري عن القاضي أبي الحسن شريح بن محمد بن شريح قال كتب إلي الحافظ أبو محمد علي بن أحمد بن حزم الظاهري وأنشد لنفسه هذا

285.

(من عذيري من أناس جهلوا % ثم ظنوا أنهم أهل النظر)
(ركبوا الرأي عنادا فسروا % في ظلام تاه فيه من عبر)
(وطريق الحق نهج مهيع % مثل ما أبصرت في الأفق القمر)
(فهو للإجماع والنص الذي % ليس إلا في كتاب أو أثر)

أنشدني شيخنا أبو حيان لنفسه بقراءتي عليه

(عداتي لهم فضل علي ومنة % فلا أذهب الرحمن عني الأعاديا)
(هم بحثوا عن كلتي فاجتنبتها % وهم نافسوني فاكتسبت المعاليا)

وأنشدني لنفسه بقراءتي عليه أيضا

(راض حبيبي عارض قد بدا % يا حسنه من عارض رائض)
(وظن قوم أن قلبي سلا % والأصل لا يعتد بالعارض)

وأيضا

(سبق الدمع بالمسير المطايا % إذ نوى من أحب عني نقله)
(وأجاد السطور في صفحة الخد % ولم لا يجيد وهو ابن مقله)

286.

وأيضا

(يظن الغمر أن الكتب تجدي % أخا ذهن لإدراك العلوم)
(وما يدري الجهول بأن فيها % غوامض حيرت عقل الفهيم)
(إذا رمت العلوم بغر شيخ % ضللت عن الصراط المستقيم)

(وتلتبس الأمور عليك حتى % تصير أضل من توما الحكيم)
وأيضا
(قد سباني من بني الترك رشا % جوهري الثغر مسكي النفس)
(ناظري للورد منه غارس % ما له لا يجتني مما غرس)
(قد حكى شمسا وغصنا ونقا % في انبلاج وارتجاج وميس)
(ضيق العينين تركيهما % واسع الوجنة خزي المجس)
(أصبحت عقرب خديه معا % لجني الورد في الخد حرس)
(وغدا ثعبان دبوقته % جائلا في عطفه مهما ارتجس)
(لست أخشى سيفه أو رمحه % إنما أرهب لحظا قد نعس)
(اختلسنا بعد هجر وصله % إن أهنى الوصل ما كان خلس)
(لست أنساه وقد أطلع من % راحه شمسا أضاءت في الغلس)
.287
(ورمى العمة فالتاج لنا % فرق شعر دق مبد ما التبس)
(لمس الكأس لكي يشربها % وتحسى الكأس في فرد نفس)
(وغدا يمسح بالمنديل ما % أبقت الخمرة في ذاك اللعس)
(عجبا منها ومنه قهقهت % إذ حساها وهو منها قد عبس)
فهذه نبذة من مقروآتي على شيخنا أبي حيان
وأنشدنا لنفسه ما مدحني بهما وأنا ابن ثلاث سنين وهما عندي بخطه وعليهما خط الوالد رحمه الله
(ألا إن تاج الدين معارف % وبدر هدى تجلى به ظلم الدهر)
(سليل إمام قل في الناس مثله % فضائله تربو على الزهر والزهر)
وأنشدنا لنفسه إجازة إن لم يكن سماعا قصيدته التي امتدح بها الشافعي رضي الله عنه ومطلعها
(غذيت بعلم النحو إذ در لي ثديا % فجسمي به ينمي وروحي به تحيا)
(وقد طال تضرابي لزيد وعمره % وما اقترفا ذنبا ولا تبعا غيا)
(وما نلت من ضربيهما غير شهرة % بغن ما يجدي اشتهار به شيا)
(ألا إن علم النحو قد باد أهله % فما إن ترى في الحي من بعدهم حيا)
.288
(سأتركه ترك الغزال لظله % وأبعه هجرا وأوسعه نأيا)
(وأسموا إلى الفقه المبارك إنه % ليرضيك في الأخرى ويحظيك في الدنيا)
(هل الفقه إلا أصل دين محمد % فجرد له عزما وجدد له سعيا)
(وكن تابعا للشافعي وسالكا % طريقته تبلغ به الغاية القصيا)
(ألا بابن إدريس قد اتضح الهدى % وكم غامض أبدا وكم دارس أحيا)

(سمي الرسول المصطفى وابن عمه % فناهيك مجدا قد سما الرتبة العليا)
(هو استنبط الفن الأصولي فاكتسى % به الفقه من ديباج إنشائه وشيا)
وهي قصيدة مطولة
وقصيدته التي امتدح بها البخاري رضي الله عنه ومطلعها
(أسامع أخبار الرسول لك البشرى % لقد سدت في الدنيا وقد فزت بالأخرى)
وأنشدنا لنفسه إجازة قصيدته التي عارض بها بانت سعاد ومطلعها
(لا تعذلاه فما ذو الحب معذول % العقل مختبل والقلب متبول)
(هزت له أسمرا من خوط قامتها % فما انثنى الصب إلا وهو مقتول)
289.
(جميلة فصل الحسن البديع لها % فكم لها جمل منه وتفصيل)
(فالنحر مرمرة والنشر عنبرة % والثغر جوهرة والريق معسول)
(والطرف ذو غنج والعرف ذو أرج % والخصر مختطف والمتن مجدول)
(هيفاء ينبس في الخصر الوشاح لها % درماء يخرس في الساق الخلاخيل)
(من اللواتي علاهن النعيم فما % يشقين آباؤها الصيد البهاليل)
ومنها
(نزر الكلام عييات الجواب إذا % يسألن رقد الضحى حصر مكاسيل)

(فشق حيزوم هذا الليل ممتطيا % أخا حزام به قد يبلغ السول)
(أقب أقود يعزى للوجيه له % وجه أغر وفي الرجلين تحجيل)
منها
(جفر حوافره معر قوائمه % ضمر أياطله والذيل عثكول)
290.
منها
(واصل سراك بسير يا ابن أندلس % والطرف أدهم بالأشطان مغلول)
(يلاطم الريح منه أبيض يقق % له من السحر المربد إكليل)
(يعلو خضارة منه شامخ جلل % سام طفا هو بالنكباء محمول)
(كأنما هو في طخياء لجته % أيم يفري أديم الماء شمليل)
منها
(فللرسول انشقاق البدر يشهده % كما لموسى انفلاق البحر منقول

)
ومن موشحاته
(إن كان ليل داج وخاننا الإصباح % فنورها الوهاج يغني عن المصباح)

(سلافة تبدو % كالكوكب الأزهر)
(مزاجها شهد % وعرفها عنبر)
(يا حبذا الورد % منها وإن أسكر)
(قلبي بها قد هاج فما تراني صاح % عن ذلك المنهاج وعن هوى يا صاح)
(وبي رشا أهيف % قد لج في بعدي)
(بدر فلا يخسف % منه سنا الخد)
(بلحظه المرهف % يسطو على الأسد)
.291
(كسطوة الحجاج في الناس والسفاح % فما ترى من ناج من لحظة السفاح)
(علل بالمسك % قلبي رشا أحور)
(منعم المسك % ذو مبسم أعطر)
(رياه كالمسك % وريقه كوثر)
(غصن على رجراج طاعت له الأرواح % فحبذا الآراج إن هبت الأرواح)
(مهلا أبا القاسم % على أبي حيان)
(ما إن له عاصم % من لحظك الفتان)
(وهجرك الدائم % قد طال بالهيمان)
(فدمعه أمواج وسره قد لاح % لكنه ما عاج ولا أطاع اللاح)
(يا رب ذي بهتان % يعذل في الراح)
(وفي هوى الغزلان % دافعت بالراح)
(وقلت لا سلوان % عن ذاك يا لاحي)
(سبع الوجوه والتاج هي منية الأفراح % فاختر لي يا زجاج قمصال وزوج أقداح)
.292
غيره
(عاذلي في الأهيف الأنس % لو رآه كان قد عذرا)
(رشأ قد زانه الحور % غصن من فوقه قمر)
(قمر من سحبه الشعر % ثغر في فيه أم درر)
(حال بين الدر واللعس % خمرو من ذاقها سكر)
(رجة بالردف أم كسل % ريقه بالثغر أم عسل)

(وردة بالخد أم خجل % كحل بالعين أم كحل)
(يا لها من أعين نعس % جلبت لناظري سهرا)
(مذ نأى عن مقلتي سني % ما أذيقا لذة الوسن)
(طال ما ألقاه من شجن % عجبا ضدان في بدن)
(بفؤادي جذوة القبس % وبعيني الماء منفجرا)
(قد أتاني الله بالفرج % إذ دنا مني أبو الفرج)
(قمر قد حل في المهج % كيف لا يخشى من الوهج)
(غيره لو صابه نفسي % ظنه من حره شررا)
(نصب العينين لي شركا % فانثنى والقلب قد ملكا)

.293

(قمر أضحى له فلكا % قال لي يوما وقد ضحكا)
(أنت جئت من أرض أندلس % نحو مصر تعشق القمرا)

ومن المسائل عنه

منع الشيخ أبو حيان أن يقال ما أعظم الله وما أحلم الله ونحو ذلك ونقل هذا عن أبي الحسن ابن عصفور احتجاجا بأن معناه شيء عظمه أو حلمه
وجوزه الإمام الوالد محتجا بقوله تعالى (^ أبصر به وأسمع) والضمير في (^ به) عائد على الله أي ما أبصره وأسمعه فدل على جواز التعجب في ذلك
وللوالد تصنيف في تجويز ذلك أحسن القول فيه
قلت وفي شرح ألفية ابن معطي لأبي عبد الله محمد بن إلياس النحوي وهو متأخر من أهل حماة سأل الزجاج المبرد فقال كيف تقول ما أحلم الله وما أعظم الله
فقال كما قلت
فقال الزجاج وهل يكون شيء حلم الله أو عظمه
فقال المبرد إن هذا الكلام يقال عندما يظهر من اتصافه تعالى بالحلم والعظمة وعند الشيء يصادف من تفضله فالمتعجب هو الذاكر له بالحلم والعظمة عند رؤيته إياهما عيانا

.294

وقد نقل الوالد معنى هذه الحكاية في تصنيفه عن كتاب الإنصاف لابن الأنباري وذكر من التأويل أن يعني بالشيء نفسه أي إنه عظم نفسه أو إنه عظيم بنفسه لا شيء جعله عظيما

ومن الفوائد عنه

أفادنا شيخنا أبو حيان أن أبا الحسن حازم بن أبي عبد الله بن حازم

كان نحويا أديبا بارعا شاعرا مفلقا امتدح بعض خلفاء الغرب الذين ملكوا مدينة تونس بقصيدة طنانة ضمنها علم النحو أولها

(الحمد لله معلي قدر من علما % وجاعل العقل في سبل الهدى علما)

(ثم الصلاة على الهادي لسنته % محمد خير مبعوث به اعتصما)

منها يمتدح الخليفة

(مردي العداة بسهم من عزائمه % كأنه كوكب للقذف قد رجما)

(أدام قول نعم حتى إذا اطردت % نعماه من غير وعد لم يقل نعما)

منها

(إن الليالي والأيام مذ خدمت % بالسعد ملكك أضحت أعبدا وإما)

(لقد وقعت عمادا للعلا فغدا % يعلو قياما ويعلو قدره قيما)

295.

(أقمتم وزن عدل الشمس فاعتدلت % فلم يدع نورها ظلما ولا ظلما)

منها يذكر تونس

(كأنما الصبح منها ثغر مبتسم % وحوة الليل فيها حوة ولمى)

منها

(أبدلت تفقية من بيت ممتدح % أوردته مثلا في رعيك الأمما)

(وكلت بالدهر عينا غير غافلة % من جود كفك تأسو كل من كلما)

منها من باب المعتدي لاثنين

(فباب أعطى كسا منه ومنه سقى % كما تقول سقاك الله صوب سما)

(ومنه أولى وآتى مثل قولهم % أولاك ربي نعيم العيش والنعما)

من باب المعتدي لثلاثة

(وقاس بالهمزة النقل ابن مسعدة % في باب ظن وفيها خالف القدما)

من باب كان وأخواتها

(تقول ما زلت مفضالا وما برحت % منك السجايا توالي الجود والكرما)

من باب الاستثناء

(والقول في باب الاستثناء متسع % وقد يخالف فيه جلة الزعما)

296.

(وقد تبله قوم فيه لا سيما % من عد بله في الاستثنا ولا سيما)

من نواصب الفعل

(واعدد لكيلا وكيلا ثم كي ولكي % وليس يمنع من نصب زيادة ما)

منها

(والعرب قد تحذف الأخبار بعد إذا % إذا عنت فجأة الأمر الذي دهما)

(وربما نصبوا بالحال بعد إذا % وربما رفعوا من بعدها ربما)
(فإن تلاها ضميران اكتسى بهما % وجه الحقيقة من إشكاله غمما)
(لذاك أعيت على الأفهام مسألة % أهدت إلى سيبويه الهم والغمما)

(قد كانت العقرب العوجاء أحسبها % قدما أشد من الزنبور وقع حما)
(وفي الجواب عليها هل إذا هو هي % أو هل إذا هو إياها قد اختصما)

(وخطأ ابن زياد وابن حمزة في % ما قال فيها أبا بشر وقد ظلما) 297.
(وغاظ عمرا علي في حكومته % يا ليته لم يكن في مثلها حكما)
(كغيط عمرو عليا في حكومته % يا ليته لم يكن في أمره حكما)
(وفجع ابن زياد كل منتحب % من أهله إذ غدا منه يفيض دما)
(كفجعة ابن زياد كل منتحب % من أهله إذ غدا منه يفيض دما)
(فظل بالكرب مكظوما وقد كربت % بالنفس أنفاسه أن تبلغ الكظما)
(قضئت عليه بغير الحق طائفة % حتى قضى هدرا ما بينهم هدما)
(من كل أجور حكما من سدوم قضى % عمرو بن عثمان مما قد قضى سدما)
(حساده في الورى صمت فكلهم % تلفيه منتقدا للقول منتقما)
(فما النهى ذمما فيهم معارفها % وما المعارف في أهل النهى ذمما)

(فأصبحت بعده الأنفاس كابية % في كل صدر كأن قد كظ أو كظما) 298.
(وأصبحت بعده الأنقاس نادبة % في كل طرس كدمع سح وانسجما)

(وليس يخلو امرؤ من حاسد أضم % لولا التنافس في الدنيا لما أضما)
(فكم مصيب عزا من لم يصب خطأ % له وكم ظالم تلقاه مظلما)
(والغبن في العلم أشجى محنة علمت % وأبرح الناس شجوا عالم هضما)
توضيح هذه الأبيات قوله والعرب قد تحذف الأخبار بعد إذا البيت يعني أن العرب قد تحذف خبر المبتدأ الواقع بعد إذا الفجائية تقول خرجت فإذا الأسد أي حاضر والغالب أن يذكر الخبر بعدها حتى إنه لم يقع في

كتاب الله إلا مذكورا نحو (^ فإذا هي شاخصة) (^ فإذا هي حية) (^ فإذا هي بيضاء للناظرين) (^ فإذا هم جميع لدينا محضرون) وهو كثير

وقوله إذا عنت فجأة البيت أي إذا كانت إذا الفجائية لا الشرطية فإن الشرطية لا تدخل إلا على الجمل الفعلية بخلاف الفجائية فإنها تختص بالاسمية وقد اجتمعتا في قوله تعالى (^ ثم إذا دعاكم دعوة من الأرض إذا أنتم تخرجون) الأولى شرطية والثانية فجائية

299.

قوله فإن تلاها ضميران أي إن وقع بعد الفجائية ضميران نحو قولك فإذا هو هي الأصل فإذا هو مثلها فهو مبتدأ ومثل خبر وها مضاف إليه ثم حذف المضاف وأقيم المضاف إليه مقامه فارتفع وانفصل وصار فإذا هو هي

ومن قال فإذا هو إياها فالأصل فإذا هو يشبهها فهو مبتدأ ويشبهها فعل وفاعل ومفعول والجملة خبر ثم حذف الفعل والفاعل وبقي المفعول فانفصل فصار فإذا هو إياها ونظيره في حذف الخبر وبقاء معموله قراءة علي رضي الله عنه (^ ونحن عصبة) أي ونحن نوجد عصبة وقول النابغة الجعدي

(وحلت سواد القلب لا أنا باغيا % سواها ولا في حبها متراخيا)

التقدير لا أنا أوجد باغيا

قوله وغاظ عمرا علي يريد بعمرو سيبويه وبعلي الكسائي رحمهما الله

قوله كغيظ عمرو عليا يريد بعمرو عمرو بن العاص وبعلي علي بي أبي طالب رضي الله عنهما مشيرا بذلك إلى ما وقع في مسئلة التحكيم في قصة علي ومعاوية رضي الله عنهما وابتلاؤهما في ذلك وما اتفق من عمرو بن العاص في قوله أقررت معاوية بعد أن استنزل أبا موسى حتى فصل عليا مشهور

وليس قوله حكما في هذا البيت بعد قوله حكما إيطاء فإن القافيتين ليستا متوافقتين بل إحداهما حكم اسم والأخرى حكم فعل ماض

300.

وقد أخذ شاعر عصرنا الشيخ جمال الدين ابن نباتة أكثر أبيات ملحة الإعراب للحرير فضمنها وجعلها قصيدة امتدح به الشيخ الإمام الوالد وهي

(صرفت فعلي في الأسى وقولي % بحمد ذي الطول الشديد الحول)

(يا لائما ملامه يطول % اسمع هديت الرشد ما أقول)

(كلامك الفاسد لست أتبع % حد الكلام ما أفاد المستمع)

(أفدي غزالا مثلوا جماله % في مثل قد أقبلت الغزاله)
(ما قال مذ ملك قلبي واسترق % كقولهم رب غلام لي أبق)
(للقمرين وجهه مطالع % فهي ثلاث ما لهم رابع)
(لأحرف الحسن في خديه خط % وقال قوم إنها اللام فقط)
(داني المزار يحذر الضنين % عليه مثل بان أو يبين)
(كتمته فالحسن ليس يجتلى % والاسم ما يدخله من والي)
(منفرد بالوصل في دار الهنا % مثاله الدار وزيد وأنا)
(لا يختشي تلاعب الظنون % والأمر مبني على السكون)
(في خده التبري هان نشبي % وقيمه الفضة دون الذهب)
.301
(فاصرف عليه ثروة تستام % فما على صارفها ملام)
(وإن رأيت قده العالي فصف % وقف على المنصوب منه بالألف)
(والعارض النوني ما أنصفته % وإن تكن باللام قد عرفته)
(واها له بحرف نون قد عرف % كمثل ما تكتبه لا يختلف)
(يأتي بنقط الخال في إعجام % وتارة يأتي بمعنى اللام)
(دونك إن عشقته بين الورى % معظما لقدره مكبرا)
(وإن ترد وجنته المنيره % فصغر النار على نويره)
(كم ومتى جادلت فيه من عذل % ولا وحتى ثم أو وأم وبل)
(للحظه المسكر فعل مطرب % مفعوله مثل سقى ويشرب)
(فلا تلم عويشقا فيه تلف % ولا سكيران الذي لا ينصرف)
(لا تلح قلبي في الهوى فتتعبا % وما عليك عتبه فتعتبا)
(جسمي وذاك الخصر والجفن الدنف % هن حروف الاعتلال المكتنف
)
.302
(فيا مليحا عنه أخرت القمر % إما لتهوان وإما لصغر)
(كرر فما أحلى لسمع السامي % قولك يا غلام يا غلامي)
(وارفق بمضناك فما سوى اسمه % ولا تغير ما بقي من رسمه)
(وقد حكى العذار في الوقوف % فاعطف على سائلك الضعيف)
(أفقرت في الحسن الغواني مثل ما % قالوا حذام وقطام في الدما)

(فافخر بمعنى لحظك المعشوق % في كل ما تأنيثه حقيقي)
(يالك لحظا بسعاد أزرى % وجاء في الوزن مثل سكرى)
(حتى اسمها مستنقص لمن وعا % كما تقول في سعاد يا سعا)
(يا ناصبا أوصاف ذياك الصبا % ثم الكلام عنده فلينصبا)
.303
(هيهات بل دع عنك ما أضنى وما % وعاص أسباب الهوى لتسلما)

(وحبر الأمداح في علي % قاضي القضاة الطاهر النقي)
(بكل معنى قد تناهى واستوى % في كلم شتى رواها من روى)
(باكر إلى ذاك الحمى العالي وصف % إذا اندرجت قائلا ولا تقف)
(دونك والمدح زكيا معجبا % مثل لقيت القاضي المهذبا)
(ذو الجود والعلم عليه أرسى % وهكذا أصبح ثم أمسى)
(فاضرع إلى قار لقاه نافع % وافزع إلى حام حماه مانع)
(يقول للضيف قراه حب وحل % ومثله ادخل وانبسط واشرب وكل)

(إذا ظفرت عنده بموعد % يقول كم مال أفادته يدي)
(له يراع كم له من خطره % جمانة منظومة مع دره)
(شم فعله عند الندى والبأس % فإنه ماض بغير لبس)
.304
(لله ما ألينه عند العطا % وما أحد سيفه حين سطا)
(ندب له يثني الثناء قصده % وخلفه وإثره وعنده)
(إن قال قولا بين الغرائبا % وقام قس في عكاظ خاطبا)
(وإن سخا أتى على ذي العدد % والكيل والوزن ومذروع اليد)
(حفظك للسمع عن العذال % فماله مغير بحال)
(للفضل جنس بيته المهني % ونوعه الذي عليه يبنى)
(سام به أهل العلا جميعا % ولا تخف ردا ولا تقريعا)
(وإن ذكرت أفق بيت قد نما % فانصب وقل كم كوكبا تحوي السما)
(بيت نظيم المجد والعلاء % عند جميع العرب العرباء)
.305
(يقر من يأتي له أو اقترب % وكل منسوب إلى اسم في العرب)
(تقول مصر من علاه الواجبه % كقول سكان الحجاز قاطبه)
(أسسه الأنصار طلاع الفتن % وزاد مبنى حسنه أبو الحسن)
(جار إذا ما امتدت الآساد % تقول هذا طلحة الجواد)
(إذا اجتليت في الخطا جبينه % أو اشتريت في الرجا ثمينه)
(تقول أصرت الهلال لائحا % وقد وجدت المستشار ناصحا)
(كم بالغني منه تولى راحل % وواقفا بالباب أضحى السائل)
(فياض سيب في الورى فلم يقل % في هبة يا هب من هذا الرجل)
(قال له الحكم امض ما تحاوله % واقض قضاء لا يرد قائله)
(وأنت يا قاصده سر في جدد % واسع إلى الخيرات لقيت الرشد)
.306
(فاخر به سحب الحيا إن صابا % واستوت المياه والأخشايا)
(ولا تقل كان غماما ورحل % كان وما انفك الفتى ولم يزل)
(باب سواه اهجر عداك عيب % وصغر الباب فقل بويب)

(جود به أنسى أحاديث المطر % فليس يحتاج لها إلى خبر)
(مثل الهبا فيه كلام العذل % والريح تلقاء الحيا المنهل)
(يا رب بحر عمته للشعر % وغصت في البحر ابتغاء الدر)
(حتى ملا عيني نداه عينا % وطبت نفسا إذ قضيت الدينا)
(دونكها معسولة الآداب % حلاوة في ملحه الإعراب)
(مضى بها الليل بهي الأنجم % وبات زيدا ساهرا لم ينم)

.307

(فافتح لها باب قبول يجتلى % وإن تجد عيبا فسد الخللا)
(لا زلت مسموع الثنا ذا متن % جائلة دائرة في الألسن)
(ما لعداك راية تقام % فليس غير الكسر والسلام)

1337 محمد بن أبي بكر بن إبراهيم بن عبد الرحمن بن محمد بن حمدان

شيخنا قاضي القضاة شمس الدين بن النقيب
الحاكم بحمص ثم طرابلس ثم حلب ثم مدرس الشامية البرانية وصاحب النووي وأعظم بتلك الصحبة رتبة علية
وله الديانة والعفة والورع الذي طرد به الشيطان وأرغم أنفه
وكان من أساطين المذهب وجمرة نار ذكاء إلا أنها لا تتلهب
سمع من أحمد بن أبي بكر بن الحموي وأبي الحسن بن البخاري وأبي حامد ابن الصابوني وأحمد بن شيبان وزينب بنت مكي وغيرهم
مولده تقريبا في سنة اثنتين وستين وستمائة

.308

سمعته يقول قال لي النووي يا قاضي شمس الدين لا بد أن تلي تدريس الشامية فولي القضاء ثم الشامية
وكان ابن النقيب يقول إنه ما يموت إلا ليلة الجمعة فكان كذلك ووافق ثاني عشر ذي القعدة سنة خمس وأربعين وسبعمائة بالمدرسة الشامية ودفن بقاسيون
أخبرنا محمد بن أبي بكر الفقيه سماعا عليه أخبرنا أبو الحسن بن البخاري أخبرنا حنبل بن عبد الله أخبرنا هبة الله بن محمد الشيباني أخبرنا الحسن بن علي ابن المذهب أخبرنا أبو بكر بن حمدان أخبرنا عبد الله بن أحمد حدثني أبي حدثنا محمد بن جعفر حدثنا شعبة عن عبد الملك بن عمير قال سمعت عمرو بن حريث قال سمعت سعيد بن زيد رضي الله عنه يقول سمعت النبي يقول (الكمأة من المن وماؤها شفاء للعين)
وأخبرناه عاليا بدرجتين فاطمة بنت إبراهيم بن عبد الله بن أبي عمر بقراءتي عليها أخبرنا محمد بن عبد الهادي بن يوسف المقدسي كتابة عن شهدة بنت أحمد أخبرنا طراد بن محمد أخبرنا محمد بن أحمد بن

رزق أخبرنا محمد بن يحيى بن عمر الطائي أخبرنا جد أبي علي بن حرب حدثنا سفيان بن عيينة عن عبد الملك بن عمير عن عمرو بن حريث عن سعيد بن زيد عن النبي قال

.309

(الكمأة من المن الذي أنزله اله على بني إسرائيل وماؤها شفاء للعين)

أخرجه البخاري ومسلم عن أبي موسى محمد بن المثنى عن محمد بن جعفر

وأخرجه مسلم أيضا عن ابن أبي عمر عن سفيان بن عيينة فوقع لنا بدلا عاليا للبخاري ومسلم في الرواية الأولى ولمسلم وحده في الثانية

1338 محمد بن أبي بكر بن عيسى بن بدران بن رحمة قاضي القضاة علم الدين الأخنائي السعدي

حدث عن أبي بكر بن الأنماطي والأبرقوهي وابن دقيق العيد

وتولى قضاء الإسكندرية ثم لما مات الشيخ علاء الدين القونوي ولي قضاء الشام

وكان رجلا حسنا دينا محبا للعلم

استكتب شرح المنهاج للوالد رحمه الله

وبلغني عنه أنه كان يقول ما للشام قاض إلا السبكي

فهذه منه مكاشفة

.310

مولده في عاشر شهر رجب سنة أربع وستين وستمائة

وتوفي بدمشق ثالث عشر ذي القعدة سنة اثنتين وثلاثين وسبعمائة

وفيه يقول شاعر وقتنا جمال الدين بن نباتة

(قاضي القضاة بيمنى كفه القلم % يا ساري القصد هذا البان والعلم)

(هذا اليراع الذي تجني الفخار به % يد الإمام الذي معروفه أمم)

(معيي الأماثل في علم وفيض ندى % فالسحب باكية والبحر يلتطم)

(وافى الشآم وما خلنا الغمام إذا % بالشام ينشأ من مصر وينسجم)

(آها لمصر وقد شابت لفرقته % فليس ينكر إذ يعزى لها الهرم)

(وأوحش الثغر من رؤيا محاسنه % فما يكاد بوجه الزهر يبتسم)

.311

(ينشي وينشد فيه الشعر من أسف % بيتا تكاد به الأحشاء تضطرم)

(يا من يعز علينا أن نفارقهم % وجداننا كل شيء بعدكم عدم)

1339 محمد بن أبي بكر بن محمد بن قوام الشيخ نور الدين بن الشيخ نجم الدين

كان رجلا فاضلا من بيت الخير والصلاح والزهد لجدهم الشيخ الكبير ولي الله أبي بكر صاحب الكرامات الظاهرة وقد قدمنا ذكره
ولد هذا نور الدين بعد سنة عشرين وسبعمائة أراه سنة إحدى وعشرين
وطلب العلم وسمع الحديث ودرس بعد وفاة والده بالرباط الناصري بقاسيون
وتوفي ليلة مستهل جمادى الأولى سنة خمس وستين وسبعمائة بالصالحية ظاهر دمشق
312. & حرف الألف &

1340 إبراهيم بن عبد الرحمن بن إبراهيم بن ضياء بن سباع الفزاري الشيخ برهان الدين بن الفركاح

فقيه الشام وبركته الذي ليس برقه بشام وشيخه الذي زاد يمنه على أنواء الغمام
تلقى علما كثيرا وتوقى في نقله الخطأ فأصاب أجرا كبيرا وترقى إلى درجات عالية يطل من شرفاتها فيبصر سراجا وقمرا منيرا
وكان يغدو في جوانب دمشق ويروح ويعدو وهو بلطف الله ممدودة وبثناء العباد ممدوح ويبدو كالقمر المنير وجهه فيسر القلب ويمازح الدم والروح
مولده في شهر ربيع الأول سنة ستين وستمائة
وسمع من ابن عبد الدائم وابن أبي اليسر ويحيى بن الصيرفي وغيرهم

وتفقه على والده
313.
وكان ملازما للشغل بالعلم والإفادة والتعليق سديد السيرة كثير الورع مجمعا على تقدمه في الفقه ومشاركته في الأصول والنحو والحديث
أجاز لنا في سنة ثمان وعشرين وسبعمائة
وتوفي في جمادى الأولى سنة تسع وعشرين وسبعمائة بالمدرسة البادرائية بدمشق
أخبرنا شيخ الشافعية أبو إسحاق الفزاري إذنا أخبرنا أحمد بن عبد الدائم بن نعمة أخبرنا أبو عبد الله محمد بن علي بن محمد بن الحسن بن صدقة أخبرنا محمد بن الفضل أخبرنا عبد الغافر بن محمد أخبرنا أبو أحمد الجلودي أخبرنا أبو إسحاق إبراهيم بن محمد الفقيه أخبرنا مسلم بن الحجاج حدثنا يحيى بن يحيى قرأت على مالك عن نافع عن ابن عمر أن النبي قال (من حمل علينا السلاح فليس منا)
اختار الشيخ برهان الدين جواز نقل الزكاة
وأنه لا يكره الجلوس للتعزية

وسبقه إلى ذلك والده الشيخ تاج الدين زاد الشيخ برهان الدين بل ينبغي أن يستحب
ورجح أيضا تبعا لوالده أن المراد بالساعات في حديث التبكير إلى الجمعة من الزوال كما يقوله صاحب التهذيب والروياني
.314
كتب الشيخ المصنف أسبغ الله ظلاله إلى الشيخ الإمام العالم الأديب النحرير الفاضل المحدث المفيد برهان الدين أبي إسحاق بن الشيخ العالم شرف الدين عبد الله القيراطي المصري من دمشق المحروسة يتشوق إليه في جمادى الآخرة سنة أربع وستين وسبعمائة
يقبل الأرض أدبا بين يدى قبلة الأدب ويوجه وجهه عروض بيتها الذي رفع إبراهيم قواعده بكل وتد وسبب ويقلب قلبه فإذا ميلتها الذكرى له قام كأنه يتمشى هناك بالأحداق ومد يده لكأس الطرب وأنشد
(أمد كفي لحمل الكأس من رشأ % وحاجتي كلها في حامل الكاس)

لا بل أنشد
(أمر على الديار ديار ليلى % أقبل ذا الجدار وذا الجدارا)
(وما حب الديار شغفن قلبي % ولكن حب من سكن الديارا)
.315
فهو والله حب امتزج بلحمه ودمه واعتلج وهو الدواء مع دائهما فأوجد حقيقة عدمه واختلج لكأسه كل عضو إذا ما شارب القوم احتساه أحس له دبيبا في أعظمه وأنشد
(كانت لقلبى أهواء مفرقة % فاستجمعت مذ رأتك العين أهواي)
(فصار يحسدني من كنت أحسده % وصرت مولى الورى إذ صرت مولاي)
لا والله بل حب حل منه محل الروح وملك ما يغدو منه ويغدي ويريح ويروح وعدل في الأعضاء فأباح لكل أن يبوح بما عنده وينوح وينشد
(يجد الحمام ولو كوجدي لانبرى % شجر الأراك مع الحمام ينوح)
لا والله بل حب خالط القلب فما تشاكلا ولا تشابه الأمر بل اتحدا فلم يقل رق الزجاج وراقت الخمر واتصلا فلم يبت من حبه متقلبا على الجمر بل أنشد
(أنا من أهوى ومن أهوى أنا % نحن روحان حللنا بدنا)
(فإذا أبصرته أبصرتني % وإذا أبصرتني أبصرتنا)
واستشهد بما أخبرناه أبو عبد الحافظ سماعا عليه أخبرنا أبو المعالي أحمد بن إسحاق الأبرقوهي أخبرنا أبو بكر عبد الله بن محمد بن سابور وأنا في الخامسة أخبرنا محمد

316. ابن عبد العزيز الشيرازي أخبرنا رزق الله بن عبد الوهاب التميمي أخبرنا أبو عمر عبد الواحد بن محمد بن مهدي الفارسي حدثنا محمد بن مخلد حدثنا محمد ابن عثمان بن كرامة حدثنا خالد بن مخلد عن سليمان بن بلال عن شريك بن أبي نمر عن عطاء عن أبي هريرة رضي الله عنه قال قال رسول الله (إن الله تعالى قال من عادى لي وليا فقد آذنني بحرب وما تقرب إلي عبدي بشيء أحب إلي مما افترضت عليه وما يزال عبدي يتقرب إلي بالنوافل حتى أحبه فإذا أحببته كنت سمعه الذي يسمع به وبصره الذي يبصر به ويده التي يبطش بها ورجله التي يمشي بها فلئن سألني لأعطينه ولئن استعاذني لأعيذنه وما ترددت عن شيء أنا فاعله ترددي عن نفس المؤمن يكره الموت وأكره مساءته ولا بد له منه)

أخرجه البخاري عن محمد بن عثمان بن كرامة العجلي الكوفي فوافقناه بعلو

إيه والله وحب صيره معكم فلم يشك بعدا ورجا به أن الله يحبه فاغتبط وإن وجد وجدا وأمل بوقوعه في الله ظل الله فلم يلق لنار الحريق وقدا

اعتمادا

317. على ما أخبرنا به الشيخ الإمام الوالد تغمده الله برحمته سماعا عليه أخبرنا الحافظ أبو محمد الدمياط أخبرنا الحافظ أبو الحجاج الدمشقي

ح

وأنبئت عن أبي الحجاج أخبرنا أبو عبد الله محمد بن أبي المعالي عبد الله بن موهوب بن جامع بن عبدون البناء الصوفي أخبرنا أبو بكر محمد بن عبيد الله ابن نصر بن الزاغوني أخبرنا أبو الفضل عبد الله بن علي بن أحمد الدقاق المعروف بابن ذكرى أخبرنا أبو الحسن علي بن عمر بن حفص المقري حدثنا الحسين بن محمد السكوني حدثنا محمد بن جعفر القرشي حدثنا أبو نعيم حدثنا سفيان عن الأعمش عن أبي وائل عن أبي موسى عن النبي قيل له الرجل يحب القوم ولم يلحق بهم قال (المرء مع من أحب)

هذا المتن متفق على صحته مروي عن خلق من الصحابة منهم أنس بن مالك وعبد الله بن مسعود وأبو موسى الأشعري وعلي بن أبي طالب وأبو سعيد الخدري وأبو ذر الغفاري وصفوان بن عسال وعبد الله بن يزيد الخطمي والبراء بن عازب وعروة بن مضرس وصفوان بن قدامة الجمحي وأبو أمامة الباهلي وأبو سريحة الغفاري وأبو هريرة ومعاذ بن جبل وأبو قتادة الأنصاري وعبادة بن الصامت وجابر بن عبد الله وعائشة أم المؤمنين وعبيد بن عمير رضي الله عنهم

318.
وأخبرنا أبو عبد الله الحافظ سماعا عليه أن أحمد بن إسحاق أخبره بقراءته قال أخبرنا أبو القاسم المبارك بن علي بن أحمد بن أبي الجود أخبرنا أبو العباس أحمد بن أبي غالب الوراق أخبرنا أبو القاسم عبد العزيز بن علي بن أحمد الأنماطي أخبرنا محمد بن عبد الرحمن العباسي حدثنا عبد الله بن محمد حدثنا عبد الأعلى بن حماد النرسي حدثنا حماد بن سلمة عن ثابت عن أبي رافع عن أبي هريرة رضي الله عنه قال إن رجلا زار أخا له في قرية فأرصد الله على مدرجته ملكا قال أين تريد
قال أردت أخا لي في قرية كذا وكذا
قال هل له من نعمة تربها
قال لا إلا أني أحبه في الله
قال إني رسول الله إليك إن الله قد أحبك كما أحببته فيه
صحيح تفرد مسلم بتخريجه من هذا الوجه فرواه عن أبي يحيى عبد الأعلى ابن حماد بن نصر البصري النرسي فوافقناه بعلو
أخبرنا أبو عبد الله الحافظ بقراءتي عليه أخبرنا علي بن أحمد العراقي أخبرنا محمد ابن أحمد القطيعي أخبرنا محمد بن المبارك بن الخل حدثنا أبو المعالي ثابت بن بندار ابن إبراهيم الدينوري المقرئ أخبرنا أبو عمرو عثمان بن محمد بن يوسف بن دوست العلاف حدثنا أبو بكر محمد بن عبد الله الشافعي البزار حدثنا إسحاق بن الحسن
319. الحربي حدثنا القعنبي عن مالك عن خبيب بن عبد الرحمن عن حفص بن عاصم عن أبي سعيد أو أبي هريرة قال قال رسول الله (سبعة يظلهم الله عز وجل في ظله يوم لا ظل إلا ظله إمام عادل وشاب نشأ في عباده الله ورجل دعته امرأة ذات جمال فقال إني أخاف الله ورجل تصدق بصدقة فأخفاها حتى لا تعلم شماله ما تنفق يمينه ورجل كأن قلبه معلق بالمسجد إذا خرج منه حتى يعود إليه ورجلان تحابا في الله اجتمعا على ذلك وتفرقا عليه)
الحديث متفق على صحته مخرج في الكتب من حديث خبيب
وينهي بعد رفع أدعية بلغن السماء ورجون فوقها مظهرا ومضى سلاحهن فيمن استقبل الحال بسوء فرجع القهقرى وتلقتها ملائكة القبول قائلة لقد يممت جل بحر جوهرا ذاكرة ما أخبرناه محمد بن إسماعيل الحموي سماعا عليه أخبرنا أبو الحسن بن البخاري وزينب بنت أبي الحزم قالا أخبرنا عمر بن محمد بن
320. طبرزد أخبرنا هبة الله بن محمد أخبرنا أبو طالب البزار أخبرنا أبو بكر الشافعي أخبرنا محمد بن غالب أخبرنا شريح بن يونس حدثنا عمرو بن صالح عن عبد الملك عن عطاء عن أم كرز قالت قال رسول

الله (دعوة الرجل لأخيه بظهر الغيب مستجابة وملك عند رأسه يقول آمين آمين ولك بمثل)
لم يرو هذا الحديث من حديث أم كرز في شيء من الكتب الستة وهو في صحيح مسلم من حديث أبي الدرداء
أخبرنا أحمد بن عبد الرحمن بن محمد الحريري سماعا عليه أخبرنا عمر ابن محمد الكرماني حضورا أخبرنا أبو بكر القاسم بن عبد الله الصفار أخبرنا وجيه بن طاهر الشحامي
ح
وأخبرتنا زينب بنت الكمال سماعا عن عبد الخالق بن أنجب بن المعمر النشتبري الماردیني عن وجيه أخبرنا أبو بكر يعقوب بن أحمد الصيرفي حدثنا أبو محمد الحسن بن أحمد المخلدي أخبرنا أبو نعيم عبد الملك بن محمد بن عدي
321. الجرجاني حدثنا أحمد بن عيسى اللخمي حدثنا عمرو بن أبي سلمة حدثنا عبد الرحيم بن زيد العمي عن أبيه عن سعيد بن جبير عن ابن عباس عن النبي قال (خمس دعوات يستجاب لهن دعوة المظلوم حتى ينتصر ودعوة الحاج حتى يصدر ودعوة المجاهد حتى يقفل ودعوة المريض حتى يبرأ ودعوة الرجل لأخيه بظهر الغيب)
وشرح أشواق بها العينان عينان تنهل والقلب تفاقم سقمه فاضمحل والجسم ما غيره الناي بل غيره وكاد ينحل وما ينحل
(شوقي إليك وإن نأت دار بنا % شوق الغزال إلى ملاعب سربه)
(أو شوق ظامي النفس صادف منهلا % منعته أطراف القنا من شربه)
إذا غير النأي المحبين فقد غيره وإذا غير الهوى ساكن الدمع فما حرك إلا ما تقاضاه من عينه وما غيره بل أنشد لنفسه مضمنا في عبرته المعبرة
(إن غير النأي صبا فهو غيرني % وصب مني دموعي من مآقيها)
(فويحه يتقاضاني بحار دما % وقطرة الدم مكروه تقاضيها)
322.
لتلك الألفاظ التي عذبت فهي وحاشاها من التغير ماء النيل ورقت فهي وحوشيت من السقم النسيم العليل وراقت فهي وحاشاها من التلون الزهر الحفيل وعند ذكرها ينشد ويقول
(باللفظ يقرب فهمه في بعده % منا ويبعد نيله في قربه)
(حكم سحائبها خلال بنانه % هطالة وقليبها في قلبه)
(فالروض مختلف بحمرة نوره % وبياض زهرته وخضرة عشبه)
(وكأنها والسمع معقود بها % وجه الحبيب بدا لعين محبه)
ثم يزداد طربا ويهم أن يطير إلى تلك الديار ولكن أين الجناح وأن

يسري في ليل الفراق ولكن من له تلقاء الصباح وأن يقابل الدهر ولكنه أعزل والدهر شاكي السلاح وينشد

(وحديثها السحر الحلال لو أنه % لم يجن قتل المسلم المتحرز)

(إن طال لم يملل وإن هي أوجزت % ود المحدث أنها لم توجز)

(شرك النفوس ونزهة ما مثلها % للمطمئن وعقلة المستوفز)

فلقد شرب بعدكم كأس فراق ذهب بلبه كل مذهب وسقاه سوط عذاب

323. الشيب أطيب منه وأعذب وأورث شيبة المشيب فلو قلد من قال فانثنى بلا عينين لقال ضربني بشيبين ولا لعبا مني أو ذو الشيب يلعب

إنه سطرها والقلب يملي علي أشواقا أضرم البعد سعيرها وماء العين يتفجر عيونا فلولا تلك النار لمحا ذلك الماء سطورها فلله ماء ونار لو لم يتعالجا لأسمعت الأشواق والأقلام من بمصر صليلها وصريرها

(أجريت دمعي وأضرمت الحشا لهبا % كالعود يقطر ماء وهو يحترق)

يتذكر ما مضى بين يديكم من عيش هو المنية فلا غرو أن يعزى إلى خصيب ووقت ضحك إلي فغفرت ذنب كل ضاحك وإن شيب بضحك المشيب وأيام ناسب مولانا غربتي فيها لغريب فضله المرسل وإحسانه الملائم وكل غريب للغريب نسيب

324. هذا وإن كان مولانا إذ ذاك يواصل هجره بالإفراط ولا يمتع من يتطلب اكتيال محاسنه من ميزان عدله إلا بقيراط بعد قيراط ولا يرى إلا أن يحقق نسبته أصلا ثم مر بي إلى بلد يسمى فيها القيراط من الأقباط

أخبرنا محمد بن إسماعيل بن إبراهيم بن الخباز إذنا خاصا أخبرنا المسلم بن محمد بن علان سماعا أخبرنا حنبل بن عبد الله الرصافي أخبرنا هبة الله بن محمد الشيباني أخبرنا أبو علي الحسن بن علي بن محمد التميمي أخبرنا أبو بكر أحمد بن جعفر بن حمدان القطيعي حدثنا عبد الله بن الإمام أحمد بن محمد ابن حنبل حدثنا أبي حدثنا وهب بن جرير حدثنا أبي سمعت حرملة يحدث عن عبد الرحمن بن شماسة عن أبي بصرة عن أبي ذر قال قال رسول الله (إنكم ستفتحون أرض مصر وهي أرض يسمى فهيا القيراط فإذا فتحتموها فأحسنوا إلى أهلها فإن لهم ذمة ورحما) أو قال (ذمة وصهرا)

رواه مسلم عن زهير وعبيد الله بن سعيد كلاهما عن وهب بن جرير به فوقع لنا بدلا عاليا ولله الحمد

كلما أردت منه صحيح الوصل جاء بالهجر الممرض وكلما حاولت إيماض برقه أرعد ولم يومض وكلما تطلبت إقباله قالت طباعه يا

إبراهيم أعرض
(ذات لها هذي الصفات وفي الحشا % من حبها نار يزيد وقودها)
325.
(إن لم يسل القلب قول عذوله % طبعت على كدر وأنت تريدها)
وكيف يرجع قلب علق فلا يصده الصد وهام فإذا رأى رسم الديار بدل لفظا بلفظ وتجاوز الحد واستوى الأمران عنده فلم يقل إن قرب الدار خير من البعد بل أنشد
(غرام على يأس الهوى ورجائه % وحب على قرب المزار وبعده)
وأستشهد بما أخبرنا به محمد بن إسماعيل بن إبراهيم بقراءتي عليه أخبرنا أبو الفداء إسماعيل بن أبي عبد الله بن حماد العسقلاني سماعا أخبرنا أبو حفص عمر بن محمد بن معمر بن طبرزد أخبرنا أبو منصور عبد الرحمن بن محمد بن عبد الواحد القزاز أخبرنا الخطيب أبو بكر أحمد بن علي بن ثابت حدثنا أبو الحسن علي بن أحمد بن نعيم بن الجارود البصري قال سمعت علي بن أحمد بن عبد الرحمن الفهري الأصبهاني يقول سمعت أحمد بن عبد الجبار المالكي يقول سمعت يحيى بن معاذ الرازي يقول حقيقة المحبة أنها لا تزيد بالبر ولا تنقص بالجفاء
وأخبرنا أبو العباس بن المظفر الحافظ بقراءتي عليه أخبرنا أحمد بن هبة الله بن عساكر بقراءتي عن إسماعيل بن عثمان القارئ أخبرنا أبو الأسعد هبة الرحمن ابن الإمام أبي سعيد عبد الواحد بن الأستاذ أبي القاسم القشيري أخبرنا أبو الفضل
326. الطبسي أخبرنا أبو عبد الله بن باكويه حدثنا أبو الحسن محمد بن أحمد حدثنا العباس بن يوسف حدثنا سعيد بن عثمان حدثنا إبراهيم بن محمد النساج قال قال الأسود بن سالم ركعتان أصليهما أحب إلي من الجنة بما فيها
فقيل له هذا خطأ فقال دعونا من كلامكم رأيت الجنة رضى نفسي وركعتين رضى ربي ورضى ربي أحب إلي من رضى نفسي
لكني سمعت الشيخ الإمام الوالد رحمه الله تعالى يجيب وسئل عن رجلين تنازعا هل دخول الجنة أفضل من العبادة أو العكس أيهما المصيب أن الصواب قول من قال دخول الجنة أفضل واستدل عليه بوجوه يطول شرحها هنا
وعلى قول الخياط
(غرام على يأس الهوى ورجائه %)
البيت أقول ودي متحد في البلدين ومساورة الهم باق لنفسي الضئيلة ذات النكدين ومما زادها قلقا قطعها اليأس عن زيارتكم هذا المربع الخضر فكان قطع اليأس عند إحدى التعبين لا إحدى الراحتين وأنشد

(لو شئت داويت قلبا أنت مسقمه % وفي يديك من البلوى سلامته)
وإنما أصدرها المملوك تعللا وأرسلها مسندة عن نفس منقطع لهذا الأمر المعضل تبتلا وكتبها استرواحا لضمة المتهالك حبا ما سلا العاشق بها محبوبه ولكن قلبه سلا
327.
أخبرنا أبو العباس أحمد بن علي بن الحسن بن داود الجزري سماعا عليه أخبرنا عبد الحميد بن عبد الهادي حضورا أخبرنا إسماعيل بن علي الجنزوي أخبرنا ياقوت بن عبد الله أخبرنا عبد الله بن محمد الصريفيني أخبرنا أبو طاهر المخلص أخبرنا أحمد بن سليمان الطوسي أخبرنا الزبير بن بكار حدثني إبراهيم بن المنذر عن معن بن عيسى قال جاء ابن سرحون السلمي إلى مالك ابن أنس وأنا عنده فقال يا أبا عبد الله إني قد قلت أبياتا من شعر وذكرتك فيها فأنا أسألك أن تجعلني في سعة فقال له مالك أنت في حل مما ذكرتني وتغير وجهه وظن أنه هجاه قال إني أحب أن تسمعها فقال له مالك أنشدني فقال
(سلوا مالك المفتي عن اللهو والصبا % وحب الحسان المعجبات الفوارك)
(ينبيكم أني مصيب وإنما % أسلي هموم النفس عني بذلك)
(فهل في محب يكتم الحب والهوى % أثام وهل في ضمة المتهالك)
قال قال لي معن فسري عن مالك وضحك
قلت في هذا من مالك دليل على جواز الإبراء عن الكلام في العرض وإن كان مجهولا وأنه كان يرى التحليل من هذا أولى من عدمه
ونقل أبو الوليد بن رشد في شرح العتبية أن مذهب الشافعي أن ترك التحليل من الظلامات والتبعات أولى لأن صاحبها يستوفيها يوم القيامة بحسنات من هي عنده وبوضع سيئاته على من هي عنده كما شهد به الحديث وهو لا يدري هل يكون أجره
328. على التحليل موازيا ماله من الحسنات في الظلامات أو يزيد أو ينقص وهو محتاج إلى زيادة حسناته ونقصان سيئاته
قال ومذهب غيره أن التحليل أفضل مطلقا
قال ومذهب مالك التفرقة بين الظلامات فلا يحلل منها والتبعات فيحلل منها عقوبة لفاعل الظلامات
وهو تفصيل عجيب
وسيدنا يعلم أن المملوك بارتياحه لذكركم معذور وأنه يتخيل محاسنكم خلال السطور وأنه يعروه لذكراك هزة كما انتفض العصفور وكيف لا وأول ما حكم به في دمشق وقد دخلها قاضيا وقوع البعاد وألبسه النأي ثوبا من الحزن لا يبلى ويبلى الفؤاد وانتزع ثياب صبره والبين لص لا غرو أن ينزع ثياب القاضي بجدال وجلاد

كما أخبرنا الحافظ أبو العباس أحمد بن المظفر بن أبي محمد النابلسي بقراءتي عليه أخبرنا الشيخان محمد بن علي بن أحمد الواسطي وأحمد بن عبد الحميد بن عبد الهادي المقدسي سماعا عليهما قالا أخبرنا أبو المحاسن محمد بن السيد بن فارس الصفار أخبرنا أبو القاسم الخضر بن عبدان أخبرنا سهل بن بشر الإسفرايني أخبرنا مشرف ابن المرجي المقدسي أخبرنا أبو عبد الله الحسن بن محبوب المنصوري النحوي حدثنا أبو العباس أحمد بن الحسين القاضي بنهاوند حدثنا محمد بن الحسين الرازي حدثني أبي عن جدي عن محمد بن مقاتل الماسقوري قاضي الري قال كان محمد بن الحسين يكثر الإدلاج إلى بساتينه فيصلي الصبح ثم يعود إلى منزله إذا ارتفعت الشمس وعلا
329. النهار
قال محمد بن مقاتل فسألته عن ذلك قال بلغني في حديث عن النبي أنه قال (حبب إلي الصلاة في الحيطان) وذلك أن أهل اليمن يسمون البستان الحائط
قال محمد بن الحسين فخرجت إلى حائط لي لأصلي فيه الفجر رغبة في الثواب والأجر فعارضني لص جريء القلب خفيف الوثب في يده خنجر كلسان الكلب ماء المنايا يجول على فرنده والآجال تلوح في حده فضرب بيده إلى صدري ومكن الخنجر من نحري وقال لي بفصاحة لسان وجراءة جنان انزع ثيابك واحفظ إهابك ولا تكثر كلامك تلاق حمامك ودع عنك التلوم وكثرة الخطاب فلا بد لك من نزع الثياب
فقلت له يا سبحان الله أنا شيخ من شيوخ البلد وقاض من قضاة المسلمين يسمع كلامي ولا ترد أحكامي ومع ذلك فإني من نقلة حديث رسول الله منذ أربعين سنة أما تستحيي من الله أن يراك حيث نهاك
فقال لي يا سبحان الله أنت أيضا أما تراني شابا ملء بدني أروق الناظر وأملأ الخاطر وآوي الكهوف والغيران وأشرب ماء القيعان والغدران وأسلك مخوف المسالك وألقي بيدي في المهالك ومع ذلك فإني وجل من السلطان مشرد عن الأهل والأوطان وحشي أن أعثر بواحد مثلك وأتركه يمشي إلى منزل رحب وعيش رطب وأبقى أنا هنا أكابد التعب وأناصب النصب وأنشأ اللص يقول
330.
(ترى عينيك ما لم ترياه % كلانا عالم بالترهات)
قال القاضي أراك شابا فاضلا ولصا عاقلا ذا وجه صبيح ولسان فصيح ومنظر وشارة وبراعة وعبارة
قال اللص هو كما تذكر وفوق ما تنشر
قال القاضي فهل لك إلى خصلة تعقبك أجرا وتكسبك شكرا ولا تهتك

مني سترا ومع ذلك فإني مسلم الثياب إليك ومتوفر بعدها عليك
قال اللص وما هذه الخصلة
قال القاضي تمضي إلى البستان معي فأتوارى بالجدران وأسلم إليك الثياب وتمضي على المسار والمحاب
قال اللص سبحان الله تشهد لي بالعقل وتخاطبني بالجهل ويحك من يؤمنني منك أن يكون لك في البستان غلامان جلدان علجان ذوا سواعد شديدة وقلوب غير رعيدة يشداني وثاقا ويسلماني إلى السلطان فيحكم في آراءه ويقضي علي بما شاءه
قال له القاضي لعمري إنه من لم يفكر في العواقب فليس له الدهر بصاحب وخليق بالوجل من كان السلطان له مراصدا وحقيق بإعمال الحيل من كان للسيئات قاصدا وسبيل العاقل أن لا يغتر بعدوه بل يكون منه على حذر ولكن لا حذر من قدر ولكن أحلف لك ألية مسلم وجهد مقسم أني لا أوقع بك مكرا ولا أضمر لك غدرا
.331
قال اللص لعمري لقد حسنت عبارتك ونمقتها وحسنت إشارتك وطبقتها ونثرت خيرك على فخ ضيرك وقد قيل في المثل السائر على ألسنة العرب أنجز حر ما وعد أدرك الأسد قبل أن يلتقي على الفريسة لحياه ولا يعجبك من عدو حسن محياه وأنشد
(لا تخدش وجه الحبيب فإنا % قد كشفناه قبل كشفك عنه)
(واطلعنا عليه والمتولي % قطع أذن العيار أعير منه)
ألم يزعم القاضي أنه كتب الحديث زمانا ولقي فيه كهولا وشبانا حتى فاز ببكره وعونه وحاز منه فقر متونه وعيونه
قال القاضي أجل
قال اللص فأي شيء كتبت في هذا المثل الذي ضربت لك فيه المثل وأعملت الحيل
قال القاضي ما يحضرني في هذا المقام الحرج حديث أسنده ولا خبر أورده فقد قطعت هيبتك كلامي وصدعت قبضتك عظامي فلساني كليل وجناني عليل وخاطري نافر ولبي طائر
قال اللص فليسكن لبك وليطمئن قلبك اسمع ما أقول وتكون بثيابك حتى لا تذهب ثيابك إلا بالفوائد
قال القاضي هات
قال اللص حدثني أبي عن جدي عن ثابت البناني عن أنس بن مالك قال قال رسول الله (يمين المكره لا تلزمه فإن حلف وحنث فلا شيء عليه) وأنت إن حلفت حلفت مكرها وإن حنثت فلا شيء عليك انزع ثيابك

.332
قال القاضي يا هذا قد أعيتني مضاءة جنانك وذرابة لسانك وأخذك علي الحجج من كل وجه وأتيت بألفاظ كأنها لسع العقارب أقم ها هنا حتى أمضي إلى البستان وأتوارى بالجدران وأنزع ثيابي هذه وأدفعها إلى صبي غير بالغ تنتفع بها أنت ولا أنهتك أنا ولا تجري على الصبي حكومة لصغر سنه وضعف منته
قال اللص يا إنسان قد أطلت المناظرة وأكثرت المحاورة ونحن على طريق ذي غرر ومكان صعب وعر وهذه المراوغة لا تنتج لك نفعا وأنت لا تستطيع لما أرومه منك دفعا ومع هذا أفتزعم أنك من أهل العلم والرواية والفهم والدراية ثم تبتدع وقد روي عن النبي أنه قال (الشريعة شريعتي والسنة سنتي فمن ابتدع في شريعتي وسنتي فعليه لعنة الله)
قال القاضي يا رجل وما هذا من البدع
قال اللص اللصوصية بنسيئة بدعة انزع ثيابك فقد أوسعت من ساعة محالك ولم أشدد عقالك حياء من حسن عبارتك وفقه بلاغتك وتقلبك في المناظرة وصبرك تحت المخاطرة
فنزع القاضي ثيابه ودفعها إليه وأبقى السراويل
فقال اللص انزع السراويل كي تتم الخلعة
قال القاضي يا هذا دع عنك هذا الاغتنام وامض بسلام ففيما أخذت كفاية وخل السراويل فإنه لي ستر ووقاية لا سيما وهذه صلاة الفجر قد أزف حضورها وأخاف تفوتني فأصليها في غير وقتها وقد قصدت أن أفوز بها في مكان يحبط وزري ويضاعف أجري ومتى منعتني من ذلك كنت كما قال الشاعر
.333
(إن الغراب وكان يمشي مشية % فيما مضى من سالف الأحوال)
(حسد القطاة فرام يمشي مشيها % فأصابه ضرب من العقال)
(فأضل مشيته وأخطأ مشيها % فلذاك كنوه أبا المرقال)
قال اللص القاضي أيده الله تعالى يرجع إلى خلعة غير هذه أحسن منها منظرا وأجود خطرا وأنا لا أملك سواها ومتى لم تكن السراويل في جملتها ذهب حسنها وقل ثمنها لاسيما والتكة مليحة وسيمة ولها مقدار وقيمة فدع ضرب الأمثال وأقلع عن ترداد المقال فلست ممن يرد بالمحال ما دامت الحاجة ماسة إلى السروال ثم أنشد
(دع عنك ضربك سائر الأمثال % واسمع إذا ما شئت فصل مقال)
(لا تطلبن مني الخلاص فإنني % أفتي فمتى ما جئتني بسؤال)
(ولأنت إن أبصرتني أبصرت ذا % قول وعلم كامل وفعال)
(جارت عليه يد الليالي فانثنى % يبغي المعاش بصارم ونصال)

(فالموت في ضنك المواقف دون أن % ألقى الرجال بذلة التسآل)
(والعلم ليس بنافع أربابه % أولا فقومه على البقال)
ثم قال ألم يقل القاضي إنه يتفقه في الدين ويتصرف في فتاوي المسلمين
قال القاضي أجل
قال اللص فمن صاحبك من أئمة الفقهاء
قال القاضي صاحبي محمد بن إدريس الشافعي
.334
قال اللص اسمع هذا وتكون بالسراويل حتى لا تذهب عنك السراويل إلا بالفوائد
قال القاضي أجل يا لها من نادرة ما أغربها وحكاية ما أعجبها
قال أي شيء قال صاحبك في صلاة الفجر وغيرها وأنت عريان
قال القاضي لا أدري
قال اللص حدثني أبي عن جدي عن محمد بن إدريس يرفعه قال قال رسول الله (صلاة العريان جائزة ولا إعادة عليه) تأول في ذلك غرق البحر إذا سلموا إلى الساحل
فنزع القاضي السراويل وقال خذه وأنت أشبه بالقضاء مني وأنا أشبه باللصوصية منك يا من درس على أخذ ثيابي موطأ مالك وكتاب المزني ومد يده ليدفعه إليه فرأى الخاتم في إصبعه اليمنى فقال انزع الخاتم
فقال القاضي إن هذا اليوم ما رأيت أنحس منه صباحا ولا أقل نجاحا ويحك ما أشرهك وأرغبك وأشد طلبك وكلبك دع هذا الخاتم فإنه عارية معي وأنا خرجت ونسيته في إصبعي فلا تلزمني غرامته
قال اللص العارية غير مضمونة ما لم يقع فيها شرط عندي ومع ذلك أفلم يزعم القاضي أنه شافعي
قال نعم
قال اللص فلم تختمت في اليمين
قال القاضي هو مذهبنا
قال اللص صدقت إلا أنه صار من شعار المضادين
.335
قال القاضي فأنا أعتقد ولاء أمير المؤمنين علي بن أبي طالب كرم الله وجهه تفضيله على كل المسلمين من غير طعن على السلف الراشدين وهذا في الأصول اعتقادي وعلى مذهب الشافعي في الفروع اعتمادي
فأخذ اللص في رد مذهب الرفض وجرت بينهما في ذلك مناظرة طويلة رويناها بهذا الإسناد انقطع فيها القاضي وقال بعد أن نزع الخاتم ليسلمه إليه خذ يا فقيه يا متكلم يا أصولي يا شاعر يا لص

وخشية المملوك من سارق المعاني على بنات فكره مثل خشيته من سارق البين على ثياب صبره وكلا الخشيتين فوق خشية هذا القاضي على ثياب بدنه من هذا السارق ومكره أما بنات الأفكار فقد رأيت من يجعلها حدودا وينزل الباطل على أوكارها ولا يخاف قول الحق على زهقه صعودا ويقطع القلب فكيف باليد والرجل ثملا يقول قولا سديدا
وأما ثياب الصبر فقد مزقها فراقكم الذي جرى منه على المملوك ما لا يجري على السماء من أرض مصر إذا انعقد غبارها وارتفع إليها من أصوات أبغض العجم ناطقا وهو الذئاب جؤارها وصعد إليها مما يجري بين لابتيها على ألسنة الملائكة أخبارها ولا على الأرض من السماء في الشام من الأمطار التي ظلت بها الحجرات واقعة وتلت الألسن عند قرعها (^ القارعة ما القارعة) وأصابت إلا أنها على كل حال رحمة أهلا جميعا وإن ظنوا أن حصونهم مانعه
وكأني بمولانا يقول إني عرضت بمصر فأعارضه بما قلته في الشام وأبين لمولانا الإمام أنه ليس لكلامي بذلك إلمام وكيف أعرض بالبحر الصريح والفلك تجري
336. فيه مواخر وكل مركب إذا زحزحتها الريح فقذفت متاعها غيمت الآتية بعدها قائلة
(كم ترك الأول للآخر %)
وكل جزيرة حكت أزهارها ثغور أقحوان الشام وإن فاتها شنب البواكر وإنما وصف المملوك ما اتفق لذاته اليوم بتذكار أمسه وشرح بين مخدومه عموم مس حاله ولم يبعد خويصة نفسه وأبان ما عنده من بعد إبراهيم الذي اتخذه خليلا أيده الله بروح قدسه
فكتب الشيخ برهان الدين القيراطي جوابه
إلى شيخنا شيخ الإسلام أوحد المجتهدين تاج الدين أبي نصر أسبغ الله ظلاله من القاهرة المحروسة إلى الشام المحروسة يقبل الأرض المتطولة على ذوي التقصير ببرها المقابلة من بابها المفتوح بما لم يكن في حسان من خيرها المعاملة لعبدها بالإحسان ولولا استرقاقها للجميع لقلت وحرها البابلية النسبة إذا سلبت رسائلها العقول إما بخمرها وإما بسحرها المشنفة للأسماع من مغاص بحرها بدرها
337. المزخرفة رياض البلاغة إذا أنشأت سحاب الإنشاء لله درها بدرها حتى فتنت بحسن نفاستها الفتى وجليت عرائسها التي
(خرجن في بهجة كالروض ليس لها % إلا الحلي على لباتها زهر)
(صب الشباب عليها وهو مقتبل % ماء من الحسن ما في صفوه كدر)
فأبقى الله حماها حرما للاجى وجلا سحاب الفضل من كل الوجوه روضها العاجي

(فصاغ ما صاغ من تبر ومن ورق % وحاك ما حاك من وشي وديباج)

(وألبس الأرض من حلي ومن حلل % ما يمتع العين من حسن وإبهاج)

وروي جهاتها التي يقع ترابها من الرائي مواقع الماء من الصادي وروض جنابها الذي أهدى زهره روائح الجنان عند بواكر الغوادي وطاب واديه فأين منه

338. (أرض تخيرها لطيب مقيلها % كعب بن مامة وابن أم دؤاد)

وحياها الحيا من مواطن ولا رحل عنها من السرور قاطن ولا زالت بأزهارها حسنة الظاهر وبأنهارها صافية الباطن

(ولا برحت كف الثريا لربعها % إذا سمحت بالقطر ذات سخاء)

حتى يملأ صحون ديارها قطر الأمطار وتصبح بما صاغه الربيع تلك الأقطار

(تضاحك الشمس أنوار الرياض بها % كأنما نثرت فيها الدنانير)

(وتأخذ الريح من ريحانها عبقا % كأن ذاك الثرى مسك وكافور)

متطيبا بطيب ثراها متمسكا من محبتها التي لا يفك عنها إزار صدره بعراها

شاعرا بأنه في كل واد من ودها يهيم ناثرا من در لفظه إذا سهر في وصفها ما يضيء به سنح الليل البهيم قائلا حين أجراه الأدب على العادة في وقوفه تجاه كعبتها هذا مقام إبراهيم

مطلقا في مدح أياديها لسان القلم الذي أصبح بشعاره العباسي خطيب محاسنها

339. مغترفا من بحر أدبها الحلو ما لا ينبغي لصبابة آدابنا أن تجاريه بآسنها

مستعملا عزائم شكره التي نفذ قاضي الولاء أحكامها وأمضاها معملا ركائب مدحه التي أصحها حين أضناها في ذلك وأضناها تاليا عليه لسان أمله حين قلب طرفه في سمائها لذ بهذا البيت (^ فلنولينك قبلة ترضاها) فرواها الله أرضا سقت السماء رياضها ولو نطق العبد بها شامية لأصاب حين يقول غياضها إي والله أهواها وأتعصب لها وإن تقنعت بسواها وترتاح روحي لنسيمها العليل الذي صح فيه هواها وأستشفي بعليل هوائها وأستعذب على النيل الفرات من مائها

(وما ذاك إلا حين أيقنت أنه % يكون بواد أنت منه قريب)

(يكون أجاجا دونكم فإذا انتهى % إليكم تلقى طيبكم فيطيب)

وكذلك أنشد أوطانها وسكان تلك البقاع وقطانا

(أيا ساكني أكناف جلق كلكم % إلى القلب من أجل الحبيب حبيب)

وكيف لا وهي بمولانا مغارس أشجار الأدب ومعادن ذهب المعاني الذي يفوق على الذهب وباعثة ميت الفضائل من كتب ومنفسة ما تجده النفوس من كرب ومرنحة أعطاف الأرواح بالطرب
340.
(وجنان قال الإله لها كوني % فكانت روحا وروحا وراحا)
بل هي مجرى بحار العلوم ومسرى الكواكب السيارة من الفهوم ومنشأ الغيوث التي لها بالمكارم سجوم والحرم الذي ما لمختطف الحوادث على جاره هجوم وعكاظ أدب إذا نطق خطيبه فلقس منه وجوم وحريم الخلافة البلاغية فما لخارجي الأدب الدخيل فيه خروج على شموس أفقه ولا نجوم ومطالع النجوم التي
(منها معالم للهدى ومصابح % تجلو الدجا والأخريات رجوم)
ومغاص در الفصاحة الثمين وبابل سحر البيان المبين ومحل إذا رفعت راية مجد تلقاها عرابة باليمين ومقر فضل إذا أقسم الزمان بيمين ليأتين بمثله يمين
وبيت رأس خمر البلاغة التي لا تداس بقدم ولا يقال لمتعاطي كؤوسها ندامى
341. لأنهم لا يعقب سكرهم بسلافها ندم ومناهل يشرب سلسال لفظها الحلو بالشهد إذا شرب حاسدها ماء جفونه بدم
مهديا سلاما ينشر طيبه ويحاكيه من مسك دارين رطيبه
ويخفق في خافقين من طائره الميمون الجناح ويحمد الدهر الساري في ليل نفسه إذا أطلع عليه فجر معانيه الصباح ويضيء في مشكاة الصدر منه مصباح والقلب ذاك المصباح
ويخضب شباب نفسه لمم الدروج البيض فلا يكون له منها نصول ويصبو الصابي إلى حمل رسائله ويتلقاه من ذلك الجناب قبول القبول
إلى هذا البيت الأنصاري الذي لا زحاف فيه ولا سناد في قوافيه ولا إقواء إلا في أبيات أعاديه ولا إيطاء إلا على رقاب حساده ولا إكفاء إلا على الوجه لأضداده
فثبت الله أوتاد هذا البيت وأقطابه ووصل بأسباب السماء أسبابه وأعلاه من جهاته الست على السبع الطباق وأبقاه لتختلس أقوالنا المسترقة من معانيه وبيانه ما يعليه في البديع من طباق
وينهي والأليق به أن ينهي عن المجاراة في هذا الموقف نفسه الأمارة ويتأخر عن المحال الذي قال سهله الممتنع لعيون الكلام الممتدة لمناظريه ما أهون الحرب
342. عند النظارة ويتكلم بالميزان بين يدي صيرفي نقود الأدب فلا يقابل بقيراطه قنطاره ويعلم فكرته التي هي لمنهل المعارضة ورادة أنها في الأخطار خطارة ورود تشريف مشرفه فإذا هو خلعة وبشير

صبيح الوجه مبارك الطلعة وحصن حكمت ملوك الكلام منه في قلعة ورسول أرى المملوك بسمعه ديار أحبابه كما رأى الرضي سلعه
فشاهدت عهدة رقي ووثقت بأنها وثيقة فكاك عنقي من الخطوب وعتقي وأرجعت بنات الفكر في وصفه بعد الطلاق وزفت إلي بقدومه عروس التهاني فكان ذلك الكتاب نسخة الصداق
وتسلم المملوك تلك الرسالة فإذا هي مدونة مالك والمشرفة التي قعد له عنوانها في جميع المسالك
فقرأ عنوانها قبل أن يفك صوانها فوقف من ذلك العنوان على صنوان وغير صنوان وسماه قيد الأوابد وصيد الشوارد وإذا هو كأنما عنون لأبي زيد أو نصب شبكة
343. لصيد أو أطلق في إثر من لا يتقيد لكونه في عالم الإطلاق تقيد أو كوتب به إلى عمران بن حطان أو توجه إلى بدوي لا يألف الحيطان أو أصدر إلى مجنون أو قصد به من هو دائر على قلبه كأنه منجنون أو من أمسى وبيته على كتفه كأنه حلزون أو روسل به الفلك الدوار أو الكوكب السيار أو مسافر لا يخلع سير نعله من رجله ولا يلقى من يده عصا التسيار أو خوطب به العاشق الحائر أو سير إلى المثل السائر أو إلى الشمس التي لا تنفك في شروق وأفول أو إلى عوف بن محلم الذي يقول
(أفي كل يوم غربة ونزوح % أما للنوى من وقفة فتريح)
أو إلى ساكن في ذات العماد أو إلى الطواف الذي بلغ طوافه وسعيه أم القرى وأقصى البلاد حتى كأن المملوك المعني في الملا بقول الشيخ أبي العلا
(أبا الإسكندر الملك اقتديتم % فلا تضعون في أرض وسادا)
(لعلك يا جليد القلب ثان % لأول ماسح مسح البلادا)
أو كأنه في هذه المقامات على رأي الحرير من الذين لا يتخذون أوطانا ولا يهابون سلطانا
(فيكون طورا مشرقا للمشرق الأقصى % وطورا مغربا للمغرب)
344.
(لا يستقر بأرض أو يسير إلى % أخرى بشخص قريب عزمه ناء)
(يوما بحزوى ويوما بالعقيق ويوما % بالعذيب ويوما بالخليصاء)
(وتارة ينتحي نجدا وآونة % شعب الشعوب وطورا قصر تيماء)
(كأن به ضغنا على كل جانب % من الأرض أو شوقا إلى كل جانب)
(فشرق حتى ليس للشرق مشرق % وغرب حتى ليس للغرب مغرب)
قد ألف قلبه النوى وجرى جري النسيم مع الهوى فهو يسعى برجليه في مناكبها ويجول بأصغريه في مواكبها ويهيم في كل واد وينشد قول

حبيب في ابن أبي دؤاد
(مقيم الظن عندك والأماني % وإن قلقت ركابي في البلاد)
(وما سافرت في الآفاق إلا % ومن جدواك راحلتي وزادي)
345.
أو قول أبي الطيب
(محبك حيث ما اتجهت ركابي % وضيفك حيث كنت في البلاد)
(وحيث ما كنت من مكان % فلي إلى وجهك التفات)
ويترنم حين ترك قراره بقول عمارة
(ودورت أقطار البلاد كأنني % إلى الريح أعزى أو إلى الخضر أنسب)
وينشد حين سار سير البدر وتنقل تنقل ليلة القدر
(تنقل فلذات الهوى في التنقل % ورد كل صاف لا ترد فرد منهل)
ويتأيد بقول المؤيد
(إن العلا حدثتني وهي صادقة % فيما تحدث أن العز في النقل)
(لو كان في شرف المأوى بلوغ منى % لم تبرح الشمس يوما دارة الحمل)
فحركته المستديرة كالحلقة تفتح بآخرها أولها وكالشمس في قراءة من قرأ (^ لا مستقر لها) لكنه يقسم بالمثاني أنه الأحق بقول الأرجاني
(سيري إليكم في الحقيقة والذي % تجدون منى فهو سير الدهر بي)
346.
وقد كان المملوك من قبل يتردد ويذهب ويأخذ في كل مذهب
(ولما ملأتم ناظري من جمالكم % سددتم على قلبي جميع المسالك)
ثم فض عن مسك نفسه المختوم ختامه وأماط عن ثغر سيناته لثامه ونصب محاريب نوناته قبل إمامه وبايع منه إماما لبس من خزائن المحابر خلعة الإمامة ورأى بعينه أدبا يتأدب من خلف أذنه قدامة قدامه فأحجم باعه القصير عنه طويلا وطلب من المعارضة والمطاولة لهذا اللفظ مقيلا
(وطاش لبي إذ عاينته فرحا % ومن ينل غاية لم يرجها يطش)
ثم أطرقت مليا وقلت حييا
(منثور هذا الكتاب حين أتى % يسمو على الدر وهو منظوم)
(أهدى لنا عرفه بمقدمه % تأرج المسك وهو مختوم)
لقد فاح من طي تلك المهارق نشرها قبل نشرها وقلت حين قرأت من تلك الرسالة ترجمة معروفها وبشرها
(وقفت وقد وافى مشرف سيدي % له ألفا قبل اطلاعي على حرف

)
(وقبلته ألفا وألفا فقال لي % غرامي زده واضرب الألف في الألف)
347.
فإذا هو كتاب علم وكلام إذا تجرد سيف لسان البليغ لحرب خصمه ألقى لفصاحته السلم فأقسم من كتاب مولانا الكريم بالمختوم لقد أظهر تهافت الفلاسفة بحكمة درجة المرقوم وشاهدت أصحاب المطالب الأدبية كيف ألقيت لمنشئه مفاتيح الكنوز ووصل العبد لكيمياء السعادة حين اهتدى لحسن التدبير من تلك الشذور والرموز فعوذ بألم ذلك الكتاب ودخلت عليه حين دخل جنته ملائكة السلام من كل باب ونشر ميت الحظ بنشوره وخرج اللب في وصفه من قشوره وأخذ من الزمان توقيع الأمان بقدوم منشوره
(كان الملطف كالقميص أما ترى % أبصارنا ردت لنا بملطف)
(وافى فسكن نار قلبي رمزه % أسمعتم نارا بنار تنطفي)
(وأرادت الأجفان عادة جريها % أو جرى عادتها فقلت لها قفي)
(كفي فقد جاء الحبيب بما كفى % وصلا وعاشقه المعنى قد كفي)
348.
وفتحه المملوك فرأى من بلاغته بمصر فتح العزيز ولفظا أطرب ببسيطه أقواله لأنه وجيز وتنبيها يتيقظ به ذو التمييز ومهذب عبارة فيها لكل فقيه في البراعة تعجيز وسحرا يعرف النفاثات في العقد بخلوه من التعقيد وكتابا فيه لكل باب من أبواب الأدب إقليد وملك فصاحة طالع سعده في كل وقت سعيد وفلكا كلما لاح لي هلال نونه عادني من السرور عيد
قد استعبد رق الكلام المحرر وأهدى عقدا كله جوهر وقلادة إلا أنها بالنفس عنبر وحللا إذا رفل القلم فيما حاكه منها يتحبر ومقام أنس إذا تختر بسلافة الخاطر تمايل عطفه وتخطر
فجلست من طرسه ولفظه بين سالف وسلاف واعتنقت منه قدود ألفات فاقت الخلاف بلا خلاف ولثمت منه ميمات حميت نفسي النونات منها الثغور ورصدت من نقطه نجوما إلا أنها لا تغور ورأيت حروفا ترتاح الروح إلى شكلها الحسن وتفرغت لأنظر منها كل عين أحلى من عين الحبيب الملأى من الوسن واستنطق الأفواه
349. ليل خيره بالتسبيح وتدرع شاهد حسنه بدروع الإجادة فهو لا يخشى التجريح وقلت مضمنا في تلويح إشارته الأدبية في مقام التصريح
(ومشرف إن زاد تشريفا فقد % خلعت عليه جمالها الأيام)
(هو جامع للحسن إلا أنه % قصر عليه تحية وسلام)
(وعلى العدا من طرسه وبقوسه % رصدان ضوء الصبح والإظلام)

وبدأت ببسم الله في قراءته فإذا عليه من التيسير عنوان ورأيت من شعب معانيه يا مالك الأدب ما لم يره أحمد في شعب بوان وتطفلت بعد المشيب من حروفه المعرقة وسطوره المحمرة على مائدة ذات ألوان

وعجز قيراطي عن حمر دنانير سطوره التي تجري على حروفها وعلم أن تلك الدنانير لم تبق عنده الأيام منها غير صروفها

وغيض ماء فكرته حين رأى نيل بلاغه مولانا قد احمر من الزيادة وكسر قصبة

350. قلمه حين رآها لقناديل ذهنه على رأي العامة طفاية وجمرة حمرة تلك الصدور وقادة

وارتاح لأشكالها التي له بها على سلوك طريق الوصف قصره وتخلص من عقلة الحصر عند الاجتماع بشارد الفكرة وعلم أن سيف الفصاحة قتل العي فاحمر صفيحه وأن شبح النقس الأسود يحسن بالياقوت الأحمر توشيحه وأن إنسان هذه البلاغة خلق من علق وأن ليل النقس لا يخلو من شفق وظن أن الغسق والشفق قد انجلا فأجراهما مدادا أو الرمل عشق شكل سطورها فما اختار عنه انفرادا أو أن حمامته الساجعة خضبت كفها أو أن روضته المزهرة أحدق بها الشفق وحفها لقد قامت مقام الوجنات لوجوه الطروس البيض حمرتها وتوقدت في فحمة ليل النقس جمرتها وتشعشعت في كؤوس البلاغة خمرتها

فناهيك بألفاظها كؤوسا أبصرت حمرتها في عين القرطاس وخده وفصول ربيع بلاغتها وتلك الحمرة ماء ورد من وردة ثبت بها أن الحسن أحمر

351. وأن ربيع بلاغتها الخصيب أخضر وأن جامع روضها الذي قام فيه شحرور البلاغة خطيبا أزهر

وتكتبت جيوش الكلام من سطورها في دهمها وحمرها وحملت وهزمت جيوش المتأدبين وحمرتها من دماء من قتلت وأصبح الأسود والأحمر طوع أقلامها وزأر أسدها الورد عند اهتزازها من آجامها وأصبحت ذات عين على المعارضين حمرا وأقر لجياد ألفاظها بالسبق من أظلته الخضراء وأقلته الغبرا وقالت مفاخرها الدمشقية للمبارز هذا الميدان والشقرا

وجليت كاعبها التي اعتدل قدها وتفتح وردها وجندت أجنادها وكثرت بالحمرة سوادها وعصفرت للرفاق أبرادها واشتملت بملاءتها العسجدية وحلت في الأفواه حلاوتها الوردية

وحاصله أن هذا الكتاب مخلق تملأ الدنيا بشائره وأن أحمر رمزه قد أصبح والأحامرة الثلاثة ضرائره

لقد عاقده منشئه أن ينظم جواهر البلاغة عقودا لجيده فأوفى بالعقود

ونفح عنبر نفسه فالضائع من المسك عنده مفقود ودام ورد رياضه على العهد خلافا لما هو من الورد معهود
352.
فلاح للمملوك من كتيبة براعته الخضراء بطل بعد بطل وهام القلب بوابل سحابه السحباني هيام علية بطل وانطلق في وصفه الجنان ورأى به رياضا لو رآها أبو نواس لسلا بها عن جنان وثنى عنانه عن عنان وألجم منشئه المتأدبين حين أطلق فيه العنان فإذا هو مفتتح ببديع أغلق على صاحب المفتاح باب الكلام وخط أصبح ابن البواب له كالغلام وقال المصنف
(من هام في هذا يعان % ولا يعاب ولا يلام)
فاشتغل به عن كيت وكيت وعظم قدر معانيه الأصلية حين وجد كل معنى منها في بيت فرأى الجنان وحورها وعقود الحسان ونحورها ودرر الألفاظ وبحورها وسواحر البيان وكيف أصبح القلب مسحورها
وأوى بين أبياته الأدبية إلى دار حديث وأسانيد يحصل بها من ميراث النبوة التوريث
353.
وقال سبحان من توج بهذا التاج لهذا الشأن مفارق طرقه وأطلع به بعد الأفول بدره من أفقه
ورغب إلى الوهاب أن يديم على عبده ما وهب ويحفظ هذا الحافظ لتتجلى الأسانيد منه سيما إذا روى عن الذهبي بسلسلة الذهب
فلله دره حافظا أنسى الناس إذا رتل المتن من درج ومحدثا تبحر في علم الحديث فحدث عنه ولا حرج
فاق على مشايخ العصر القديم في الحديث ووصل بأسانيده العالية إلى مدى لا يوصل إليه بالسير الحثيث
وتمسك الطالب من أسانيده المتصلة بحبل وثيق وأسكره ما سمع من حلو الحديث فلا كرامة لمر العتيق
وأملى الأمالي التي ليس لها قالي وطعن الخصم في معترك الجدال من أحاديثه بالعوالي فالحديث لا يعرفه إلا من هذا الوجه طالبه ولا تأتي له إلا من هذا البيت غرائبه
ورأيت من الفوائد الحديثية ما ذهل كثير من الحفاظ عنها وورد على المملوك منها
(حديث لو أن الميت نوجي ببعضه % لأصبح حيا بعد ما ضمه القبر)
354.
وأملت أحاديث أحلى في النفوس من المنى وأسماء إذا وصفتها على سبيل الاكتفاء قلت أحلى من الكنى
فعلمت أن هذا المحدث قد أرضع بلبان هذا الفن وغذي وتحدث الناس

بانفراده فيه فهو الذي
(حديثه أو حديث عنه يعجبني % هذا إذا غاب أو هذا إذا حضرا)
(كلاهما حسن عندي أسر به % لكن أحلاهما ما وافق النظرا)
فحرس الله سين أسانيده بقاف وحاء تحويله بحم الأحقاف فقد أحيا السنة المحمدية حتى أسفر صبحها في هذا العصر وأورد إذ هو جوهري هذا العلم صحاحه ولا ينكر الصحاح لأبي نصر
فهو إمام العلوم على الأبد والسابق للعلياء سبق الجواد إذا استولى على الأمد والسيد الحافظ الذي داره لا دار مية بين العلياء والسند
.355
والشيخ الذي اختص بعلو الإسناد والمحل والرحلة الذي ينشد الطالب إذا حث ركائبه إليه ورحل
(إليك وإلا تساق الركائب % وعنك وإلا فالمحدث كاذب)
على أنه عالم مناظر وحافظ مذاكر وأديب محاضر وذو اطلاع ينشد
(كم ترك الأول للآخر %)
فهو بين العلماء إمام ملتهم ومصلى قبلتهم ومجلي حلبتهم والمنشد عند طلوع أهلتهم
(أخذنا بآفاق السماء عليكمو % لنا قمراها والنجوم الطوالع)
عدنا إلى اجتلاء تلك العروس واجتناء تلك الغروس فأكرم بها عروسا ترفق من الطروس في حلل وتسير من خفرها في كلل وأعظم بها غريبة يطيب ببيت شعرها لا ببيت شعرها الحلل أنصارية النجار لا خور في عودها إذا انتمى إلى بني النجار ولا خلل
.356
سار ذكر بيتها الطيب في الأمصار وعلم أن من الإيمان الاعتراف بحق الأنصار لما أخبرناه العدل أبو الحسن علي بن مسعود بن بهتك العجمي قراءة عليه وأنا أسمع قيل له أخبرك الشيخ أبو العز بن الصيقل فأقر به أخبرنا أبو علي ضياء بن أبي القاسم أخبرنا القاضي أبو بكر الأنصاري أخبرنا أبو القاسم بن علوان أخبرنا أبو القاسم الخرقي حدثنا أبو بكر النجاد حدثني محمد بن عبد الله حدثني عيسى بن سبرة عن أبيه عن أبي سبرة قال قال رسول الله (ألا لا صلاة إلا بوضوء ولا وضوء لمن لم يذكر اسم الله عز وجل ألا لا يؤمن بالله من لا يؤمن بي ولا يؤمن بي من لا يعرف حق الأنصار)
اكتفى المملوك بهذا الحديث الذي أفرده على سبيل التوصل به إلى البركة والتوسل وترك الكلام عليه لئلا تخرج به الرسالة عن حد الترسل وعلم أن هذه الطرق لا يسلكها جواده الوجي وأنه إذا طار بهذا المطار يقال له ليس هذا بعشك

357. فادرجي فلست من رجال هذه المحافل ولا من فرسان هذه الجحافل أما علمت أن الخارج عن لغته لحان وأن الداخل في غير فنه يفضحه الامتحان غير أنه تجاسر على هذه الصناعة واستكثر على نفسه ما أورده منها لقلة البضاعة ونطق بين يدي ملكها وقابل بالمصباح شمس فلكها وانتقل إلى مقام حدثنا بعد مقام أما بعد وقابل بالذي أسنده ما أسنده مولانا وكيف يقابل مسند سيد بمسند عبد وقال عند قراءة ما أورده سيدي من أحاديثه زدني من حديثك يا سعد وقال مضمنا

(علم الحديث إلى أبي نصر غدا % من دون أهل العصر حقا يسند)

(أضحى أمير المؤمنين بقبة % ويد الخلافة لا تطاولها يد)

فلذلك عجل المملوك إلى فنه الأدبي منجاه وترك الكلام في الحديث قائلا كما قال غيره بضاعتنا في الحديث مزجاه

ثم انتهى المملوك إلى ما وصفه سيدي من حبه لعبده وخصه به من فضله ووده ونظر إلى حبه لسيدي فإذا هو كئوس

(لها في عظام الشاربين دبيب %)

358. وعروس

(لها بهجة بين الملاح وطيب %)

وغروس

(يلذ جناها في فمي ويطيب %)

وأصل كريم النتاج وملك لا يليق أن يرتفع على رأسه إلا هذا التاج فليس الحب إلا ما نشأ عليه القلب ونما وربي في أرض من المودة وسما

(وليس بتزويق اللسان وصوغه % ولكنه ما خالط اللحم والدما)

وحقا ما أقول

(أحبك حبا ما عليه زيادة % ولا فيه نقصان ولا فيه من من)

بل أقول

(أحبك أصنافا من الحب لم أجد % لها مثلا في سائر الناس يعرف)

(فمنهن أن لا يعرض الدهر ذكركم % على الروح إلا كادت الروح تتلف)

(ومنهن حب للفؤاد يخصه % فلا أمتري فيه ولا أتكلف)

(وحب بدا للجسم واللون ظاهرا % وحب لدى نفسي من الروح ألطف)

وأقول

(أحبك يا شمس الزمان وبدره % وإن لامني فيك السها والفراقد)

لقد رفعت لهذا الحب في القلب قباب ونصبت له خيام لها من حبال الوصل
359. وسماء الود أوتاد وأسباب وأصبح كذوات مولانا التي كلما عمرت زادت شبابا على شباب وتميزت أعداده على أعداد من جعل لمحبوبه الواحد ثلاثة أحباب
لقد اتحدا بروح العبد حتى التبس عليه أيهما الروح وامتزجا فما أردي بأيهما يغدو الجسم ويروح
وسرى كل واحد منهما في صاحبه سريان الأعراض في الجواهر وصارا ذاتا واحدة فما أولاهما بقول الشاعر
(دعاها بيا قيس أجابت نداءه % ونادته يا ليلى أجاب نداءها)
أو بقول ابن سناء الملك
(وبتنا كجسم واحد من عناقنا % وإلا كحرف في الكلام مشدد)
فأحب الله ذات مولانا البديعة الصفات وحرس جنابها من الآفات فلا يزال العبد يقربها للقلب بتذكاره ويصورها نصب عينيه بأفكاره حتى كاد القلب لا يشكو النوى ويصير في حالتي القرب والبعد على حال سوى
وأما أشواق المملوك فقويت وتضاعفت وتزايدت وترادفت وتجندت أجنادها فائتلفت وتعارفت وروى الصب عنها حديثي الزفير والدمع بعلو ونزول وأنشد مقيمها الذي لا يحول عن عهده ولا يزول
360.
(كم نظرة لي حيال الشام لو وصلت % روت غليل فؤاد منك ملتاح)
وينشد
(نادمت ذكرك والظلماء عاكفة % فكان يا سيدي أحلى من السمر)
(فلو ترى عبرتي والشوق يسفحها % لما التفت إلى شيء من المطر)
ورام أن يتشبث بشوق مولانا ويتعلق ويرقى لفتح المصراع الثاني من بيت الزحلوقة فتزحلق فنظم بديها وفي ضلوعه ما فيها
(شوقي لوجهك شوق لا أزال أرى % أجده يا شقيق الروح أقدمه)
(ولي فم كاد ذكر الشوق يحرقه % لو كان من قال نارا أحرقت فمه)
ثم قلت مضمنا
(روحي تقول وقد جاءت رسائلكم % هل لي إلى الوصل من عقبى أرجيها)
(ولم أكن قبلها بالشوق أقتلها % إلا لعلمي بأن الشوق يحييها)
(ولي دموع بسري للورى نطقت % فأطلعت قلبها للناس من فيها)
(كالنار لونا وإحراقا فوردتها % تجني على الكف إن أهويت تجنيها)

.361
ورأى الإشارات التي شوقته إليها شوق العليل إلى الشفاء وأهل مصر إلى الوفاء
ووصف سيدي ألفاظ المملوك وكان من حقها أن تلفظ ولحظها بعين العناية وكان من شأنها أن لا تلحظ وذكرها في مقام التنويه وكان اللائق بها أن تنسى ولا تحفظ
إلا أنه أودع سجعه منها شيئا تغير منه قلب النيل وانكسر ورام فتح باب العباب فما جسر
وانتهيت إلى النظم الموشح بقلائد العقيان فإذا له زجل وقيل لي أهذه هي الجواهر الجليلة فقلت أجل
ورأيت ما في وصفه ليالي البعد من الاستعارة وعلمت أن مولانا خليفة الأدب الرشيد وغيره فيه مسلوب العبارة
وتأملت ما ذكره من أمر الفراق فلا يذم لكونه كان سببا للتلاق ومبلغنا لتلك الأماكن المقدسة والجهات التي هي على التقوى مؤسسة ولا يذم بين فيه إصلاح ذات البين ولا انتقال مولانا الحسن الشبيه بقول ابن الحسين
(فراق ومن فارقت غير مذمم % وأم ومن يممت خير ميمم)
.362
وذكر سيدي المشيب فوارد المملوك على معنى كان نظمه قديما وهو

(قد بان عصر شرابي % مذ بان عصر شبابي)
(وقد جددت بشيب % والشيب سوط عذاب)
فأما ما ذكر مولانا من الشوق فهو يعرب عن شرح حال العبد من بعده ويبرهن عن صب يقول من حرقه ودمعه على بعده
(في العين ماء وفي القلب لهيب لظى % وقد تخوفت في الحالين من تلفي)
(كالعود يقطر والنيران تحرقه % كالماء في طرف والنار في طرف)

وأما ذكره زمان أنسه والأوقات التي يفدي العبد دست سرورها بنفسه فهو عندي الزمان الذي ابتسم فيه السرور والمنية التي كان الخصيب على مثل عيشها الأخضر يدور
وذكر مولانا الغربة فكان مولانا بمصر هو الغريب العزيز وشيخ العلوم الذي ابتسمت به ثغور مصر حين بلغت به سن التمييز وما كان الغريب فيها إلا علمه ولا المناسب لارتقاء المناصب إلا حلمه ولا المرسل لأغراض المعالي وقلب المعادي

363. إلا سهمه ولا المؤثر في قلوب أهلها إلا حبه ولا الملائم لكل ذي عقل بعيد من الخطأ إلا قربه
وأما ما ذكره عن العبد من الإهمال واشتغاله عن مواليه مع فراغه من الأشغال فأنا هنالك ولكني مع ذلك
(أغيب عنك بود ما يغيره % نأي المحل ولا صرف من الزمن)
فوالله ما تباعدت إعراضا ولا تبدلت معتاضا
(وما كان صدى عن حماك ملالة % ولا ذلك الإحجام إلا تهيبا)
واهتديت للمصباح الذي اقتبسه سيدي من الآية وتأملته فإذا فيه من الاكتفاء تنبيه وكفاية وأحببت المقطوع الموصول الحسن المطبوع فقلت
(يا أيها البحر الذي هو عدة % لخطوب دهر لا يطاق عديدها)
(ما ضر ذاتي كل ما اتصفت به % إن كنت مع تلك الصفات تريدها)
مع علمه بانقطاع مقطوعه عن مولانا وأن ذلك المقطوع وصل إلى مدى ما أجدرنا بالوقوف دونه وأولانا وأن ذلك التضمين يمين وأن القرائح لا تبرز مثله من كمين وأن الحاسد له إذا توقد غيظا كانون صدره فهو بذلك قمين
هذا مع ما فيه من حلم سيدي وإغضائه وكرمه الذي تشهد به من العبد سائر
364. أعضائه وصحيح الود الذي يعامل به عبيده على علاتهم وتغافله عنهم عملا بقوله (دعوا الناس في غفلاتهم)
ووصلت إلى ما طرزه القلم على ذلك الرسم فوقف العبد عند حده ورأى من ذلك المنطوق القول الشارح لصدق وده
ثم ناديت بما أسنده من حقيقة المحبة وبينه من آداب الصحبة فحفظ الله عيش عهده الخضر على يأس الهوى ورجائه ومحبته التي لا تتغير وإن زاد المملوك في جفائه
وتأملت بالعين ذلك الأثر وأسمعت أذني منه في قراءته أطيب الخبر وجرى الفهم لما أشار حين وقف عليه وتيقظ لما أومى إليه وحللت رموزه واستثرت كنوزه
فأما ما حكم به الشيخ الإمام عليه فهو اللائق بتحقيقه والقول الذي تتوفر دواعي العارفين بمقاصد الشرع على تصديقه
وأما ما ذكره سيدي على قول الخياط وفضله وسواه من الكلام قاضي ذهنه وعدله فهو كلام محرر وسكر مكرر وسيف بدر لفظه مجوهر إلا أن
365. المملوك رأى نفسه عند استشهاده ببيت الخياط شاعرا بوصله وأديبا إذا حاز الأدباء خصل السبق لم يحز من الفضل خصلة
وكأن الخياط فصل تفاصيل حال البعد في بيته بالخيط والإبرة وقصها

بعد أن قاسها على حاله فما نقصت ذرة
ثم توجه المملوك إلى ما ذكر عن مالك وسلكت في تلك المسالك فإذا مدارس علوم ومدارك فهوم وأبحاث منقحة وجنات أبوابها مفتحة
وفهمت ما أشار إليه بذلك المنقول عن مالك فلا حرج على من تكلم ولا يعجز المملوك أن يكون كأبي ضمضم
وأما ما عند سيدي للعبد من الارتياح والتطلع لأخباره السارة في الغدو والرواح فحال العبد غير منتقلة عن هذه الحال ولا يأويه إلا إلى بابه الارتحال
(بعدت فواشوقاه عن أبيض الثنا % وغبت فوالهفاه عن أخضر القنا)
(أشع مدحه العالي وذرني والعدى % وبح باسمه الغالي ودعني من الكنا)
فمتى ترد إلى العبد روحه وتعاد ويحكم قاضي القرب بنقض ما حكم به قاضي البعاد
366.
وأما ما عرض به من حكاية القاضي واللص فما على ذلك بمعرفة إسنادها فإنها عند المملوك بغير إسناد وعرض للمملوك سؤال وهو أنه هل يجوز رواية ما يقع في مكاتبة من إسناد حديث أو غيره من غير إذن في الرواية وهل يكون ذلك كالوجادة
وكان غرض سيدي منها أن يخاطب المملوك بما خاطب به القاضي اللص من تلك العبارة ويومئ إلى ما تعانيه الشعراء من السرقات بألطف إشارة والمملوك مغالط في فهم ذلك بحسه غير آخذ ذلك المعنى لنفسه ومما يعجب المملوك من أبيات اللص قوله
(قالت وقد رابها عدمي ثكلتك من % راض بنزر معاش فيه تكدير)
(مهلا سليمى سينفي العار عن هممي % هم وعزم وإدلاج وتشمير)
(ماذا أؤمل من علم ومن أدب % مع معشر كلهم حول الندى عور)
ولقد أحسن القاضي حين صرف اللص بعد اطلاعه على فضيلته مكرما وحلله من ثيابه بعد أن صيره بتجريده منها محرما
وأما غيره سيدي على بنات فكره الذي دق باب البلاغة إذ دق وتخوفه عليها من المملوك ولسان حالي يتلو (^ مالنا في بناتك من حق) فخوف سيدي على كلامه
367. المحرر خوف ابن برد من سلم على مبتكراته أو السري من الخالديين على اختلاس معانيه من أبياته فلله در السري حيث يقول متظلما منهما
(شنا على الآداب أقبح غارة % جرحت قلوب محاسن الآداب)
(تركت غرائب منطقي في غربة % مسبية لا تهتدي لإياب)
(جرحى وما ضربت بحد مهند % أسرى وما حملت على الأقتاب)

(إن عز موجود الكلام لديهما % فأنا الذي وقف الكلام ببابي)
وأما ما ذكره عن مصر في فصل التشوق على سبيل الإدماج وإرساله ذلك السيل الذي طما تياره إذ ماج فأثار ترابها وطير ذبابها فهي ذات الغبار الذي لا يلحق والذباب الأسود الذي يقاسي منه في النهار الأبيض العدو الأزرق
(أحبه قومه على شوه % أم القرنبى تخالها حسنه)
368.
وأما المملوك فالبلدان عنده هما ما هما ومدينتان لم يبق في الأمصار سواهما ووديان
(حللت بهذا حلة ثم حلة % بهذا وطاب الواديان كلاهما)
فهو يصافيهما ويوافيهما ويعامل كلا منهما بالحسنى وتكرم مصر لوجهها الوسيم ودمشق لشرفها الأعلى ومقامها الأسنى
ويصبح ثانيا لعنان التفضيل بين البلدين من أول وهلة تاركا للتفصيل بالجملة ولا يستنجد من حلاوة نيل مصر بأجناد من العسل ولا يحرك من عيدان قصبها ما يقوم مقام الأسل
ولا يتعرض لدمشق إلا بما يرضيها ولا يجرد في عيوبها سيوفه ولا ينتضيها ولا يومئ إليها على سبيل الذم عيون كلامه برمزه ولا يبرز من مرماه أقواله إلى مقامها برزة لكن يقول سقى الله دمشق سحابا تقوم صحون ديارها لأخلافه إذا تحلبت مقام القعب ويصبح كف الثريا لها بمائها أسمح من كعب
وذكر سيدي الشام وسحابها وشمول المطر رحابها فقد نقل أنه هم الأقطار
369. وغرق صحن جامعها القطر من الأمطار واتشحت العروس من در البرد بوشاح وكاد النسر أن يطير إلى مكان يعصمه من الماء وكيف يطير مبلول الجناح حتى أصبح طوفان الماء به وهو متلاطم وتلا كل قارئ فيه حتى روى ماؤه عن ابن كثير فلم يجد نافع ولا عاصم
وتوالت على طرق المصلين المياه والأوحال وسالت الشرائع فشرع للمؤذنين أن يقولوا ألا صلوا في الرحال
فعظم لنزول السماء على الأرض بلا كيل الفرق وجرى طوفان المياه إلى الجامع فكاد أن يلجم نسرا وأهله الغرق وأصبح كافوري الثلج من الأرض وهو متداني وندف قوس السحاب قطنه على جنة الزبداني
ورأى الناس في يومه الأبيض الموت الأحمر وشاب منه في الساعة شارب الروض الأخضر
370.
وبيض لرؤوس الجبال فودا ولبس مسالكها فكأن فضتها النقرة ببياضها سودا

وألبس ذوائب أشجارها حلة المشيب وستر برد بستانها الأخضر القشيب
وحمل بكتيبته البيضاء على كتيبته الخضراء وجارى الأعوج جري سكاب دانيه على الغبراء
وعادت قلة كل جبل منه وهي ثلجية وكاد نهاره يستر ببياض ثوبه الدري سواد حلة الليل السجية
ومال ماء السحاب على الضياع فتداعت حيطانها ونزح من لم يقدر على نزح المياه من قطانها
وكاثر مياه أنهارها بتلك المياه وما استحى منها على كثرة حياه
فقلت حين بلغنا أن الماء طغى بالشام وعتا وطال بها على من حل فيها مقام الشتا
(قد طول البرد في إقامته % بالشام والنفس عندها ضجره)
(وقلت إذ شاب منه مفرقه % بالثلج يا برد شاخت العشره)
371.
وقلت
(الثلج قد جاء على أشهب % وعم بالبلقا وسيع الفضا)
(فارتاعت الشقراء من جلق % إذ سل من أبيضه أبيضا)
إلا أنه جبر ذلك بألف نعمة ونظرت إلى الشام أمطاره بعين الرحمة
(وإن يكن الفعل الذي ساء واحدا % فأفعاله اللائي سررن ألوف)
وأما قول سيدي إنه ما تعرض لمصر بتعريض في كلام واحتج بما ذكره عن الشام ففرق بين ما عيبت به مصر من طين وتراب وطنين ذباب وبين ما نسب إلى دمشق من كافور ثلج وإيقاع رباب لكنها تقول حين جبرها من حيث كسرها وشرفها حين أمرها على باله وذكرها
(لئن ساءني أن نالني بمساءة % لقد سرني أني خطرت بباله)
فهي تقنع بأن رفع عنها جانب تجافيه ووصفها بوصف فيه ما فيه
ومما يذكره العبد أنه لو نصب بين هذين المصرين المنافرة وأقام سوق المفاخرة لأنسى بحرف الفخار حرب الفجار ولأبطل حجاج كل واحدة من حجاج
372. الأخرى بما أبطل ولأثار بين النيل وأنهار دمشق عند المحاربة غبار القسطل لكن ثنى المملوك عن المفاخرة سير العنان وعنان السير وألقى بيده إلى السلم وتلا لسانه (^ والصلح خير) عالما أن المكابرة من الصغير مع هبوط قدره لا تصعد وأن سحاب العناد جهام وإن أبرق وأرعد
ثم انتهى المملوك لما تشرف به من خلعة الخلة والحلة التي جر ذيلها على شاعر الحلة ووصلت كثرة لثمه لتلك الألفاظ إلى العدد الذي لا يغلب من قلة

ثم هيأ هذا الجواب بعد الاستقصاء لجهده في الشكر والاستيعاب والتمهيد للفظ إذا تمثل عند نفسه بباب سيد علماء زمانه لا يعاب آخره ولله الحمد والمنة

بسم الله الرحمن الرحيم القضائي التاجي المملوك إبراهيم القيراطي يقبل الأرض ذات الكرم والشرف الذي علا على إرم إن لم يكن أرم والأنهار التي لمائها رونق ماء الشباب فأنى يفاخر بالنيل إذا بلغ الهرم والحمى الذي أنشد سلامنا المكي حين سار إليه

(ما سرت من حرم إلا إلى حرم %)

.373

(فهي للوفد كعبة ومطاف % ومقام وموقف ومثاب)

مهديا إلى تلك الأرض المقدسة تحيات هذه الأرض المحرمة مبلغا لبقاع الشام المباركة سلام هذه المشاعر المحترمة معوذا ذلك المقام بهذا المقام ومناهل تلك المشارب الصافية بماء زمزم الذي هو طعام طعم وشفاء سقام

رافعا دعاء يطوف بالبيت العتيق جديده ويأوي إلى ركنه الشديد سديده

وتسقى بماء زمزم غروسه وتروق على يد العبد في المقام كؤوسه وتشرق فيه شموعه بل شموسه

ويتأرج بحضرته زهوره ويشيع في بطون تلك الأودية المشرفة ظهوره ويكفل البيت وليده في حجره إلى أن يبلغ نهاية السعود ويكون له من البيت المحجوج إلى البيت المعمور على درج الإجابة صعود ويفوح عرف قلم مسطره ويحلو ويطرب فهو في أحواله الثلاثة عود

محوطا ركنها الشامي بالركن اليماني وجهاتها الست بالمحل الذي أنزلت به في إحدى المرتين السبع المثاني

.374

مواظبا على الثناء الأبيض عند الحجر الأسود ناظرا من شيمة مالكها البيضاء ما لم تره الزرقاء كلما اكتحل من إثمد حلة البيت السوداء بمرود

وينهي ما اشتمل عليه من الود بمكة والصفا والشوق الذي أصبح منه بعد شفاء القرب على شفا والدمع الذي شابه النيل في أوصافه زيادة وحمرة ووفا

مطالعا للأبواب العالية بأنه خيم بفناء البيت ونزل وأحب جوار الله اعتزالا للناس ولا بدع لجار الله إذا اعتزل

فلعل أن تتمهد له فرش الجنان عند تعلقه بتلك الأستار وعسى أن يجد بذلك البيت سببا لنجاته في تلك الدار وتروج مع أهل الربح بضاعة عمله المزجاة إذا حصل أهل الخسارة بدار البوار

ويصبح مكانه في الجنة في محل رفع إذا قطع العيش بجوار ذلك الحرم خفضا على الجوار
ويعد واصلا بتدبير الله تعالى لكيمياء السعادة إذا ظفر بذلك الحجر المكرم ويصير كل زمانه ربيعا إذا حل بذلك البيت المحرم
ويسفر له من ذلك الأفق صبح الأماني وينشد إذا ضرب عنق شيطان هواه من تلك الأركان باليماني
(ألا أيها الركب اليمانون عرجوا % علينا فقد أضحى هوانا يمانيا) 375.
واختار أن يكون في مظنة الإجابة ليقوم من وظيفة دعائه بما التزم وأن يواظب على ذلك الملتزم في المقام وعلى ذلك المقام في الملتزم
فسقى الله عهد مولانا الذي طالما ترنم به العبد حول الحطيم وزمزم وقام واجب قلبه من فرض ذكره بما يلزم
ومما حث المملوك على هذه العبودية أنه وجد مولانا ذكره من كتاب ورد منه في ناحية واستفهم عن حاله في حاشية رقعته ومن المملوك في الرقعة حتى يعد في الحاشية
لقد نطق العبد بالثناء عليه جهرا وشد قدومه له ببطن مكة ظهرا وشكرت جوارحه فضلك الذي داوى على البعد جريحا وقريحته بعطفك الذي شفى من البين قريحا ونشق البيت نسيم ثنائه وكيف لا ينشق لنسيمه ريحا
(وقد بلغ الضراح وساكنيه % نثاك وزار من سكن الضريحا)
وصاغ لسانه شكر ما تطوق به جيده من هذه النعمة ولم يكن له لعمري
376. بذلك طوق وتحلى من در كلامه بما لا يعرفه إلا أهل السلوك ومن شهده بما لم يشهده إلا أرباب الذوق
فأصبح المملوك حين ذكر في الحاشية من أهل الطرب وأنشده لسانه ولقلبه في ورود سلام مولانا أي أرب
(رضيت بالكتب بعد البعد فانقطعت % حتى رضيت سلاما في حواشيها)
إي والله المملوك راض من كتب مولانا بعد الهجر بوصل وقانع من كلامه في كل سنة بفصل
فشكر الله لافتقاد مولانا هذه المنة وهذا الفضل الذي ليس لإطفائه نار الشوق جزاء إلا الجنة
ولقد علم المملوك حين وقف على خط مولانا أن جفن صدقاته لا تطرقه عن مماليكه سنة وغفر سيئات الزمان حين لاح له بوجه الطرس من نقطة حسنة بعد حسنة وإلا فللمملوك عن رسالة مولانا

قبل أن يغيب عن مصر جواب حاضر وهشيم نبت يغضي حياء إذا قابل بالناظر روضها الناظر فإنه كان أنشأ رسالة مطولة ولكنها عن طائرات كلم مولانا المحلقة مقصرة وجهز من بنات فكره كل حوراء بطرف سحر البيان مبصرة وجلاها عروسا يعقد عليها العاد حين حلت خنصره وأبرزها درة تاج وكعبة لها من ذخائر المعاني رتاج وكريمة لها من كرائم بنات الفكر نتاج فعزمت

377. على التوجه فحيل بينها وبينه بما حيل وتحركت نفسها برقعتها للسير فحبسها حابس الفيل

وأيضا فكان المملوك ينشئ فيها وهو يتأهب للحج وكلما ظهر غمر عزمه سلك شيطان شعره فجاء غير ذلك الفج فوجد المملوك على نفسه حين فقد من إرسالها ما فقد واجتهد في إيصالها للبلاد الشامية فإذا الحجاج قد

(أخذت حداتهم حجازا بعدما % غنت وراء الركب في عشاق)

وإذا توجه العبد إن شاء الله تعالى إلى الديار المصرية وجه بها إلى الأبواب العالية وأنفذها وإن كانت عاطلة لتصبح إذا لحظها مولانا بالعين حالية وكيف لا ينفذها وهو كلما تذكر بعده عن بانه أن وكلما فكر في قربه منه في الزمان السالف حن وكلما سأل دمعه الزمان أن يجود باللقاء ضن فهو بأسره مع البين في أسر وقلبه بالنوى في كسر وكأن طائر فؤاده المضطرب إذا تذكر قبة النسر

(قطاة عزها شرك فأضحت % تجاذبه وقد علق الجناح)

فهو يذوب تلهفا وينشد تأسفا

(أسرب القطا هل من معير جناحه % لعلي إلى من قد هويت أطير)

378.

وكيف يطير مقصوص الجناح ويسير أسير أثخنته في معترك البين الجراح طال ما شام بمصر برق الشام وخلع في حب جنة الزبداني قميص الاحتشام وتعطش إلى ريان رياضها حلاها القطر إذا عطر في القفر البشام وقال لأمانيه وقد حدثته برؤيتها

(إن كنت كاذبة الذي حدثتني % فنجوت منجى الحارث بن هشام)

وما زال المملوك يتشوق إلى ما بدمشق من البقاع ويثبت من وصفها المحقق ما تحلى به عند النسخ الرقاع

وما برح في هذه المدة تجاه الكعبة المشرفة يعطيها من كنوز الدعاء بالحجر سماحا ويكرر أوراده منها مساء وصباحا ويعوذ بالحجر الملتزم أحجارها وبالميزاب فوارها وبزمزم أنهارها وبالبيت دارها كما يعوذ سنيرا بثبير

ويذكي بالدعاء له في أم القرى على أبي قبيس القبس المنير

ويود لو رأى حسن معهدها ورقص طربا حول مغانيها التي فاقت

المعاني بمعبدها فلله جامعها الذي جمع الطلاوة وقلت حين أصبح للصلاة في صحنه حلاوة
379.
(الجامع الأموي أضحى حسنه % حسنا عليه في البرية أجمعا)
(حلوه إذ حلوه فانظر صحنه % تلقاه أصبح للحلاوة مجمعا)
وقلت
(سقى بدمشق الغيث جامع نسكها % وروضا به غنى الحمام المغرد)

(إذا ما زها في العين من ذاك معبد % لذكر حلا في السمع من ذاك معبد)
وقلت
(دمشق في الحسن لها منصب % عال وذكر في الورى شائع)
(فخل من قاس بها غيرها % وقل له ذا الجامع المانع)
وقلت مضمنا
(دمشق بواديها رياض نواضر % بها ينجلي عن قلب ناظرها الهم)
(على نفسه فليبك من ضاع عمره % وليس له فيها نصيب ولا سهم)

وقلت مادحا
(للصب بعدك حالة لا تعجب % وتتيه من صلف عليه وتعجب)
(أبكيته ذهبا صبيبا أحمرا % من عينه ويقول هذا المطلب)
(وقتلته بنواظر أجفانها % بسيوفها الأمثال فيها تضرب)
(رفقا بمن أجريت مقلته دما % ووقفت من جريانها تتعجب)
(نيران بعدك أحرقته فهل إلى % نحو الجنان ببعد يتقرب)
(كم جيش العذال فيك وإنما % سلطان حسنك جيشه لا يغلب)
(من لي بشمسي المحاسن لم يزل % عقلي به في كل وقت يذهب)
(أحببته متعمما ومعنفي % أبدا علي بظلمه يتعصب)
380.
(ويعيب من طرق التفقه وجهه % والعشق يفتي أن ذاك المذهب)
(ولقد تعبت بعاذل ومراقب % هذا يزير والرقيب ينقب)
(ومؤذنا سلوانه وغرامه % هذا يرجع حيث ذاك يثوب)
(وأقول للقلب الذي لا ينتهي % عن حبه أبدا ولا يتجنب)
(قد كدت أنك لا تسميك الورى % قلبا لكونك عنه لا تتقلب)
(ولو استطعت فركته وأدرته % عنه ولكن ما لقلبي لولب)
(بأبي غني ملاحة أشكو له % فقري فيصبح بالغنى يتطرب)
(قمر على غصن وغصن فوقه % قمر على طول المدى لا يغرب)

(قل للغزال وللغزالة إن رنا % أو لاح يهرب ذا وتلك تغيب)
(ما زلت أرفع قصة الشكوى له % وأجر أسباب الخداع وأنصب)
(حيث العواذل والرقيب بمعزل % عنا وحيث الوقت وقت طيب)
(وطلبت رشف الثغر منه فقال لي % ما في الوجود سوى المدامة يطلب)
(وغدا ينادمني وكأس حديثه % أشهى إلي من العتيق وأطيب)
(وأقول حين رشفت صافي ثغره % من بعد ثغرك ما صفا لي مشرب)
(قال احسب القبل التي قبلتني % فأجبت إنا أمة لا نحسب)
(لله ليل كالنهار قطعته % بالوصل لا أخشى به ما يرهب)

.381

(وركبت منه إلى التصابي أدهما % من قبل أن يبدو لصبح أشهب)
(أيام لا ماء الخدود يشوبه % كدر العذار ولا عذاري أشيب)
(كم في مجال اللهو لي من جولة % أضحت ترقص بالسماع وتطرب)
(ولكم أتيت الحي أطلب غرة % بعد الرحيل فلم يلح لي مضرب)
(ووقفت في رسم الديار وللبكا % رسم علي مقرر ومرتب)
(وأقمت للندماء سوق خلاعة % يجبى المجون إلي فيه ويجلب)
(ثم انتبهت وصبح شيبي قد محا % ليل الشباب وزال ذاك الغيهب)
(ورجعت عن طرق الغواية مقلعا % وسفين رشدي للسلامة مركب)
(وذكرت في عليا دمشق معشرا % أم الزمان بمثلهم لا تنجب)
(قوم بحسن فعالهم وصفاتهم % قد جاء يعتذر الزمان المذنب)
(قوم مديحهم المصدق في الورى % ومديح أهل زمانهم فمكذب)
(لا تسأل القصاد عن ناديهم % لكن يدلهم الثناء الطيب)
(يا من لحران الفؤاد لطرفه % لما تدمشق أدمع تتحلب)
(أشتاق في وادي دمشق معهدا % كل الجمال إلى حماه ينسب)
(ما فيه إلا روضة أو جوسق % أو جدول أو بلبل أو ربرب)

.382

(وكأن ذاك النهر فيه معصم % بيد النسيم منقش ومكتب)
(وإذا تكسر ماؤه أبصرته % في الحال بين رياضه يتشعب)
(وشدت على العيدان ورق أطربت % بغنائها من غاب عنه المطرب)
(فالورق تشدو والنسيم مشبب % والنهر يسقي والحدائق تشرب)
(وضياعها ضاع النسيم بها فكم % أضحى له من بيننا متطلب)
(وحلت بقلبي من عسال جنة % فيها لأرباب الخلاعة ملعب)

(ولكم طربت على السماع لجنكها % وغدا بربوتها اللسان يشبب)
(فمتى أزور معالما أبوابها % بسماحه كتب الكرام تبوب)
(وأرى حمى قاضي القضاة فإنه % حصن إليه من الزمان المهرب)
(ما زال للعلماء فيه تعلم % منه وللأدباء فيه تأدب)
(كم طالب للعلم فيه وطالب % للمال تم لذا وذا ما يطلب)
(علماء أهل الأرض حين تعدهم % في الفضل دون مقامه تتذبذب)
(وله مذاهب في المكارم حاتم % لو عاش كان بمثلها يتمذهب)
(كثرت عطاياه فخلنا أنه % معن وحاشاه بذلك يلعب)
(لله منه مكارم تاجية % سبكية تبدو ولا تتحجب)
.383
(قاض مقر العدل في أبوابه % فالجور من أرجائها لا يقرب)
(راض الأمور فأقبلت منقادة % وزمامها بيديه لا يستصعب)
(ما قدموا يوما علاه لمنصب % إلا علا قدرا وقل المنصب)
(يجري الندى للواقفين ببابه % ويصوبهم منه السحاب الصيب)
(قاضي القضاة كليم بعدك لم يزل % للقرب من ناديكم يترقب)
(لولا تلهب قلبه بلظى النوى % ما بات وهو على اللقاء يلهب)
(ولقد ذكرتك والوفود بمكة % كل إلى الله المهيمن يرغب)
(حطم الحطيم ذنوبهم وبزمزم % لهم مناهل وردها مستعذب)
(والكعبة الغراء أسبل سترها % ودعاؤنا من تحته لا يحجب)
(ولرحمة الرحمن من ميزابها % للطائفين سحاب عفو يسكب)
(فطفقت أخلص في الدعاء وظننا % أن الكريم لذاك ليس يخيب)
(ولفرط شوقي قد نظمت مدامعي % عقدا يؤلف دره ويرتب)
(ولماء جفني في الخدود تدفق % ولنار قلبي في الضلوع تلهب)
(يا ذا الأصول الصاحبية جودكم % للأصل في شرع الندى يستصحب)

(ولكم إذا تعب الكرام من العطا % يوم المكارم راحة لا تتعب)
(ها قد بعثت بها عروسا لفظها % بالسحر يأخذ بالقلوب ويخلب)
.384
(ولسيد الأكفاء قد جهزتها % بكرا يقرظها الحسود ويطنب)
(إن حاول الأدباء يوما شأوها % قولوا لهم بالله لا تتعذبوا)
(لم يدن من أسبابها إلا فتى % في هتكه بين الورى يتسبب)
(أنا إن نطقت بمدحكم في مكة % فكأن قسا في عكاظ يخطب)
(وإذا أتيت بدرة في وصفكم % فابن المقفع في اليتيمة يسهب)
(عش يا أبا نصر لتخذل بالندى % والجود جيش الفقر حين يطلب)
(وبقيت يا شمس الوجود وبدره % ما لاح نجم أو تبدى كوكب)
المملوك يرجو بعد تقبيل الأرض من بعد أن يمتعه الله تعالى بالمثول

بين يدي مالكها ويظفره بمطالب اللقا التي تنقذه من أيدي النوى ومهالكها ويفوز بعد نظم السلوك في وصفها بحسن السلوك في مسالكها

أصدر المملوك هذه الرسالة وقابل منها شمس ألفاظ مولانا بذبالة وخطر له أنه أهدى التمر إلى هجر فإذا ما أهداه حثالة وأنه أتى فيها من المعاني بدقيق فإذا هو قد أتى بنخالة

مع علمه بوقوف حال كلامه عند أمثال مولانا السيارة وأنه منحط الطبقة عن ألفاظه الطيارة فيضرب مولانا صفحا عن عبارته فإنها خالية من البراعة عاطلة مما يتحلى به في مصر أهل الصناعة

ومولانا يغترف من بحر لا يزال يبرز بالغوص فيه من الدر عجيبا ويبدي بين أهل الأدب من محاسنه غريبا ويتلو لسان بلاغته إذا استبعد المتأدبون استخراج معنى (^ إنهم يرونه بعيدا ونراه قريبا) .385

والحمد لله حق حمده وصلواته على سيدنا محمد خير خلقه وسلامه وحسبنا الله ونعم الوكيل

المملوك إبراهيم القيراطي

وقلت حين بلغني أن مولانا قاضي القضاة رزق ولدا ذكرا

(أبشر أبشر يا ابن الأفاضل بابن % وأب للعفاة منا حقيقه)

(يا له ابنا قد أبرزت بنت فكري % درة المدح فيه قبل العقيقه)

وقلت أيضا

(هنئت يا قاضي القضاة بسيد % نشرت بشائره بمكة للورى)

(أكرم به ابنا قد أضا قبس الهنا % بأبي قبيس منه في أم القرى)

وقلت

(قاضي القضاة ابشر بنجل لم يزل % يعلو على درج السيادة صاعدا)

(فلسان هذا الدهر أصبح قائلا % زاد الزمان بني المعالي واحدا)

وقلت

(نادى لسان الدهر حين أتى لكم % نجل له جد علي صاعد)

(زاد الزمان بني المعالي واحدا % لكنه كالألف ذاك الواحد)

وقلت مضمنا

(أتى لك ابن قادم بالهنا % فسر بالبشرى بني آدم)

(وقالت العليا له إذ أتى % أهلا وسهلا بك من قادم) .386

وقلت

(أبشر بخير قادم % للمجد والتقدم)

(قد قالت العليا له % على أسر مقدم)

وقلت
(بلغت في ابنك هذا غاية الأمل % فعن قليل يرى في حكم مكتهل)
(وعن قليل على من نجابته % يعيد بعد دروس لي دروس علي)
وقلت
(سمي ابن سيد أبناء العلا بعلي % لا زال ذا منصب بين الأنام علي)
(فقلت لما أتت بشرى البشير به % للعلم والفضل والعلياء والدول)
(بشرى سمي أمير النحل حين أتت % كانت بأفواهنا أحلى من العسل)
وقلت
(لله كم بشرى لنجلك أقبلت % فابشر به إذا جاء وابشر وابشر)
(كنيته بأبي يزيد والعلا % من قبل مولده تسميه السري)
وقلت
(يا سيدا زكت الفروع به % ونمت وطابت في الورى نشرا)
(بأبي يزيد ابشر فحين أتى % وافى الهناء مصاحبا بشرا)
وقلت
(ظني بعز الدين نجلك أنه % يبق لفعل مآثر ومكارم)
(فلذاك بشرت المعالي نفسها % من يوم مولده بعز دائم)
387.
وقلت
(أبشر بعز الدين نجلا قوبلت % علياه بالإكرام والإجلال)
(رقمت يد الأيام منه طرازها % لما بدا بالعز والإقبال)
الحمد لله على سيدنا محمد وآله وصحبه وسلم
هذه الرسالة أرسلها إلي الشيخ برهان الدين ابن القيراطي وقد جاور في مكة مع الرجبية في سنة أربع وستين وسبعمائة ثم حضر إلى القاهرة ي سنة خمس وستين وجهزها إلي ثم عاد إلى مكة مجاورا مع الرجبية سنة خمس وستين فكتبت إليه جوابها في شوال سنة خمس وستين وسبعمائة وجهزته إلى مكة ونسخته
يخدم بسلامه الأرض حيث تنزل السماء فيروى الظماء وتعشب الدنيا بأياديه البيض فهي الحلوة الخضراء ويرعى الكلأ ولا غضبان ثم من أنشأ

(وأعلم إن تسليما وتركا % للا متشابهان ولا سواء)
وحيث الملتجئ إلى حرم الله رغبة ورهبة العائذ به لا فارا بخربة اللائذ متعلقا بأستار الكعبة
وأقسم بمن منع أن تختل الدنيا بالدين ما خيل لي ختل ولا خطر لي لو لم تأت به القافية ابن خطل ولا دار على طرف لساني ولا تحرك مخضوب بناني لذكر خطأ ولا خطل وما كل مخضوب البنان يمين

388.
إيه وحيث الطواف بالبيت حجة عقب حجة والعمرة في رمضان عاما بعد عاما تعدل حجة بعد حجة والفرار إلى الله ذي الحجة البالغة يا لها من حجة
وحيث توضع خطايا وأوزار ويرفع ولا يخفض على الجوار عمل من حيا على بعد أوزار فكيف بمن والى بين رجبي مضر مزار نزار ثم أقسم وقد خيم بذلك الفناء البار أنه أحب جوار الله اعتزالا للناس وصرح بأنه لا بدع لجار الله إذا اعتزل وأشار وكدت أصوبه لكن خشيت قول ابن عمر إني منهم بريء ويقيني أن الله بريء من الجار
نعم وحيث البحر العجاج رؤبة الأدب وكعبته المحجوجة لكل محتاج والمنهل الذي يروي وفد البيت فتناديه الرواء (^ أجعلتم سقاية الحاج) تفجر عيونا فسقى الغضا والساكنيه ولحظه بالعناية والمشترك محمول على معانيه حاطه الله حيث أضحى وأمسى وتولاه حيث سار وحل
مؤديا بسلامه فريضة لا يخرجها عن وقتها ولا يقضيها مهديا تحيته على مبلغ قدرته
389. والهدايا على مقدار مهديها مبلغا بثينة بجميل القول أني لست ناسيها ولا المضيع لها سرا علمت به ما عشت حتى تجيب النفس داعيها
وينهي بعد وصف شوق تبرجت الجاهلية الأولى همومه وتخرجت كأنها حاشية كتاب درر دموعه التي منها منثوره ومنظومه وتأرجت عند ذكرى الرجبية ربوعه فما أرج السحر ونسيمه وربيع مصر وبرسيمه أنه ورد عليه كتاب رسالة وقف منه على ما جرى به القلم فوقف واستوقف كل أديب ليشاهد غرفا من جناته مبنية من فوقها غرف ولم يجد مثالا لهذا المثال الكريم ولو وجد لوصف فسكت مصغيا إلى تلك المقالة وعوذ حل الرسالة بخاتم الرسالة وترشف من كلمها الطيب سكرا كلما كرر حلاله حلاله
وبدأ ببسم الله في النظم أولا فرأى على حرزه من التيسير الإلهي عنوانا ومن عقد اللآلي حلا وأبصر من قلائد عقيانه مالا يوازن قيراطه بقنطار ولا
390.
فعين الله على هذه الكلمة ذات الباء الموحدة وعين الذهب دون لفظها الذي أذاب نضارا فأذاب قلوب الحسدة وعين العناية مع سرها الممدود بألطاف على عمد ممددة لقد سرحت العين في روضها فلها جمال حين تريح وحين تسرح وتقلب البصر منها في محاسن يبرح بالذمام ولا تبرح وتلوت على صدري عند سماعها بعد ضيق العطن (^

ألم نشرح)
ولها الله آية أوتيت من الفضل وحزبه ورقت الصب أي رقية لكونه أخذ من صباها أمانا لقلبه وشهد ناظرها من عاملها العربي نطقا أن حاسده أبغض العجم ناطقا إلى ربه دعت مجيبا من أول مرة مهتزا إذا خطرت من ذكر مية خطره يخطر في رياضها فلا يجد رملا لكن معشبا بين بياض وحمرة ومزنا من ماء الفصاحة يروض لوقته وفننا يعرف الولي بأن الوسمي جاء على سمته وعدنا من جنات الكلم نغترف العدو ونجلوه من عوجه وأمته
وفصلا من الخطاب فاصلا وأسماء من أفعال القلوب قال السجع إن لها في القلوب منازلا وثبت عندها المحب منشدا
(قضى الله يا أسماء أن لست زائلا %)
391.
همز الخادم لبائها ألفا وتنشق من عرفها متعرفا ما خالطه منه لا من سلمى خياشيم وفا
وجهلت بماذا أصفها فإنها فوق وصف الواصف وغاية ما قتل عند إقبالها من قبل ذلك العاكف الطائف ومجيئها من ذلك الحرم
(وما كل من وافى منى أنا عارف %)
معترفا بأنه لا يطول إلى المعارضة وأن خيول فكره في ميدان هذا السابق غير راكضة وأن سنة الله فيمن اعتزل هذه المحاسن أن تصبح له السعادة رافضة
فانتقل عن تكملة الجواب إلى الإيضاح والاستخبار عن حالكم في تلك النواح أهو كحال أهل هذا الإقليم الذي أكثرت فيه النوائح النواح لحادث طعن وطاعون حكم بالشهادة لكل مسلم وبالتكفير لغير المديون وبالاستبشار لمن قضى نحبه فيه بأنه من الأمة التي فناؤها على ما قال بالطعن والطاعون إنا لله وإنا إليه راجعون رحمة ربنا ودعوة نبينا وموت الصالحين قلنا لقد قيل لمن رام الحياة قبلنا هيهات لما تروم هيهات فقد مات من لا عمره مات ورخصت الأنفس فبدلت نحبه واغتال الموت أسودا ولا بني
392. ضبة ووسعته نفوس كانت تضيق بها دمشق إلى الرحبة وتلاعب بالصغار وليدا فوليدا ومال إلى النساء ميلا شديدا
(فرد شعورهن السود بيضا % ورد وجوهه البيض سودا)
وسار بسيفه المسلول ونادى وكل صاحب يقول لصاحبه
(لا ألفينك إني عنك مشغول %)
(كل ابن أنثى وإن طالت سلامته % يوما على آلة حدباء محمول)
ودار دورا قائمة على عمد
(وقفت فيها أصيلالا أسائلها % عيت جوابا وما بالربع من أحد)

(أمست خلاء وأمسى أهلها احتملوا % أخنى عليها الذي أخنى على لبد)
فلا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم نفثة من مصدور وكلمة تعقب إن شاء الله كل فرح وسرور وقولة نقولها وإلى الله تصير الأمور
(ولقد حرصت بأن أدافع عنهم % فإذا المنية أقبلت لا تدفع)
(وإذا المنية أنشبت أظفارها % ألفيت كل تميمة لا تنفع)
393.
ولقد شبت بين العرب والترك نار لا للقرى بل للقراع ولقد نهضت الدهماء واضطرب النقع المثار واشتبه المتبوع بالأتباع ولقد بكت البيض وزعقت السمر في يوم أسود يطيب به الموت الأحمر وإن شمت العدو الأزرق للبطل الشجاع
(من فتية من سيوف الهند قد علموا % أن هالك كل من يحفى وينتعل)
لقد قامت الحرب على ساق ورقت نساء الأعراب ولكن على الحياة حين رأين الأنفس إلى الحمام تساق وكم ذات خدر فقدت واحدها بين الرفاق
(فكرت تبتغيه فصادفته % على دمه ومصرعه السباعا)
من كل مهند لمع وكأنه البرق الخاطف وجرد فكأنه القضاء الجاري في المواقف وسل فكأنه الأسد الضاري في المخاوف وكل رديني هز فكأنه الغصن تناثرت ثماره وخطر فكأنه قد الحبيب تدانى مزاره وطعن فكأنه وخز الشيطان تضرمت ناره
(من كل أبيض في يديه أبيض % أو كل أسمر في يديه أسمر)
ولقد طاحت الغربان برؤوس العربان وصاحت بالويل والثبور بنات طارق لطوارق الحدثان وراحت بالأرواح أقوام تعرف بالحقيقة لا بحد ورسم بل بحد وسنان وتقول
394.
(لا نسب اليوم ولا خلة % اتسع الخرق على الراقع)
فسير صباح مسا ويضيق بالطوال والقصار من الظبا والرماح الفضا ويمتطي من العربيات أخلاء الرياح ما يتقدم على مهل فيتأخر مع الإسراع عنها الهوى قائلا إنما كنت خليلا من وراء ورا
من كرائم الخيل المنصورة وعظائم السيل وقد ينقل اللفظ بالمعنى والعلاقة مجاز الصورة وبهائم الليل المبصرة إذا أسبل ديجوره منها مضمر وغير مضمر وسوابق يقصر عنها مدى الناظر وإن كرر عليها أبطال يتلون (^ إن أجل الله إذا جاء لا يؤخر)
ومالت نواصيها ذوات الخير كأنها عقود ترائب وطالت غرتها كأنها انتظار غائب وقصر عجب ذنبها كأنه بناء ذاهب وولولت أذنابها كأنها

أقلام كاتب ولانت عريكتها كأنها لعبة لاعب وأسبغ ذيلها كأنه ذيل راهب وقام صدرها كأنه نهضة واثب وتشخص موضع ثدييها كأنهما نهدا كاعب ودق منخرها كأنه
395. خنصر بنات الأعارب وابيض لونها كأنه الصافي عن الشوائب وحلا طول الحديث عنها كأنه حديث الحبائب
فلينتقل المملوك عن ذكر الأخبار وحكاية ما كان وصار ولا يد له بيضاء في أسود ذلك النهار إلى ذكر ما نبه منها على خلاف الأولى وهو واجب القلب أن لا يكون قام ببعض الفرض ويعرض غير معارض على ذلك الناقد بهرجه وهو فرق من يوم العرض ويفتح بابا للوقيعة فيه لكنه اقتدى بأبي ضمضم فدونك أيها الأديب والعرض ويقول
(أبدا على جمر الغضى يتقلب % قلب بشرقي اللوا متغرب)
(ناء عن الخيمات يحسب أنه % لجنان وصلك باللظى يتقرب)
(ولقد أعاتبه وليس بنافع % عتب لمن هو معنت لا يعتب)
(إن قلت ملت علي قال لأنني % قلب فلا عجب إذا أتقلب)
(أفدي الغزال على حدائق مهجتي % يحيا ويرتع في الدماء ويلعب)
(وأريد ما يبغيه بي فأنا له % مستعذب بعذابه مستعذب)
(هو زهرة بيعت فكنت المشتري % وأخو الملاح على هواه العقرب)
(من لي بصاحب حاجب سلطانه % قاض بأن لحاظه تتحجب)
396.
(ذو النون وهو رويم طرف وجهه النوري % والجلاء وهو الكوكب)
(لم يرض إلا الزهد في طريقة % والهجر فهو لغير معنى يغضب)
(إن قلت أسمعني كلامك قال لي % أعدمت غير الدر فيه يرغب)
(أو قلت أرشفني رضابك قال لا % ما في الوجود سوى المدامة تطلب)
(اطلب سوى ذا قلت لا أبغي سوى % هذين في الدنيا ولا أترقب)
(بالله فاحسبني وأحسن عشرتي % فأجاب إنا أمة لا نحسب)
(وأبى فليس يعدني سرا ولا % يصغي إلي وراح أيضا يعتب)
(ويحرف الكلمات عن أوضاعها % بلسان سهم للجدار يرتب)
(فيزيل بالشبه البراهين التي % للحرم في كسر المخالف تنصب)
(ولقد عددت سني وهي كثيرة % لم أبصر البرهان فيها يلعب)
(ولذاك أعرض لا أعارض قوله % لا أم لي إن كان ذاك ولا أب)
(أثنى عليه مفردا يجد التوكل % صيغة في جمعها يتسبب)
397.
(وفى بعهد إخائه إذ كان إبراهيم % فهو على الوفا لا يذهب)
(العلم وصف والوفاء سجية % بالوعد والقول الصحيح المذهب)
(وله المعارف والعوارف والندى % يصفو ويعذب من جداه المشرب

)
(وإذا يقول فكل عضو سامع % لمقاله الصدق الذي لا يكذب)
(لا فرق بين كلامه والسحر % إلا أنه السحر الحلال الطيب)
(هو مالك جلاب أمتعة بألفاظ % كمثل الشهب أو هي أشهب)
(ولقد يلحن لفظ أشهب إن أتى % في أفعل التفضيل أو يتجنب)
(يا أيها البحر الذي كلماته % كالجوهر المكنون بل هي أعجب)
(در يعز على كثير عزة % ويضيء مثل الصبح منه الغيهب)
(في مثل درته يحق مقالكم % فابن المقفع في اليتيمة يسهب)
(ولسوقه يهدي مقالك واصفا % فكأن قسا في عكاظ يخطب)
(فلله أسأل أن يمتعنا به % كلما بها الأمثال فينا تضرب)
(تبقى بقاء الدهر تعجب أهله % وتتيه من صلف عليه وتعجب)
لقد وصف المملوك ما في ضميره فلا يؤاخذه وإن وصف مضمرا
وكاتبك يا مالك الرق رجاء أن يكون مدبرا وفصلت برد لباسها قائلا (^
رب إني نذرت لك ما في بطني محررا)
(فأسبل عليها ستر معروفك الذي % سترت به قدما علي عواري)

.398

والمملوك يقبل الأرض بين يدي الشيخ الإمام الخطيب تاج الدين المليحي وأنتما حقيقة في هذا الكتاب شريكان وللشيخ تاج الدين عادة فنظير مشاركته في هذا العنوان تلبيته دعوة كاتبين خطباه للخطبة وإن كان الشيخ تاج الدين بعض واحد منه فذاك بقصاص أنه في غيره اثنان فلقد لبى دعوة اثنين خطباه للخطبة لكنه لم ينفذ في الثانية منهما إلا بسلطان

وعلى ذكر ذلك فالمملوك يهني المنبر السلطاني منه بأعلا وأعلم ومن إذا صال على الأعواد أسرج وألجم وإذا أقبل في ثياب السواد قيل جاء السواد الأعظم وبهيبة من المنبر بعلو الدرجات من الله مجازا ومن المنابر حقيقة وقبول الأعمال الصالحات التي هي في أصول الإخلاص عريقة وينشده إذا صعد خطيبا وتنزهت القلوب في رياض مواعظه الأنيقة

(ولما رأيت الناس دون محله % تيقنت أن الدهر للناس ناقد)

1341 إبراهيم بن عمر بن إبراهيم الشيخ برهان الدين الجعبري أبو إسحاق

نزيل مدينة الخليل عليه السلام

.399

ولد في حدود سنة أربعين وستمائة

سمع من الفخر بن البخاري وخلق كثير

وأجاز له الحافظ يوسف بن خليل وعرض التعجيز على مصنفه

وكان فقيها مقرئا متفننا له التصانيف المفيدة في القراآت والمعرفة بالحديث وأسماء الرجال
وأكمل شرح التعجيز لمصنفه
توفي في شهر رمضان سنة اثنتين وثلاثين وسبعمائة

1342 إبراهيم بن لاجين الأغري بفتح الغين المعجمة الشيخ برهان الدين الرشيدي

كان فقيها نحويا متفننا دينا خيرا صالحا
تخرج به جماعة وتفقه على الشيخ علم الدين العراقي
مولده سنة ثلاث وسبعين وستمائة
وتوفي بالقاهرة سنة تسع وأربعين وسبعمائة

.400

1343 إبراهيم بن هبة الله بن علي القاضي نور الدين الحميري الإسنائي

كان فقيها أصوليا
قرأ الفقه على الشيخ بهاء الدين القفطي والأصول على شارح المحصول الأصبهاني والنحو على الشيخ بهاء الدين بن النحاس
وولي قضاء إخميم وأسيوط وقوص
وقفت له على مختصر الوسيط وهو حسن وقد ضمنه تصحيح الرافعي والنووي
وله شرح المنتخب في الأصول ونثر ألفية ابن مالك
عزل عن قضاء قوص فورد القاهرة وأقام بها إلى أن توفي سنة إحدى وعشرين وسبعمائة

1344 إسماعيل بن يحيى بن إسماعيل بن تيكروز

قاضي القضاة مجد الدين
أبو إبراهيم التميمي الشيرازي البالي
وبال بالباء الموحدة بليدة من عمل شيراز

.401

تفقهه على والده وقرأ التفسير على قطب الدين الشقار البالي صاحب التقريب على الكشاف
وولي قضاء القضاة بفارس وهو ابن خمس عشرة سنة وعزل بعد مدة بالقاضي ناصر الدين البيضاوي ثم أعيد بعد ستة أشهر وعزل القاضي ناصر الدين واستمر مجد الدين على القضاء خمسا وسبعين سنة
وكان مشهورا بالدين والخير والمكارم وحفظ القرآن وكثرة التلاوة
وله منزلة عند الملوك رفيعة أمر بعضهم بإظهار الرفض في أيامه فقام في نصر الدين قياما بليغا وأوذي بهذا السبب وقيل إنه ربط وألقي إلى الكلاب والأسود فشمته ولم تتعرض له فعظم قدره وعلم

أنه من أولياء الله وكان ذلك سببا في خذلان الرفضة
ولد له ثلاث بنين واشتغلوا بالعلم ثم مات كل منهم في عنفوان شبابه فحكي أنه صلى على كل واحد منهم وكفنه ولم يجزع ولا بكى على واحد منهم
وحكي أنه وقع بين أهل شيراز وملكهم خصومة ونزل الملك بظاهر البلد وعزم على قتالهم ومحاصرتهم فخرج القاضي لإطفاء النائرة وكان في محفة فرجموه بالحجارة وهرب جميع من كان حواليه وأصيبوا بالحجارة ووقف القاضي ثابتا غير مضطرب ولم يصبه شيء فعدت كرامة له
ولما مات أحد أولاده الثلاثة أفضل الدين أحمد سأله بعض الحاضرين عن سنه فقال رأيت أني أعطيت أربعة وتسعين دينارا وأعطي ولدي أحمد اثنتين وعشرين
402. فسألت المعطي ما هذا فقال هذه سنو عمركما فاستوفى أحمد اثنتين وعشرين وأما أنا فبقي لي تسع سنين فكان الأمر كما ذكر
توفي في ثاني عشر شهر رجب سنة ست وخمسين وسبعمائة عن أربع وتسعين سنة بشيراز
ومن تصانيفه القرائن الركنية في الفقه وشرح مختصر ابن الحاجب في الأصول وله مختصر في الكلام وله نظم كثير
أنشدنا صاحبنا المحدث مجد الدين محمد بن يعقوب الفيروزابادي لنفسه ما كتبه إلى القاضي مجد الدين مستفتيا قال وكنت عزمت في سنة سبع وأربعين وسبعمائة على الحج وكنت متزوجا فمنعني أهل زوجتي عن السفر إلا أن أعلق طلاقها بمضي ستة أشهر فأجبت مكرها ثم عدت بعد سنين فكتبت إلى القاضي رحمه الله
(ألا من مبلغ عني كتابا % إلى قاضي قضاة المسلمينا)
(بحال أن قومي أكرهوني % بأن علق طلاقك مكرهينا)
في أبيات ذكرها قال فأجابني القاضي بديها
(ألا يا قدوة الفضلاء إني % أعدك صادقا برا أمينا)
403.
(سليلا للأسى الأمجاد مجدا % غدا للدست صدرا أو يمينا)
(سأحكم بينكم حكما مبينا % ولكن إن حلفت لهم يمينا)
(وذلك نص شرع الله فيهم % وأما الشيخ حاشا أن يمينا)

1345 إسماعيل بن علي بن محمود بن محمد ابن عمر بن شاهنشاه بن أيوب

الملك المؤيد صاحب حماة
عماد الدين أبو الفداء ابن الأفضل بن الملك المظفر بن الملك

المنصور بن الملك المظفر تقي الدين عمر بن شاهنشاه بن أيوب بن شادي
404.
كان من أمراء دمشق وخدم السلطان الملك الناصر لما كان في الكرك آخر أمره فوعده بحماة ووفى له بذلك
وكان المذكور رجلا فاضلا نظم الحاوي في الفقه وصنف تقويم البلدان وتاريخا حسنا وغير ذلك
توفي بحماة سنة اثنتين وثلاثين وسبعمائة وكان قد ملكها في سنة عشر وسبعمائة فأقام هذه المدة له شعر حسن ومن شعره
(أحسن به طرفا أفوت به القضا % إن رمته في مطلب أو مهرب)
(مثل الغزالة ما بدت في مشرق % إلا بدت أنوارها في المغرب)
وكان جوادا ممدحا امتدحه الشيخ شهاب الدين محمود بقصيدته التي مطلعها
(أترى محبك بالخيال يفوز % ولنومه عن مقلتيه نشوز)
وبقصيدته التي مطلعها
(ميعاد صبري وسلوى المعاد % فالح امرأ يسليه طول البعاد)
وأكثر في مدحه شاعره الشيخ جمال الدين ابن نباتة شاعر الوقت ومن غرر قصائده فيه
(لثمت ثغر عذولي حين سماك % فلذ حتى كأني لاثم فاك)
(حبا لذكراك في سمعي وفي خلدي % هذا وإن جرحت في القلب ذكراك)
(تيهي وصدى إذا ما شئت واحتكمي % على النفوس فإن الحسن ولاك)
405.
(وطولي من عذابي في هواك عسى % يطول في الحشر إيقافي وإياك)
(في فيك خمر وفي عطف الصبا ميد % فما تثنيك إلا من ثناياك)
(وما بكيت لكوني فيك ذا شجن % إلا لكون سعير القلب مأواك)
(بالرغم إن لم أقل يا أصل حرقته % ليهنك اليوم إن القلب مرعاك)
(يا أدمعا لي قد أنفقتها سرفا % ما كان عن ذا الوفا والبر أغناك)
(ويا مديرة صدغيها لقبلتها % لقد غدت أوجه العشاق ترضاك)
(مهما سلونا فما نسلو ليالينا % وما نسينا فلا والله ننساك)
(نكاد نلقاك بالذكرى إذا خطرت % كأنما اسمك يا أسما مسماك)
(ونشتكي الطير نعابا بفرقتنا % وما طيور النوى إلا مطاياك)
(لقد عرفناك أياما وداومنا % شجو فيا ليت أنا ما عرفناك)
(نرعى عهودك في حل ومرتحل % رعى ابن أيوب حال اللائذ

الشاكي)
(العالم الملك السيار سؤدده % في الأرض سير الدراري بين أفلاك)
(ذاك الذي قالت العليا لأنعمه % لا أصغر الله في الأحوال مهناك)
(له أحاديث تغني كل مجدبة % عن الحياء وتجلي كل أحلاك)
(ما بين خيط الدجى والفجر لائحة % كأنها درر من بين أسلاك)
406.
(كفاك يا دولة الملك المؤيد عن % بر البرية من للفضل أعطاك)
(لك الفتوة والفتوى محررة % لله ماذا على الحالين أفتاك)
(أحييت ما مات من علم ومن كرم % فزادك الله من فضل وحياك)
(من ذا يجمع ما جمعت من شرف % في الخافقين ومن يسعى لمسعاك)
(أنسى المؤيد أخبار الألى سلفوا % في الملك ما بين وهاب وفتاك)
(ذو الرأي يشكو السلاح الجم قاطعه % لذاك يسمى السلاح الجم بالشاكي)
(والمكرمات التي افترت مباسمها % والغيث بالرعد يبدي شهقة الباكي)
(قل للبدور استجني في الغمام فقد % محا سنا ابن علي حسن مرآك)
(إن ادعيت من البشر المطيف به % غيظا فقد ثبتت في الوجه دعواك)
(يا أيها الملك المدلول قاصده % وضده نحو ستار وهتاك)
(وحدته في الورى بالقصد وارتفعت % وسائلي فيه عن زيغ وإشراك)
407.
(سقيا لدنياك لا لقب يخالفه % فيها لديك ولا وصف بأفاك)
(من كان من خيفة الإنفاق يمسكها % فأنت تنفقها من خوف إمساك)

1346 جعفر بن ثعلب بن جعفر بن علي بن المطهر بن نوفل الأدفوي

1347 الحسن بن شرف شاه السيد ركن الدين أبو محمد العلوي الحسيني الإستراباذي

مدرس الشافعية بالموصل وشارح مختصر ابن الحاجب ومقدمته في النحو وله شرح على الحاوي
408.
كان إماما في المعقولات
توفي سنة خمس عشرة وسبعمائة عن سبعين سنة

وله شرح حسن على المطالع وشرح شمسية المنطق وأصول الدين وقد وقفت عليه وله على مقدمة ابن الحاجب ثلاثة شروح مطول ومختصر متوسط وهذا المتوسط هو الذي بين أيدي الناس اليوم
وكان جليل المقدار معظما عند ملوك الزمان حسن السمت والطالع حكي أنه كان مدرسا بماردين بمدرسة هناك تسمى مدرسة الشهيد فدخلت عليه يوما امرأة فسألته عن أشياء مشكلة في الحيض فعجز عن الجواب فقالت له المرأة أنت عذبتك واصلة إلى وسطك وتعجز عن جواب امرأة قال لها يا خالة لو علمت كل مسألة أسأل عنها لوصلت عذبتي إلى قرن الثور

1348 الحسن بن هارون بن الحسن الفقيه الصالح نجم الدين الهدباني أحد أصحاب الشيخ محي الدين النووي رحمه الله تعالى ورضي عنه

1349 الحسين بن علي بن إسحاق بن سلام

بتشديد اللام الشيخ شرف الدين

.409

مفتي دار العدل بدمشق في زمن الأفرم
درس بالعذراوية والجاروخية بدمشق وكان من فقهاء المذهب
مولده سنة ثلاث وسبعين وستمائة وتوفي في شهر رمضان سنة سبع عشرة وسبعمائة

1350 الحسين بن علي بن سيد الأهل بن أبي الحسين بن قاسم بن عمار الشيخ الإمام نجم الدين الأسواني الأصفوني

سمع من أبي عبد الله محمد بن عبد الخالق بن طرخان ومحمد بن إبراهيم بن عبد الواحد المقدسي وأبي عبد الله محمد بن عبد القوي وأبي الحسن علي بن أحمد الغرافي والحافظ أبي محمد الدمياطي وغيرهم وحدث بالقاهرة
تفقه على أبي الفضل جعفر التزمنتي
وأقام بالقاهرة يدرس بمدرسة الحاج الملك ويشغل الطلبة بالعلم وتجرد مع الفقراء مدة
وكان قوي النفس جدا حاد الخلق مقداما في الكلام

.410

وهو من أهل الخير والصلاح صحب الشيخ أبا العباس الشاطر وغيره من الأولياء
حكى لي الوالد تغمده الله برحمته أن المذكور تجرد زمنا طويلا ثم حضر درس قاضي القضاة ابن بنت الأعز فأنشد بعض الناس قصيدة في مدح سيدنا رسول الله فصرخ الشيخ نجم الدين وحصلت له حالة

فأنكر القاضي وقال أيش هذا فقام الشيخ نجم الدين منزعجا وقال هذا ما تذوقه أنت وترك المدرسة والفقاهة بها
وحكى لي من أثق به قال سمعته يقول وهو ثقة أول صحبتي لأبي العباس الشاطر خرجت معه من القاهرة إلى دمنهور فلما طلعنا من المركب وكان فيها رفيق تاجر له في المركب فراش ونطع فطلعنا بحوائج الشيخ أبي العباس فلما انتهيت قال انزل هات الفراش والنطع فنزلت فقال لي صاحبهما هما لي فعدت إلى الشيخ فقال لي عد إليه وقل له هاتهما فعدت فأعاد الجواب فأعادني ثالثا فأبى فقال لي رابعا عد إليه وقل له غرق الساعة في البحر لك مركب وكل مالك فيها لم يسلم إلا عبد ومعه ثمانية عشر دينارا فكان الأمر كذلك
قلت هذا الشاطر كان عظيم القدر بين الأولياء معروفا بقضاء الحوائج إذا كان للإنسان حاجة جاء إليه فيشتريها منه يقول له كم تعطي فيقول كذا وكذا فإذا اتفق معه قال قضيت في الوقت الفلاني وغالب تقضى في الوقت الحاضر ولم نحفظ أنه عين
411. وقتا فتقدمت عليه الحاجة ولا تأخرت والحكايات عنه في هذا الباب كثيرة مشهورة وكان قد تخرج بالشيخ أبي العباس المرسي
توفي في صفر سنة تسع وثلاثين وسبعمائة

1351 الحسين بن علي بن عبد الكافي بن علي بن تمام السبكي

الأخ جمال الدين أبو الطيب القاضي
ولد في رجب سنة اثنتين وعشرين وسبعمائة
وحضره أبوه على جماعة من المشايخ وحضر البخاري على الحجار لما ورد مصر وسمع على يونس الدبابيسي وغيره وطلب العلم وتفقه على الشيخ مجد الدين السنكلوني وقرأ النحو على أبي حيان أكمل عليه قراءة التسهيل والأصلين على الشيخ شمس الدين الأصبهاني وقرأ على جماعة غيرهم وأحكم العروض قراءة على أبي عبد الله بن الصائغ وأتقنه
412.
ثم قدم الشام حين ولاية الوالد للقضاء بها وطلب الحديث بنفسه وقرأ على المزي والذهبي وقرأ الفقه على الشيخ شمس الدين ابن النقيب
ثم عاد إلى مصر ودرس بالمدرسة الكهارية وولي الإعادة بدرس القلعة عند القاضي شهاب الدين بن عقيل
ثم عاد إلى الشام ودرس بالمدرسة الدماغية وولي نيابة الحكم عن والده بعد وفاة الحافظ تقي الدين أبي الفتح ثم درس بالمدرسة الشامية البرانية وكان يلقي بها دروسا حسنة مطولة ثم بالمدرسة العذراوية

وكان من أذكياء العالم وكان عجيبا في استحضار التسهيل في النحو ودرس بالآخرة على الحاوي الصغير وكان عجيبا في استحضاره
توفي يوم السبت ثاني شهر رمضان سنة خمس وخمسين وسبعمائة ودفن بقاسيون
ذكره القاضي صلاح الدين الصفدي في كتابه أعيان العصر فقال كان ذهنه ثاقبا وفهمه لإدراك المعاني مراقبا حفظ التسهيل لابن مالك وسلك من فهم غوامضه تلك المسالك وحفظ التنبيه وكان يستحضره وليس له فيه شريك ولا شبيه وقرأ غيره سرا
وكان يعرف العروض جيدا ويثبت لأركان قواعده مشيدا وينظم الشعر بل الدرر ويأتي في معانيه بالزهر والزهر عفيف اليد في أحكامه لم يقبل رشوة من أحد أبدا ولم يسمع بذلك في أيامه
انتهى
413.
ومن نظم الأخ ملغزا من أبيات
(لا ريب فيه وفيه الريب أجمعه % وفيه بأس ولين البانة النضره)
(وفيه كل الورى لما تصحفه % وضيعة ببلاد الشام مشتهره)
وكتب إلى القاضي الفاضل شهاب الدين بن فضل الله في سنة خمس وأربعين وسبعمائة وقد وقع الشيخ بدمشق كثيرا من أبيات
(البحر أنت وقد وافى يناديكا % هذا السحاب وقد أوفى بناديكا)
(ما ذاك والبرق ما تومي أصابعه % إلا إليك فأعدته أياديكا)
لكنه زاد في تشبيه عارضه
وكتب إلى الشيخ صلاح الدين الصفدي سائلا من أبيات
(فكرت والقرآن فيه عجائب % بهرت لمن أمسى له متدبرا)
414.
(في هل أتى لم ذا أتى يا شاكرا % حتى إذا قال الكفور تغيرا)
(فالشكر فاعله أتى في قلة % والكفر فاعله أتى مستكثرا)
(فعلام ما جآ بلفظ واحد % إن التوازن في البديع تقررا)
(لكنها حكم يراها كل ذي % لب وما كانت حديثا يفترى)
فأجابه من أبيات
(وجوابه إن الكفور ولو أتى % بقليل كفر كان ذاك مكثرا)
(بخلاف من شكر الإله فإنه % بكثير شكر لا يعد مكثرا)
(فإذن مراعاة التوازن هاهنا % محظورة لمن اهتدى وتفكرا)
وقد مدح الأخ جمال الدين إمامان كبيران أحدهما الشيخ الحافظ تقي الدين أبو الفتح فقد كتب إليه من دمشق لما سافر من دمشق إلى مصر ما أنشدنيه من لفظه لنفسه وهو
(هوى أغراه بي قلبي وعيني % فأذهب بالضنى أثري وعيني)

(وأضحى الدمع منحدرا بخدي % ولا عجب تحدر ماء عيني)
(وسهم الحب عند الوصل مصم % فكيف وقد أضيف لسهم بين)
(بنفسي من نأى فنأى اصطباري % وواصلني السقام وحان حيني)
(وكنا قد تعاهدنا على أن % يكون تواصلا كالفرقدين)
.415
(فصرنا بالنوى كبنات نعش % وحال البعد بينكم وبيني)
(وكم شخص رأيت فلم يرقني % ولم يحسن لدي سوى حسين)
(إمام إن تكلم في مجال % أبان كلامه للمذهبين)
(وإن ظهرت فوائده بروض % شهدنا الجمع بين الروضتين)
(وإن حلت أياديه بأرض % فبحر النيل دون القلتين)
(وإن سمحت قريحته بشعر % فلا تحفل بنور الشعريين)
(وإن برزت بديهته بنثر % فلا تنظر لضوء المرزمين)
(وإن همت عزائمه بشيء % أتاك بما يسر الناظرين)
(وتصغير اسمه ما فيه عيب % ألم تنظر لمعنى الأصغرين)
(جمال الدين طال البعد فاقرب % لعلي اقتضي بالقرب ديني)
(ولا تبخل بطيف في منام % فأين النوم من سهران عين)
(ولا تبخل بوعد باقتراب % فوعد الحر قالوا مثل دين)
(فمنذ رحلت لم أنظر لنور % ولم أرتع بروض النيرين)
(وما طمحت إلى الشرقين عيني % ولم أحفل ما في الواديين
.416
(فما حال امرئ يجفوه منكم % ومن يأنس لداني الجنتين)
(فخذها نظم عبد ذي ولاء % تقرر وده في الخافقين)
(يقر لها حبيب حين أبدى % خشنت عليه أخت بني خشين)
(ومنا أخجل الحلي لما % أذاب التبر في كأس اللجين)
والثاني الأخ الشيخ العلامة بهاء الدين أبو حامد أطال الله عمره وكتب بها إليه لما درس بالمدرسة الشامية البرانية
(هنيئا قد أقر الله عيني % فلا رمت العدى أهلي بعين)
الأولى الحاسة
الثانية الإصابة بالعين
(وقد وافى المبشر لي فأكرم % بخير ربيئة وافى وعين)
.417
(يخبرني بأن أخي أتاه % مناة وسعده من كل عين)
(فلو سمح الزمان لكنت أعطي % له ما فيه من ورق وعين)
(أيا شامية الشام افتخارا % بمن لسناه تعشو كل عين)
(بمن بركاته ظهرت فنارت % بها الدنيا وحفت كل عين)
(فتى إن عدت الأعيان قالت % له الأيام إنك أنت عيني)

(وحبركم حوى من بحر علم % يروي الطالبين بطول عين)
(ويلقي في العلوم لكل وفد % غزير فوائد كغدير عين)
(وواسطة لعقد بني أبيه % كأوسط لفظة تدعى بعين)
(وقاض أمره في الناس ماض % فلا يخشى من استقبال عين)
(وينصب بينهم قسطاس حق % خلت من كل تطفيف وعين)
(له نوران من ورع وعلم % تخلهما كبدر دجا وعين)
(يصير عذله ذا المطل عدلا % ويجعل كل دين محض عين)
.418
(ويحجب عز نائله ضياء % كما حجب الغزالة ضوء عين)
(لقد شرفت دمشق به ومصر % فقد سارت محاسنه لعين)
(وتعظم كل أرض حل منها % ولو خفرت خفارة رأس عين)
(يجود بكل ما في راحتيه % إذا بخلت بنو الدنيا بعين)
(ويوسع للورى نادي القرى إن % مزادة غيره شحت بعين)
(وعم نداه من شرق وغرب % فلم يحوج إلى سلف وعين)
(جمال الدين فضلك ليس يحصى % فدونك قطرة من سحب عين)
(برغمي أن أهني عن بعاد % وحقي أن أجيء لكم بعيني)
(ومن سفه المعيشة غيبتي عن % دروسك لم أفوقها بعين)
(ولو أسطيع جئت ولو جثيا % على ركبي إليك بكل عين)
(ولولا ما أروم من التلاقي % لأذهب بينكم نفسي وعيني)
.419
(وكنت لعين قطر سال قدما % فما أزكى وأحسن سيل عين)
(متى ألقاكم من عين شمس % وقد حلت ركابكم بعين)
(وهن أخاك تاج الدين عني % فإن كليكما خلي وعيني)
(وقوما وادعوا لأبيكما إذ % لنا منه أبر أب وعين)
(به زكت الفروع وطاب منها % غصون أخرجتها حين عين)
(فدام بقاؤه ما لاح برق % وأطرب صوت قمري وعين)
(ومن ينظر إليه بعين سوء % يقابله الإله بكل عين)
(ولا زالت أعاديه تردى % بكل مزلة وبكل عين)
(وقد جمعت معاني العين طرا % قصيدي لم تدع معنى لعين)
(فلو عاش الخليل لقال هذي % معان ما رأتها قط عيني)
(وقد ضاقت قوافيها وركت % وذلك لالتزامي لفظ عين)
(ولو لم ألتزم هذا لفاقت % قصيد أديب أرض الجامعين)
.420
(ولولا ذا لطاب لها ختام % بذكر مليكها القاضي الحسين)
(وطاف على الصحاب بكأس راح % وطافت مقلتاه بآخرين)
(رخيم من بني الأتراك طفل % يجاذب ردفه جبلي حنين)

(يبدل نطقه ضادا بدال % ويشرك عجمة قافا بغين)
(يطوف على الرفاق من الحميا % ومن خمر الرضاب بمسكرين)
(إذا يجلو الحميا والمحيا % شهدنا الجمع بين النيرين)
(وآخر من بني الأعراب حفت % جيوش الحسن منه بعارضين)
(إلى عينيه تنتسب المنايا % كما انتسب الرماح إلى ردين)
(نلاحظ سوسن الخدين منه % فيبدلها الحياء بوردتين)
(ومجلسنا الأنيق تضيء فيه % أواني الراح من ورق وعين)
(فأطلقنا فم الإبريق فيه % وبات الزق مغلول اليدين)
(وشمعتنا شبيه سنان تبر % تركب في قناة من لجين)
(وقهوتنا شبيه شواظ نار % توقد في أكف الساقيين)
(إذا مليء الزجاج بها وطارت % حواشي نورها في المشرقين)
(عجبت لبدر كأس صار شمسا % يحف من السقاة بكوكبين)

.421

(ونحن نرق أعباد النصارى % بشط محول والرقمتين)
(نوحد راحنا من شرك ماء % ونولع في الهوى بالمذهبين)
(وقد صاغت يد الأزهار تاجا % على الأغصان فوق الجانبين)
(بورد كالمداهن من عقيق % وأقداح كأزرار اللجين)
(وقد جمعت لي اللذات لما % دنت منا قطوف الجنتين)
(وما أنا من هوى الفيحاء خال % ولا ممن أحب قضيت ديني)
(إذا ما قلبوا في الحشر قلبي % رأوا بين الضلوع هوى حسين)
(تملك حبه قلبي وصدري % فأصبح ملء تلك الخافقين)
(وأعوز مع دنوي عنه صبري % فيكف يكون صبر بعد بين)
(إذا ما رام أن يسلوه قلبي % تمثل شخصه تلقاء عيني)
(ألا يا نسمة السعدي كوني % رسولا بين من أهوى وبيني)
(ويا نشر الصبا بلغ سلامي % إلى الفيحاء بين القلعتين)
(وحي الجامعين وجانبيها % فقد كان لشملي جامعين)
(وقل لمعذبي هل من نجاز % لوعدي سالفيك السالفين)
(سميك كان مقتولا بظلم % وأنت ظلمتني وجلبت حيني)

.422

(وهبتك في الهوى روحي بوعد % وبعتك عامدا نقدا بدين)
(وجئت وفي يدي كفني وسيفي % فكيف جعلتها خفي حنين)
(وكم صيرت بعدك قيد قلبي % وكان جمال وجهك قيد عين)
(فصرنا نشبه النسرين بعدا % وكنا ألفة كالفرقدين)
(علمت بأن وعدك صار مينا % لزجري مقلتيك بصارمين)
(وقلت وقد رأيتك خاب سعيي % لكن البدر بين العقربين)
(فكم دللتني بخيال زور % وكم أطمعتني بسراب مين)

(وهل لا قلت لي قولا صريحا % فكان المنع إحدى الراحتين)
(عرفتك دون كل الناس لما % نقدتك في الملاحة نقد عين)
(وكم قد شاهدتك الناس قبلي % فما نظروك كلهم بعيني)
(وطاوعت الفتوة فيك حتى % جعلتك في العلاء برتبتين)
(فلما أن خلا المغنى وبتنا % عراة بالعفاف مؤزرين)
(قضينا الحج ضما واستلاما % ولم نشعر بما في المشعرين)
(أتهجرني وتحفظ عهد غيري % وهل للموت عذر بعد ذين)
(وقلت الوعد عند الحر دين % فكيف مطلتني وجحدت ديني)
(أأجعل لي عليك سواك عينا % وكنت على جميع الناس عيني)
(إذا ما جاء محبوبي بذنب % يسابقه الجمال بشافعين)
(وقلت جعلت كل الناس خصمي % لقد شاهدت إحدى الحالتين)
(وكان الناس قبل هواك صحبي % فهل أبقيت لي من صاحبين)

.423

(بعادي أطمع الأعداء حتى % رأوك اليوم حرب الناظرين)
(وهل لا طالعوك بعين سوء % وأمري نافذ في الدولتين)
(وما خففت جناح الجيش إلا % رأوني ملء قلب العسكرين)
(لئن سكنت إلى الزوراء نفسي % فإن القلب بين محركين)
(هو يعتادني لديار بكر % وآخر نحو أرض الجامعين)
(يسارع نحو رأس العين خطوي % وأقصدها على رأسي وعيني)
(وأسرح في حمى جيرون طرفي % وأرتع في رياض النيرين)
(فليس الخطب في عيني جليلا % إذا قابلته بالأصغرين)
(فيا من بان لما بان صبري % وحاربني بسهم المقلتين)
(تنغص فيك بالزوراء عيشي % وبدل زين لذاتي بشين)
(وما عيني بها جهما ولكن % رأيت الزين بعدك غير زين)

والحلي عارض أبا تمام في قصيدته التي مطلعها

(خشنت عليه أخت بني خشين %)

وهي معروفة

.424

ولم أجد على هذا الوزن والروي أقدم من أبيات قالها أعرابي قيل له من لم يتزوج بامرأتين لم يذق حلاوة العيش فتزوج امرأتين فندم وأنشأ يقول

(تزوجت اثنتي لفرط جهلي % بما يشقى به زوج اثنتين)
(فقلت أصير بينهما خروفا % أنعم بين أكرم نعجتين)
(فصرت كنعجة تضحي وتمسي % تداول بين أخبث ذئبتين)
(رضا هذي يهيج سخط هذي % فما أعرى من احدى السخطتين)
(وألقى في المعيشة كل بؤس % كذاك الضر بين الضرتين)

(لهذه ليلة ولتلك أخرى % عتاب دائم في الليلتين)
(فإن أحببت أن تبقى كريما % من الخيرات مملوء اليدين)
(وتدرك ملك ذي يزن وعمرو % وذي جدن وملك الخافقين)
(وملك المنذرين وذي نواس % وتبع العريم وذي رعين)
425.
(فعش عزبا فإن لم تستطعه % فضربا في عراض الجحفلين)
انتهى الجزء التاسع من طبقات الشافعية الكبرى لابن السبكي ويليه الجزء العاشر وهو آخر الكتاب